

مركز محمد عمر بشير
للدراستات السودانية

مع الإدارة الأهلية في مسيرتها



عبدالله علي جاد الله

إداري سابق

DR. BINIBRAHIM ARCHIVE

مركز محمد عمر بشير
للدراستات السودانية

مع الإدارة الأهلية في مسيرتها



عبد الله علي جاد الله

إداري سابق

مع الإدارة الأهلية في مسيرتها

عبدالله علي جاد الله

إداري سابق

٢٠٠٥م

مركز محمد عريش
للدراسات السودانية



الأمير / حاج علي ود سعد
(عميد البعلبين (١٨٨٥-١٨٩٥) وقادهم في معركة أبو طليح وتحرير بربر
ومعركة توشكي ١٧ يناير ١٨٨٥

إهداء

للوالد والوالدة والزملاء
واسرتي الصغيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

الإدارة الأهلية هي نمط من الحكم غير المباشر، تم عن طريقه نقل سلطات إدارية، وأمنية، وقضائية من حكام الأقاليم البريطانيين، إلى زعماء القبائل والأمراء والسلاطين .

استتب هذا النوع من الحكم اللورد لوقارد الذي يدير شركة في شمال نيجيريا حيث اتاحت له فرصة ليراقب ويتابع الأسلوب القبلي التقليدي بين قبائل الهوسا وغيرها عن كثب، سماه الحكم غير المباشر حين تم له تقنيه وتنظيمه وذلك عندما تم تعيينه المندوب السامي لنيجيريا عام ١٩٠٠م ومن ثم وثقه في كتابه " DUAL MANDATE " أي الوصاية المشتركة وقد شجع نجاح التجربة في نيجيريا والتي سميت بالإدارة الأهلية NATIVE ADMINISTRATION ، علي تطبيقها في عدة بلاد أفريقية كانت تحت الإستعمار البريطاني . وطبقت في السودان أبان الحكم الثنائي واستمرت حيث اعترف بالسلطات التقليدية . التي كان يباشرها الزعماء دون الاعتراف من الإدارة البريطانية، ولو أنها كانت علي علم بها، ونقلت لهم أيضا بعض السلطات القضائية والأمنية والإدارية والمالية والتي كانت في يد مفتش المركز البريطاني، بقوانين ولوائح وقواعد ومنشورات، تحكم أسلوب وحدود ممارستها ، تحت إشراف وتوجيه مفتش المركز، الذي احتفظ له بحق النظر في الاستئناف. وقد مكن هذا التقنين الإدارة الأهلية من الفصل في كل أنواع الخصومات وانضباط الأمن والنظام والإدارة والمالية، حسب العرف والتقاليد وأسلاف القبائل .

لقد كان لهؤلاء الزعماء دورهم البارز والمتميز والمؤثر في حفظ الأمن والنظام وكفي هنا تدليلاً علي ذلك أن سلطان دار المساليات استطاع إخماد أربعة انتفاضات ما بين ١٩١٤ و ١٩١٨ م .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

العميد حقوقي / المصباح الصادق عبد القادر المحامي

أعجبني كتاب الأخ الكريم الصديق عبد الله علي جاد الله عن الإدارة الأهلية وقد تحدث إلي بعد أن اكمل هذا الجهد المقدر وكأنه يدري بأعجابي بنظام حكم الإدارة الأهلية في السودان وبتقديري لمن قاموا بالمسؤولية وأدوا الأمانة وحكموا بالعدل ووضعوا الأسس المتينة لبنيان مجتمع فاضل غرست فيه قيم الفضيلة والتقاليد الحميدة. وعملوا علي خلق سودان قوي موحد يتعايش أهله في سلام ووثام باختلاف قبائله وتعدد طبائعه وتباين معتقداته تظله فئة مخلصه من أهله هم رؤساء القبائل والنظار وشيوخ الخط والعمد والشيوخ ويساندتهم لإنجاز هذه المهام الجليلة العظيمة نفر من الإداريين بريطانيين وسودانيين من موظفي حكومة السودان في حكم أهلهم بكفاءة وإقتدار .

عرفت عن قرب بعض شيوخ الإدارة الأهلية بحكم صلة الدم والأهلية والقربى، أمثال شيخ سرور محمد رملي شيخ خط السافل والعمدة العم خليفة أحمد اسيد عمدة السروراب والعمدة العم محمود محمد الأمين ناصر عمدة الجزيرة اسلانج [والذي رد علي احد مواطنيه في مجمع بعد أن ألغت حكومة مايو الإدارة الأهلية بالكلمات التي أصبحت تتداول بين الناس في رده علي ذلك المواطن عندما احتج علي تقديم العمدة محمود بصيغة العمودية ورد عليه وفي هدوء أن العمدة وغيرها سوف لا تشطب من قاموس أدب السودانين] والجد الملك محمد ناصر مك الجموعية والعم مصطفى بركات عمدة العيلفون (ونحن في السروراب نقول العمدة مصطفى ود أم حقين والفتاح ود أمنة شيخ الفاتح ... الخ) والأخ الشيخ محمد صديق طلحة ناظر البطاحين وجدنا الشيخ المبارك ود أبو شامة شيخ السروراب وبالطبع هؤلاء من مديرية الخرطوم .

وقد علمت منهم الكثير عن الباقيين وبالذات من شيخ سرور وخاصة عن من يجاورنا منهم من الشمال أمثال الشيخ علي جاد الله نائب ناظر الجعليين وشيخ خط

منطقة ود حامد غرب النيل وهو والد مؤلف هذا السفر العظيم عبد الله علي جاد الله الذي ينتمي الي اسرة جذورها في السيل غرب مركز شندي تولت زعامة الجعليين وتمركزت في المئمة ونسري وشندي وغيرها من المناطق التي يسكنها الجعليون ونشأ وترعرع في هذه البيئة التي تزعمت الإدارة الأهلية بالمنطقة الي يومنا هذا فلا غرو أن تحدث عنها حديث العارف، عبد الله عرقه تربانة في تربة الإدارة الأهلية تربي فيها ووصل الي عمق عميق، إن كان ذلك مع والده في ود حامد أو مع أهله في المئمة منطقة شيوخ الجعليين الناظر الحاج محمد إبراهيم فرح ومن سبقه ومن لحق به وهو أقرب الأقربين إليه وتكمل أسرهم بعضها البعض وبالتالي رضع من ثديها طفلاً وعاشها مع أسرته العظيمة يافعاً وترعرع فيها صبيّاً . كما أسلفت القول اكتسب من ذويه الخبرة وتعلم منهم الحنكة وحسن التصرف واخذ منهم الكرم والجود وسماحة الخلق وطيب المعشر وكريم الخصال وجمع المجد من أطرافه المتعددة، لم يقف عبد الله عند الخبرة التي اخذ منها الكثير من والده ومن خصال قبيلته الممتدة شرق النيل وغربه، شندي والمئمة وود حامد بل واصل علم الإدارة دارساً حتى وصل نهايته في ذلك الوقت متخرجاً من كلية الآداب ومدرسة الإدارة جامعة الخرطوم وجمع حقاً بين الخبرة والعلم والمعرفة وكان بحق من الإداريين الذين يشار إليهم بالبنان .

نشأة عبد الله جعلته منغمساً في مجال الإدارة التي عشقها وكرس جهد طاقته لأداء وظيفته في هذا التخصص وقد سأله مرة لماذا لم يتقدم للالتحاق بوزارة الخارجية كما فعل بعض رصفائه من الإداريين وقال لي قد فضلت الإدارة وقررت أن أكون إدارياً اعمل فيها حتى التقاعد .

وقد فعل وحتى بعد التقاعد صار مستشاراً إدارياً بالصومال واليمن تابعاً للأمم المتحدة وبعده أيضاً تبع الأمم المتحدة في منطقة الاكراد بالعراق .

تجدون في الكتاب ما وجده عبد الله من تدريب روعة في الجودة سواء عملياً في الميدان أو أكاديمياً في مجالات الدراسة، وكان ذلك بالطبع بفضل الحكام الإنجليز رضىنا أو أبينا، الذين وضعوا اللبنة الأولى وبحق لإدارة سودانية حسنة وقوية شكلاً

وموضوعاً وهنالك من الإداريين الأفذاذ من أمثال عبد الله شاركوا في إرساء قواعد الحكم في السودان الذي كان قوامه رجال الإدارة الأهلية وكانوا مرموقين في علم الإدارة اذكر منهم السادة : مكايي سليمان امرت ، علي حسن عبد الله، ولقد سعدت كثيراً بفضل من الله وتوفيقه بالاستمتاع من حديث مكايي اكرت وعلي حسن عبد الله عند لقاءتي معهم بلندن من منتصف الستينات في القرن الماضي إلى اواخره - بلندن ASTOR COURT ولأنني كنت معجباً بنظام الإدارة الأهلية في السودان - كانا يحدثاني كثيراً عن هذه التجربة الرائدة ويؤيدهما في ذلك مولانا العظيم محمد أحمد أبورنات وكان مقرهم الفندق الذي أشرت إليه بلندن ومعهم ايضاً الصديق الصدوق الدكتور العظيم عبد الحليم محمد أطل الله في عمره ومتعه بالصحة والعافية وكان مشروفاً بالإدارة الأهلية ويبرر ان ذلك جاءه من صداقته الحميمة للشيخ سرور محمد رملي.

عرفني السيد مكايي سليمان اكرت ببعض الانجليز كانت لهم مكانة مرموقة في الإدارة بالسودان اذكر منهم المستر DUNCAN WEIR وقد كان وقتها نائباً للسكرتير الأكاديمي لجامعة لندن وكانت تضم ست كليات كل كلية منها جامعة بذاتها، رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة .

وصدق قول سير جيمس روبرتيون JAMES ROBERTSON حين قال عن رجال الإدارة الأهلية أنهم كانوا يخدمون أهلهم ويرعونهم ودون ذواتهم وتأييداً لذلك تذكرت زيارة الملك محمد ناصر لمنطقة السروراب حاثاً مواطنيه من قبائل الجموعية ليعمروا مدينة امبدة التي تقع في قلب أراضيهم محذراً لهم أن تقاعسهم يفقدهم أرضهم ويحتلها آخرون . كما ذكرت من اتصالاتي مع الشيخ سرور والعمدة خليفة كيف كانا يهتمان بشئون أهلهم ويعملون علي حل مشاكلهم الخاصة والعامة في مجالسهم الرسمية وغير الرسمية وينصرف الجميع راضيين مقتنعين بالحلول وبقلوب راضية مطمئنة لا حقد فيها ولا غضب وكان هذا ديدن الباقيين من الرجال أمثالهم يوجهون كل قدراتهم وجل إمكانياتهم لخدمة أهلهم وبث روح الشجاعة والإحترام

والعزة والمنعة وطيب الخصال فيهم برعونهم خير رعاية ويتابعون قضاء حوائجهم في دور الحكومة في البندر في حالة ما يعجزون عن التنفيذ في حدود سلطاتهم المحلية .

أقص قصة عن العمدة العم خليفة أحمد اسيد، مرة كان يطوف في الخلاء غرب السروراب يتفقد أحوال الرعية وبالقرب من بيت شعر وجد كفتيرة علي النار علي لدايات (عدد من الطوب)، وما كان به إلا ان ازاح اللدايات قائلاً: (الآن لدايات وبعد قليل تصبح حيطان ثم نزوح) .

قصة أخرى أغرب في حي مأموريات مفتش الخرطوم بحري والضواحي، ترك المفتش وابوره النهري (الدهبية) وأتى الي منزل العمدة وقت الفطور . وعندما خرج العمدة ومعه المفتش من الديوان شاهد العمدة وابور جاز عليها طوة فيها بيض - فطور المفتش حسبما رأى الطباخ ما كان من العمدة إلا أن ضرب برجله وابور الجاز وتطاير البيض واشتعل الغاز ناراً ولم ينبت المفتش عن بنت شفه وكان اجتماع العمدة الفوري كيف يحضر للمفتش بفطور ومفروض أن يكون في ضيافة العمدة في ذلك الوقت .

قال لي العمدة خليفة أن مستر سيمر مفتش الخرطوم والضواحي عرض عليه في اوائل خمسينات القرن الماضي أن يمتلك مربعاً من أرض الديوم بالخرطوم بحري تتفعه بعد زوال عموديته، وكان الخواجة يتوقع ذلك ويحسب أن يوماً سيأتي بحاكم ينهي بجرة قلم الإدارة الأهلية غير عابئ بالولايات الجسام التي كانت تنادي بهذا الشعار لا أكثر ولا أقل . وأصبح الأمر أكثر تعقيداً حينما حاولوا الرجوع إليه ودون جدوى تمسكاً بأن الرجوع الي الحق فضيلة وما وجدوها، فرد العمدة طلبه عليه أنه حاكم وابن حاكم وهكذا عرفه أهله وما عرفوه يؤجر بيوت ورفض العرض .

كانوا عزيزي النفوس وبالفعل أصبح قابعاً في داره بعد زوال العمودية وحتى أراضيه تركها لأخوانه للإستفادة منها وفي ذات مرة راءه احد اودلاد البلد الفضلاء يحمل علي كتفه (كليفة) من القش لبقرة فصاح فيه يا عمدة ليس هناك من يخدمك

ويحضر اليك قش البقرة، فقال له العمدة ما طلبت هذا من احد، فذهب هذا الرجل
الفاضل الى السوق وملاً لوريا (بابو سبعين) لبقرة العمدة المتقاعد. نضال حميد
لأهلنا الحاكمين والمحكومين .

(تساعد الإدارة الأهلية في مكافحة الجراد والآفات والحفاظ علي خطوط
النار، يحسمون القضايا في حينها تجنباً للعنف والقتل ويبتون فيها حسب العادات
والعرف وغالباً ما تنتهي بالتعويضات والصلح وفي حالات يلجئون إلى الغرامة
والسجن) .

يعملون علي حفظ الأمن والنظام والاستقرار ويلاحقون المجرمين ويقبضون
عليهم وكان النظار وأمثالهم في الإدارة الأهلية أهل حكمة. حدثني السلطان عبد
الرحمن بحر الدين سلطان دار مساليت عندما حلت الإدارة الأهلية وأصبح رئيس
محكمة فقط عندما سألته كيف يأتي بالجاني إذا ارتكب جريمته ودخل إلى جمهورية
تشاد قال لي : (زمان كنت بيجبوه لكن هسع الا يجيبو لي) اتمنى أن يكون في هذه
الكلمات عبر ودروس مستفادة، كانوا يبتون الطمأنينة في قلوب ذويهم يسيطون الأمن
والنظام وقيمون العدالة.

أورد الكاتب (بان هذا النمط من الحكم القبلي لم يكن من ابتداع البريطانيين بل
هو عميق الجذور يستمد أصوله من العرف والتقاليد القبلية في إدارة أمور أفرادها
وفي علاقاتها مع بعضها البعض. ومشايخ العرب مرجعية أهلهم يلجئون إليهم قبل و
ثناء الحكم الثنائي ويحتكمون إليهم في اخص وادق شئونهم. كما كان يستشيرهم
الحاكم الاجنبي في أمور الحكم والإدارة. هذا وكل ما فعله البريطانيون هو تقنين ما
هو قائم . إذ كانت هذه القبائل تحل مشاكلها الداخلية ومشاكلها مع جيرانها في تعاون
تام) واورد ايضا (سلوكيات اصيلة ومشرفة فما كان رجال الإدارة الأهلية مطية
للأجنبي ولم يكونوا قط لسان وأذن الحاكم الأجنبي ولم يكونوا يتلقون الأوامر فيفعلون
ما يؤمرون . فقد اتصف كثير منهم بالرأي السديد ورجاحة العقل والذكاء والحكمة
والجرأة في ابداء الرأي) الغريب أن المؤلف وهو جعلني حر أورد القبائل ومن ضمنها

قبيلته التي كما يقول تمتد من الحقنة وحتى الدامر شمالا ولم يأتي بذكر ما بعد الحقنة جنوبا غرب نهر النيل وشرقه الجميعاب والجموعية أولاد جعل شيخ السافل سرور محمد رملي ورئيس قبائل الجموعية المك ود ناصر وهما من أعمدة الإدارة الأهلية في مديرية الخرطوم ويملكن هم والمحس معظم الأراضي وهنا لابد من ذكر الرؤساء الآخرين . الشيخ ود تمساح الكدرو وأحمد الهاشمي دفع الله والصديق الكبير رحمة الله عليه الشيخ محمد صديق طلحة هؤلاء هم أعمدة الإدارة الأهلية في مديرية الخرطوم (الولاية حاليا) يعاونهم رجال اكفاء من العمدة والمشايخ (جاء ذكرهم عرضا ولاحقا عندما نقل الكاتب الى الخرطوم) ينطلق حكمهم من مجلس ريفي الخرطوم بحري والضواحي ومن ضباطه المرموقين مختار التوم وبدر الدين سليمان .

ذكر الكاتب أن من أكثر المتحمسين للحكم غير المباشر المستر سرفيلد هول مدير مديرية كردفان وفي مقابلة لي بمستر سرفيلد هول في اجتماع سنوي يضم العاملين السابقين بخدمة حكومة السودان قال لي أنه كان مدير الخرطوم في الفترة ١٩٢٧-١٩٣٥ وأن الخرطوم كانت أجمل مدن افريقيا عامة بخلاف جوهانسبيرج - والتعليق على هذا التعليق متروك للقارئ الكريم .

الفت نظر القارئ لسخرية وتهكم الناظر محمد أحمد أبوسن على مساعد الضابط الذي وصلته برقية من وزير الحكومة المحلية المرحوم د. جعفر محمد علي بخيت تطلب منه القيام فوراً لود حامد (منطقة شندي) ليرى الرئيس بعينها البديل قد وجد (البديل لشيخ الخط) وكان الرئيس وقتها يطوف المديرية الشمالية وعندما رجع مساعد الضابط سأله الناظر محمد أحمد أبوسن أين كنت ورد: (مع شيخ الخط) وكيف ترحلت (بسيارة شيخ الخط) وكيف تعرفت على المنطق والناس (بواسطة شيخ الخط) فقال له اقرأ برقيتك فقرأها فعلق أبوسن: (هسع انت البديل ولا دي تمثيلية ساكت) . تحضرني الذاكرة أن رئيس الجمهورية جمعنا وقت تعيين الضابط السيارة وقال لنا أنه ولأول مرة (في تاريخ السودان وفي فترة حكمه لا أدري) أن تمكنت الدولة بفضل ضابط السيارة من تحصيل كل الجبايات .

وضرائب الاراضي والضرائب الشخصية والجزية وغيرها بفضل جهد الضباط السيارة الذي طال حتى فصائل الأنعام في الخلاء فقد صدق البعض وكذب الآخر وكان الأخيرون هم الصادقين . وهذا يعني أنهم قاموا مقام رجال الادارة الأهلية في تحصيل الضرائب وأنا وغيري نتساءل اين هم الآن .

من الجوانب المشرقة حديث المؤلف ان بعض شيوخ الادارة الأهلية كانوا يخفون غلواء التنافس القبلي باللجوء الى مسارب المصاهرة بين القبائل الأمر الذي يشير الى عنصرية فطرية ويذكرنا هذا المسلك بالأسوة الحسنة التي كان يتبعها سيد الخلق رسول الانسانية في بداية التبشير بالدعوة كيف كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يصاهر بعض القبائل العربية فيكسب بذلك ودهم ولاعتناقهم الاسلام الرسالة الخالدة .

وقد تمازجت روح الفكاهة مع الدعابة مع كلمة الشيوخ التي كانت تضيف حلاوة على الحياة العامة تذكر قصص بعينها في الأبواب الأخيرة من الكتاب مما كان يتمتع به اساطين الادارة الأهلية من روح سمحة وذكاء ودعابة يحكى مثلا عن الشيخ عوض الكريم ابوسن وملحه وطرائفه وحتى بين سلاطين الجنوب يحكى الكثير عن حكمهم وطرائفهم .

الكتاب قيم وممتع ويسجل التاريخ الاداري في السودان وكان الكاتب صادقاً

في نظري .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

أثار إنشاء الإدارة الأهلية في السودان جدلاً واسعاً بين الإداريين البريطانيين أنفسهم، بين معارض ومؤيد للفكرة، وسنستعرض آراءهم تلك ونرى كيف أنهم، في آخر المطاف، قد عقدوا أمرهم، ووجدوا كلمتهم، وأنفقوا على تطبيق النظام. وفي الجانب الآخر وقف ضدها المتفقون السودانيون فعارضوها معارضة شرسة، وأوسعوها نقداً بحسبانها تقوية للنفوذ القبلي، الذي سوف يكون خطراً على وحدة السودان، وتشتيته إلى دويلات، فضلاً عن الاعتراف بالقبيلة سيؤثر سلباً على الحياة الثقافية والاجتماعية والحركة الوطنية بصفة خاصة . بيد أن هؤلاء المتقنين اصطدموا بالواقع المرير فلم يستطيعوا الفكاك من انتماءاتهم القبلية، والمحلية، والطائفية، في ممارستهم السياسية والسلطة بل ذهبوا للحد الذي بدأوا يستقطبون فيه زعماء العشائر والإدارة الأهلية لدعم أحزابهم والوقوف بجانبهم في الانتخابات البرلمانية وهكذا بدأ تسييسها ومن هنا جاء التردد في تصفيتها الي أن تم ذلك في نظام مايو .

إن نظام الحكم القبلي ليس جديداً علي السودان، ولا هو من ابتداع الإدارة البريطانية التي لم يكن لها يد فيه غير أنها نظمت وقتنت نظاماً كان قائماً وسمته تسمية جديدة : (الإدارة الأهلية) فهو اصيل في المجتمع السوداني فقد قام حكم السلطنة الزرقاء علي النظام القبلي. وكذلك الحال في دارفور حيث كان زعماء القبائل يباشرون القضاء والإدارة في مناطقهم نيابة عن السلطان . والحكم التركي اعتمد على زعماء القبائل في حكمه إذ لم يكن نفوذه يتجاوز العاصمة، والمدن الكبيرة ومن ثم جاءت المهديّة وكانت القيادة والإدارة معقودة لامراء، هم في واقع الأمر زعماء لقبائلهم . واستمر الحال علي هذا المنوال إلى أن أسست الادارة البريطانية، الإدارة الأهلية، فجمعت القبائل الصغيرة تحت راية قبائل كبيرة، بزعامة رجال أقوىاء كلهم نافذة، توادوا وتعاونوا، مع بعضهم البعض مما اكسبنا نوعاً من الترابط والتسامح القومي وجنبنا الانفلات الأمني الذي عم جميع أرجاء البلاد في الآونة الأخيرة .

إن اختفاء الإدارة الأهلية. لا يعني انتفاء أو محو أثر القبيلة في مجتمعنا، فهي لازالت حقيقة واقعة في حياتنا، كما أشرت إلى ذلك في الفقرة الأولى من هذه المقدمة، وكان علينا أن نستفيد من خصائصها، كما فعل الأباء المؤسسون أمثال " سنقور ونايريري وكوامي نكروما مادبو كيتا " في أنظمة حكمهم ولذا فإن الأمر يحتاج منا إلى موازنة بين النظام القبلي وأنظمة الحكم المختلفة. لهذه الأسباب ولأسباب أخرى سعت للكتابة عن الإدارة الأهلية، معتمداً اعتماداً كاملاً علي تجربتي الذاتية في المناطق التي عملت بها وعلى ذاكرتي والله المستعان .

وبعد

فالشكر لكل من قدموا لي العون لإنجاز هذا العمل ولأسرة مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية بجامعة أم درمان الأهلية .

الفصل الأول :

- (أ) من مدرسة الإدارة الي الفاشر أبو زكريا .
- (ب) التدريب بالمديرية : المفتش والمدير .
- (ت) في معية مفتش المركز .
- (ث) في رheid البردي .
- (ج) ومن رheid البردي الي تلس .
- (ح) في معية مفتش البقارة .
- (خ) وعود الي ابو مطارق .
- (د) في مجلس ريفي جنوب دارفور .
- (ذ) مجلس برام الفرعي .
- (ر) العودة الي دارفور .

من مدرسة الإدارة الى الإدارة الأهلية

مدخل :

(أ) من مدرسة الإدارة الى الفاشر أبو زكريا

من هنا أبدأ ، من مدرسة الإدارة العامة ، فهي مدخلي النظري والعملية للإدارة الأهلية... التحقنا بالمدرسة عام ١٩٤٩ ، وكان الالتحاق بها متاحاً لخريجي طلبة الآداب وبعد تخرجهم مباشرة . وهكذا تقدم عدد من دفعتنا للدراسة بها . وأختار البعض الآخر مجالات أخرى ، كالمالية ، والمعارف ، والتعاون ، وكان العبور لمدرسة الإدارة عبر لجنة اختيار تكونت آنذاك برئاسة المستر تومسون نائب السكرتير الإداري وعضوية كل من مستر دي مساعد السكرتير الإداري ، لشنون الموظفين والإداري داود أفندي عبد اللطيف بالقسم السياسي بمكتب السكرتير الإداري ، والمستر ماينرز عميد مدرسة الإدارة العامة والحقوق ، والمستر اولدهام عميد الآداب ، وعثمان أفندي اسحاق من مكتب السكرتير الإداري . كان أسلوب اللجنة في المعاينة ينطوي علي أسئلة تقليدية مثل لماذا اخترت هذا الطريق ؟ وهل لك صلة بها ؟ أي الإدارة ومن تعرف من أهلها وبعض الأسئلة الأخرى التي لا تخلو من طرافة مثل هوائيك ، وعندما أجبت - كرة القدم - علق مستر دي ضاحكاً - لابد انك تلعب "ونق" - إشارة الي أنني كنت نحيفاً ثم سألتني مستر تومسون ، رئيس اللجنة عن مكانتي بين أولاد شيخ علي ، فأجبت ، فعلق مازحاً (يعني ديوك أوف كنت) فضحك الجميع . وبعد الخروج من المعاينة يلاحقك الزملاء بالأسئلة عما سألوك وبماذا أجبت ، فحدثتهم ، ولكن لا اعتقد إن ذلك أفادهم كثيراً فالأسئلة عادة تنطلق من سطح الأكاديمي ، وخلفيتك ، وما يتفرع عن ذلك من أحاديث .

في اليوم التالي أعلنت النتيجة ، ووصل لكل من تم اختياره خطاب ، فحينئذ اختير لوظيفة نائب مأمور ، تحت التمرين بشريط أحمر . أما الشريط الذهبي ، الذي يزين الكتف و "البرنيطة" - القبعة - لن نظفر بيها إلا بعد التخرج .

كنا ثمانية قبلوا بالمدرسة ، كرم الله العوض - كرار احمد كرار - الطيب
الخليل - عبد الرحيم مساعد - محمد البشير خوجلي - محمد ابراهيم عبد الحفيظ -
يوسف حسين المفتي و شخصي (١).

وفي تطور للافضل تقدمت مس بيرام ، المحاضرة بجامعة اكسفورد ،
المستشارة في شؤون الإدارة العامة لحكومة السودان ، والمسؤولة عن تدريب
الإداريين البريطانيين ، المرشحين للعمل بالإدارة في السودان ، تقدمت بمشروع
فحواه أن تكون الدراسة بمدرسة الإدارة سنتان ، بدلاً عن سنة واحدة ، وذلك لاتاحة
الفرصة لقضاء فترة أطول في التدريب العملي والميداني ، وقد تبنت الحكومة هذا
الاقتراح وطبق علينا . وحتى لا نضار ونفقد سنتين من الخدمة المعاشية ، فقد عينا منذ
البداية موظفين مؤقتين ، في الدرجة (كيو) و براتب شيري يساوي ٤٠ جنيهًا ، يطبق
علينا قانون الخدمة المدنية ولوائحها أسوة بزملائنا الذين التحقوا بوظائف في المصالح
الأخرى .

(١) خمسة من هؤلاء تعينوا وزراء واثنان عينا رئيسين للجنة الانتخابات أما الوزراء بولن البير / كلمنت اميرو / كرار احمد كرار ، كرم
العوض ، عبد الله علي جاد الله اما رئيسا لجنة الانتخابات الطيب الخليل ومحمد ابراهيم عبد الحفيظ



الواقفون من اليمين للشمال: محمد بشير خوجلي - يوسف حسين المفتي - الطيب
الخليل - محمد إبراهيم عبد الحفيظ - عبد الرحيم مساعد
الجلوس من اليمين: عبد الله علي جاد الله - كرار أحمد كرار - كرم الله العوض

انضم ألينا ، وقد قطعنا شوطاً في الدراسة ، خمسة من موظفي الشطر الجنوبي ،
وكان ذلك لأول مرة في تاريخ مدرسة الإدارة . ولعل هذه الخطوة اتخذت تطبيقاً
للسياسة الجديدة ، التي تبنتها الحكومة بعد مقررات مؤتمر جوبا عام ١٩٤٧م ، والتي
جعلت من الشطر الشمالي والشطر والجنوبي كياناً واحداً (وقد كان الجنوب منطقة
مقفولة مما وقف حائلاً دون الاتصالات والتمازج) متجاوزين بذلك المستويات
التعليمية المشترطة في طالب الإدارة ، هؤلاء الذين ألحقوا بنا هم : بلن أير ، من
مديرية أعالي النيل - وكلمنت أمبورو - ولويس بيه من مديرية بحر الغزال -
وبرنابا كسندا - وغردون بولي من المديرية الأستوائية. أستهوت بلن أير السياسة فلم
يستمر وقتاً طويلاً في سلك الإدارة فترشح في دائرة بور وطني اتحادي في انتخابات

الحكم الذاتي ١٩٥٣م وفاز واختير وزيراً في أول حكومة وطنية ، كما استأثرت السياسة بكلمنت أمبورو بعد أن وصل في السلم الإداري درجة مساعد مدير مديرية ، فاختير وزيراً للداخلية في حكومة أكتوبر ١٩٦٤م ومن ثم وزيراً للصناعة ، ولم يلبث كثيراً فكون هو وأبل الير القانوني والسياسي المرموق وآخرين جبهة الجنوب التي كانت تدعو لفصل جنوب السودان ، وهكذا احترف السياسة مودعاً الإدارة بلا رجعة.



بولن أليـر

وبعد فترة لحق بالدفعة اثنان من أبناء الصومال الأنجليزي (الآن جمهورية شمال الصومال بعد أن أصبح الصومال شيعاً وقبائل متنافرة) ، ولما تمت إعارتي للأمم المتحدة مستشاراً للحكم المحلي بالصومال كنت متشوقاً لمعرفة مصير زميلي عثمان احمد و محمد شيخ ، فوجدت أن عثمان احمد أصبح وكيلاً لوزارة الصحة أما

محمد شيخ فقد كان رهين السجن . فقد كان رئيساً لمجلس الشيوخ عندما أطاحت حكومة سياد بري بالديمقراطية وظل سجيناً إلي ان عدت من الصومال عام ١٩٧٣ .
فقد كان معارضا شرساً للحكم العسكري .

مدرسة الادارة العامة والحقوق ، تضمهما عمادة واحدة، وكان العميد مستر ماينرز الذي ينتمى الى السلك الاداري من خريجي جامعة كامبردج ، رجل هادئ، وقور ، طويل القامة ، ويتمتع بجسم رياضي ، يعشق كرة القدم ، ويداوم علي رياضة التنس وقد كان رئيساً للاتحاد العام لكرة القدم ، يعاونه مستر "ويتلوك" المحاضر في القانون الجنائي ومستر "قاو" المحاضر بقسم القانون المدني بمدرسة القانون ومحاضرون زائرون وفي اثناء فترتنا التدريبية بالمراكز ، نقل مستر "ماينرز" إلي قسم الحكومة المحلية بمكتب السكرتير الإداري آنذاك ، وخلفه مستر "دانيل" ، وقد كان قبل ذلك مفتشاً للزائدي بالمديرية الأستوائية ، وكان مقرباً من السير "دقلاس نيوبولد" السكرتير الإداري آنذاك، الذي يحتضن المتقنين من شباب الإدارة .

المنهاج الدراسي نظري وميداني ، أما النظري فيشمل القانون الجنائي ، قانون الإجراءات الجنائية القانون المدني ، الحكومة المحلية الإدارة العامة ، صحة البيئة ، وصحة الحيوان والقوانين الأخرى ، واللوائح التي تغطي كل الأمور الحياتية ، والإدارة الأهلية . وهناك مواضيع أخرى تتصل بعمل الإداري المتنوع والمتشعب . أما المنهج . الميداني فيشمل التدريب العسكري مرتين او ثلاثة في الأسبوع ، تعقبه محاضرة في مدرسة البوليس عن تنظيم البوليس وقانونه ولوائحه ، ثم هناك تدريب علي ركوب الخيل ، يشرف عليه الصول "بادي" الذي بدأ حياته العسكرية في حامية الخيالة (السواري) بشندي . ورياضة الفروسية ، كانت جديدة علي كثير منا ، فلا عجب أن احتج برنابا كسئفا عليها قائلاً بالانجليزية ما معناه : (انها استهتار بالحياة ومضيعة للوقت) ويردد ذلك ، خصوصاً عندما يطلب منه الصول بادي أن يقوم "الخاب" أي الركض . برنابا زائدي ، والزائدي لا يعرفون التعامل مع الحيوان الذي

تخلو منه ديارهم بسبب ذبابة " تسي تسي " فما بالك بحصان يركض وهو علي ظهره!!!

يكفي هذا لتغطية الفترة الأولى التي قضيتها في مدرسة الإدارة (١) ولننتقل الان الى الادارة الميدانية ، والتدريب العملي بالمديريات . هذه المدة التي قضيناها بالمراكز ، هي التي جعلتني احتك واطلع على عمل الادارة الاهلية . عن كئيب ، وهي النافذة التي اطللت من خلالها على الاهليين وزعماء العشائر والعمد والمشايخ ، وتعرفت عليهم معرفة لصيقة وحميمة . كنت معهم في مجالسهم، ومحاكمهم، وفي طوافهم (محاكم المرور التي يقوم بها المفتشون والنظار . والقضاة الشرعيون) هل سمعتم بها واين هي الان في زمن تستمر فيه اجراءات القضية لسنين عددا وكانت الاوامر الصادرة الا يتعدى البت واصدار الحكم في القضية لا كثر من الستة اشهر .

اعد لنا اختبار، وتم توزيعنا بعده على المديريات. التحقت انا والطبيب الخليل الطبيب بمديرية دارفور، وبالتحديد مركز جنوب دارفور (نياالا) ومركز شمال دارفور (كتم) وبدأ العميد يعلن لكل منا مكان اقامته (السكن) بالمركز الذي حدد له ولما لم يأت ذكر اسمي، سألته واين اسكن أنا فاجابني مازحا (on a back of a bull) وضحكنا جميعا بالرغم ان ذلك لا يثير العجب فمركز جنوب دارفور يقطنه البقارة وعرب البقارة في حالة ترحال مستمر (الرحول عز العرب) على ظهور الثيران تحملهم وتحمل متاعهم تتمايل يمينا ويسرة ، في ايقاع موسيقى رتيب .

تسلمنا تصاريح السفر بالقطار، بالدرجة الثانية، وبها من طفرة، فقد كنا نداوم السفر على الدرجة الرابعة، ونحن الان في نشوة فاصبحنا نستغل ما يستغله كبار الموظفين. وتسلمنا أيضا سلفية مقدارها خمسة وعشرين جنيها، بالتمام والكمال فياله من مبلغ كبير آنذاك، وذلك لشراء الضروريات أهمها طقم المامورية الذي

(١) مدرسة الإدارة أنشئت لتخريج الإداريين - نواب - مامير - بعد نوابوليس ومدرسة الإدارة العامة والقانون ومواضيع أخرى في بادئ الأمر كانت الدراسة مختلطة أي أنها تضم طلاب الإدارة والبوليس. وكان طلابها يختارون من الموظفين البارزين ثم تدرج الأمر فاصبحت الدفعة تضم الموظفين وخريجي المدارس العليا، بعد ذلك ضمت لجامعة الخرطوم وصار طلابها من خريجي الادب ونظمت الدراسة من ستة أشهر إلى سنة ثم إلى سنتين عام ١٩٤٩ وكانت - تضم - مدرسة الإدارة وكلية الحقوق عمادة واحدة.

اِشْتَرَيْنَاهُ مِنْ مَصْلَحَةِ الْمَخَازِنِ وَالْمِهْمَاتِ وَيَحْتَوِي عَلَى سُرِيرِ سَفَرِي، وَتَرْبِيزَةٍ
وَكِرَاسِي سَفَرِيَّةٍ، وَحَوْضٍ لِلْحَمَامِ، وَصَحْنٍ غَسِيلِ الْيَدَيْنِ وَزَمْزَمِيَّةٍ وَنَامُوسِيَّةٍ كُلُّهَا
مَصْنُوعَةٌ مِنَ الْخَشَبِ وَالْمَشْمَعِ لَيْسَ هَلْ طَيِّهَا وَحَمَلُهَا فِي الْمَامُورِيَّاتِ (وَكَانَ ثَمَنُهَا
مَجْتَمَعَةٌ لَا يَزِيدُ عَنِ الْعَشْرَةِ جَنْبِهَاتٍ) .

اتَّجَهْنَا بِالْقَطَارِ نَحْوَ الْاَبْيَضِ فِي رَحْلَةٍ مَثِيرَةٍ، وَطَوِيلَةٍ فَهِيَ أَوَّلُ رَحْلَةٍ لِي
بِالْقَطَارِ غَرْبًا. وَاسْتَمَرَّتِ الرَّحْلَةُ مِنَ الْاَبْيَضِ إِلَى الْفَاشِرِ بِاللُّورِي، وَكَانَ مِنْ حَظِّي أَنْ
خَصَنِي وَكَيْلَ التَّرْحِيلِ (وَكَانَ ذَلِكَ مَقْصُودًا فَالْوَكِيلُ كَانَ مِنْ ابْنَاءِ الْمَتَمَّةِ) بِالسَّفَرِ مَعَ
ابْنِ بَلَدَتِي، وَصَدِيقِي وَزَمْيَلِي فِي الدِّرَاسَةِ فِي مَدْرَسَةِ الْمَتَمَّةِ الْاُولِيَّةِ، عَثْمَانُ التُّومُ أَبُو
نَخِيلَةٍ، وَقَدْ سَعِدْتُ بِذَلِكَ أَيْمًا سَعَادَةً، فَهُوَ صَاحِبُ وَسَائِقِ اللُّورِي . وَمَهْمَا يَكُنْ
فَوْجُودُكَ بِرَفْقَةِ أَنْاسٍ طَيِّبِينَ وَكِرْمَاءَ وَوُدُودِينَ، مِنْ أَمْثَالِ سَائِقِي لَوَارِي الْاَبْيَضِ،
يَخْفُفُ عَنْكَ عَنَاءُ السَّفَرِ، فِي رَحْلَةٍ شَاقَّةٍ مَضْنِيَّةٍ، وَطَرِيقٍ وَعَرٍ يَفْرُضُ عَلَى أَصْحَابِ
اللُّوَارِي السَّيْرِ فِي قَافِلَةٍ. قَضَيْنَا أَوَّلَ لَيْلَةٍ بِالْخَوَى وَهِيَ مُنْتَصَفُ الطَّرِيقِ بَيْنَ الْاَبْيَضِ
وَالنُّهُودِ عِنْدَهَا تَذَكَّرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :-

النَّاسُ مَرَقْدُهَا النَّهْـوُودُ وَأَنْتَ مَرَقْدُكَ الْخَوَى
لَوْ كُنْتُ تَدْرِي مَا النَّهْوُودُ لَكُنْتُ تَطْوِي الْأَرْضَ طَيَّ

هَذِهِ كَمَا ذَكَرْتُ رَحْلَةَ شَاقَّةٍ. وَطَوِيلَةٍ يَخْفُفُ مِنْ عَنَائِهَا وَمَشَقَّتِهَا احْتِقَاءً وَاهْتِمَامًا
السَّائِقِينَ بِكَ وَمَلَاظِفَتِهِمْ، وَسَرْدَهُمْ لِقِصَصِ أُسْطُورِيَّةٍ، كُلِّ بَاسِلُوبِهِ وَخِيَالِهِ الْخَصْبِ .
وَفِي النَّهْوُودِ يَطِيبُ لَنَا الْمَقِيلُ اسْتِعْدَادًا لِلرَّحْلَةِ الَّتِي تَقْطَعُ فِيهَا مَتَاهَاتٍ مِنَ
الرَّمَالِ فِي طَقْسٍ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ، وَمِنْ طَبِيعَةِ الرَّمَالِ أَنْ تَتَفَتَّتَ فِي الْجَوِّ السَّاخِنِ، وَلِهَذَا
يُفْضِلُ السَّائِقُونَ السَّفَرَ لَيْلًا حَيْثُ تَلْتَمُّ ذَرَائِهَا، وَنَحْنُ الْآنَ عَلَى مَشَارِفِ مَا
يُسَمَّى (سَبْعَتَاشِرِ قَوْزٍ) الْمَخِيفَةِ. تَنُنُ اللَّوَارِي عِنْدَ عُبُورِهَا، وَتَزْنُ، وَتَتَرَنِّجُ ذَاتَ الْيَمِينِ
وَذَاتَ الشَّمَالِ، كَأَنَّمَا تَرِيدُ اتِّكَاءَ أَهْدِيَةِ تَرِيحِهَا مِنَ الْعَنَاءِ الْمُتَوَاصِلِ، وَتَصْرُخُ صَرَخًا

متواصلا يستدر عطفك، وقد تغوص في الرمال فيصبح انتشالها امرا صعبا، ام
المعارك، على لسائقين والمساعدين فيصبون. عليها جام غضبهم، وسخطهم، وينعتونها
باقسى واقبح الالفاظ ولكن المساعدین بفنهم، وحذقهم في رمى (الصاجات) ينتشلونها
بين دهشتنا وعطفنا عليهم، فتسير مرة اخرى تترنج وتطأ الرمال، برفق كأنها أس
يجس عليلا .

وعن تعاسة المساعدین وشقائهم ، حدث ولا حرج فهم فرسان الرمال يرمون
الصاجات بفن وسرعة مذهلة، وهم طهاة بالليل والنهار يعدون الطعام (الحلة) للسائق
وضيوفه ، لا يكلون ولا يملون ، ولولا أن الأمل يحدوهم ليكونوا سائقي المستقبل ،
ومن ثم أصحاب لواري ، لفروا منها فرار السليم من الأجر .

وبعد سفر ممل ، لليلتين ، في صحراء جرداء ، نهارها كليلها كآبة ، تبدو لنا
من علي البعد ام كدادة ، فيهدأ انين اللواري ويخفت صراخها ، وتكسو وجوه
المساعدین الفرحة ويبتهجون وينشدون طربا اهازيج تخص أهل اللواري مثل :-

اللواري حلق بيا ام كدادة قيل بيا
الصباح في أبو زكريا^(١) مشتاق يا ناس انا

ونبادلهم الفرحة والانتشاء ، عندما تتراءى لنا ، من علي البعد، الفاشر، في الصباح
الباكر .

وصلنا أبو زكريا غبر غبش ، منهوكو القوى ، ونودع أهل اللواري، شاكرين
لهم معاملتهم الكريمة ، ورفقتهم التي لا تنسي ، ولسان حالنا يردد نحن نلتقي، ونفترق
وربما نلتقي مرة أخرى، ولكننا لن ننسى معاملتهم الطيبة وودهم، هكذا ودعناهم،
وداعاً حاراً ، وتركناهم يفتشون الأرض بجانب عرباتهم، فهم لا يفارقونها، وقد

(١) أبو زكريا - الفاشر - عاصمة أبو زكريا، السلطان علي دينار - الان عاصمة ولاية شمال دارفور

فتحوا مقدمتها كأفواه التماسيح، تستشق الهواء البارد، يزيل عنها الغبار والحرارة،
التي مزقت أحشاءها .

أسرعنا نحو منزلنا، واستبقنا نحو الحمام ، نزيل عنا غبار الأيام، ونمنا ملء
جفوننا في حي الكرانك الهادئ، حي كبار الموظفين، في منزل والدنا، الخليل أفندي
الطيب الخليل، باشمفتش تعليم المديرية، رحمه الله رحمة واسعة، فقد شملنا بأبوته
وعطفه ورعايته، طيلة المدة التي قضيناها معه، حتى قيامه في بعثة دراسية للمملكة
المتحدة، ولم يشأ إلا أن يترك لنا المنزل، وتركنا في رعاية صديقه الحميم أحمد أفندي
جلي، قمندان بوليس مديرية دارفور، وهو رجل عطوف حازم، صارم، يحترمه
الإنجليز، ويتفادونه رحمه الله، وبقينا هكذا إلي أن تفرقت بنا السبل فقد ذهب الطيب
إلي كتم وذهبت أنا إلي نبالا .

أقف بك قليلا لأصف لك مدينة الفاشر أبو زكريا، حاضرة مديرية دارفور
عاصمة السلطان علي دينار العريقة. تقوم علي كثبان الرمال، سقوف منازلها من قش
النال، المحريب، تنبعث منه رائحة طيبة منعشة عند هطول الأمطار مسورة "بصرفان"
من نفس العشب، تصان وتجدد سنويا . يجيد الفور سبكها، ونسجها، والمدينة مقسمة
إلي أحياء، حي الموظفين (الكرانك) يقف علي الجانب الغربي من المدينة، علي ربوة
عالية، ومن أشهر مبانيها قصر السلطان علي دينار الذي سكنه المدير ^(١) ومكاتب
رئاسة المديرية وهي نفس المباني التي كانت تدار منها السلطنة بإضافات طفيفة،
والطابية، رئاسة فرقة العرب الغربية التابعة لقوة دفاع السودان وبها أيضا مكاتب
المرافق الحكومية المختلفة كالأشغال والصحة ، ويفصل هذا الجزء من المدينة واد
طويل في وسطه "الملجة" وتتحدر الربوة انحداراً شديداً، الطالع يلتهث والنازل يهرول،
وقد وصفها مندوب صحيفة الحضارة ، الشيخ مصطفى التتي، من الظرفاء بـ
(النازل يرف والطالع ينف) . أما جزؤها الشرقي فيشمل السوق، والمركز ومنازل
موظفي المركز . (والخير خنقا) وبه بيوت الميارم ، الأميرات ، وهن بنات السلطان

(١) الان متحف

فتحوا مقدمتها كأفواه التماسيح، تستشق الهواء البارد، يزيل عنها الغبار والحرارة، التي مزقت أحشاءها .

أسرعنا نحو منزلنا، واستبقنا نحو الحمام ، نزيل عنا غبار الأيام، ونمنا ملء جفوننا في حي الكرانك الهادئ، حي كبار الموظفين، في منزل والدنا، الخليل أفندي الطيب الخليل، ياشمفتش تعليم المديرية، رحمه الله رحمة واسعة، فقد شملنا بأبوته وعطفه ورعايته، طيلة المدة التي قضيناها معه، حتى قيامه في بعثة دراسية للمملكة المتحدة، ولم يشأ إلا أن يترك لنا المنزل، وتركنا في رعاية صديقه الحميم أحمد أفندي جلي، قمتان بوليس مديرية دارفور، وهو رجل عطوف حازم، صارم، يحترمه الإنجليز، ويتفادونه رحمه الله، وبقينا هكذا إلي أن تفرقت بنا السبل فقد ذهب الطيب إلي كتم وذهبت أنا إلي نبالا .

أقف بك قليلا لأصف لك مدينة الفاشر أبو زكريا، حاضرة مديرية دارفور عاصمة السلطان علي دينار العريقة. تقوم علي كتبان الرمال، سقوف منازلها من قش النال، المحريب، تنبعث منه رائحة طيبة منعشة عند هطول الأمطار مسورة "بصرفان" من نفس العشب، تصان وتجدد سنويا . يجيد الفور سيكها، ونسجها، والمدينة مقسمة الي أحياء، حي الموظفين (الكرانك) يقف علي الجانب الغربي من المدينة، علي ربوة عالية، ومن أشهر مبانيها قصر السلطان علي دينار الذي سكنه المدير (٢) ومكاتب رئاسة المديرية وهي نفس المباني التي كانت تدار منها السلطنة بإضافات طفيفة، والطابية، رئاسة فرقة العرب الغربية التابعة لقوة دفاع السودان وبها أيضا مكاتب المرافق الحكومية المختلفة كالأشغال والصحة ، ويفصل هذا الجزء من المدينة وادٍ طويل في وسطه "الملجة" وتتحدّر الربوة انحداراً شديداً، الطالع يلهث والنازل يبرول، وقد وصفها مندوب صحيفة الحضارة ، الشيخ مصطفى التني، من الظرفاء بـ (النازل يرف والطالع ينف) . أما جزؤها الشرقي فيشمل السوق، والمركز ومنازل موظفي المركز . (والخير خنقا) وبه بيوت الميارم ، الأميرات ، وهن بنات السلطان

(١) الان متحف

علي دينار، وبعضاً من حاشيته، وسوق أم سوقو، الذي تجد فيه المأكولات والمشروبات المحلية والأشغال اليدوية كالطباقاة و(البرتال) وكل ما يمت إلى صناعة السعف بصلة ويضم أيضاً بيوت (الجلابة) أي القادمين من وسط وشمال السودان والمدارس .

وهناك حي آخر يسكنه أولاد الريف ، وهم دماء مصرية امتزجت بدماء محلية وهناك الفيزان الذين وفدوا من ليبيا . والفاشر تشكو شحاً في مياه الشرب ، مما جعل المسؤولين يهتمون بهذا الأمر ، فجرت دراسة علي وادي قولو ، أثبتت جدواها ، ومن ثم تم إنشاء خزان قولو، الذي وفر للمدينة حاجاتها من مياه الشرب ، وكان هذا إنجازاً يعتز به المستر "هندرسن" مدير المديرية وحفزه علي أن يكرر التجربة في وادي نيالا ، لتطوير بساتينها ، التي تزوي بالشواذيف ^(١) ولا اعتقد أن ذلك قد نفذ ولقد كتب عنها "أي الفاشر" المستر مادن نائب مدير مديرية دارفور في زمن ما وصفها وصفاً دقيقاً مزيناً بالصور وبعض الوثائق، وقد اطلعت عليه في مكتبة المديرية وعمل الباحث يعثر عليه في تلك المكتبة ان كانت لا تزال موجودة هناك، فالمجال لا يسمح بأكثر مما ذكرت .

(ب) التدريب بالمديرية : المفتش والمدير

في اليوم التالي لوصولنا ، قابلنا المستر برديج ، مفتش الرئاسة ، الذي قدمنا له الباشكاتب سليمان أفندي العتباتي ، والأول قدمنا بدوره لنائب المدير المستر دبسن ، والأخير ملاطف وطيب يحبه الموظفون ، ويلقبونه بشيخ العرب ، يجمع بين الدم الفرنسي والإنجليزي يقولون أنه " من بيت كبير" علي عكس المدير المستر "ك. د. د هندرسن" الذي لا يرتاح له ، ويتفاداه الجميع ، ففي طبعه لؤم ، وغلظة ، شرس يعرج في مشيته ، لا يتعاطف مع موظفيه حيث وصفه أحد مفتشي المراكز بأنه Fighting every single District Commissioner ومهما قيل عنه فلا يسع

(١) آلة مركبة تستعمل لرفع المياه ويكثر استخدامها في شمال السودان.

الانسان الا ان يراه إدارياً مقتدرأً ودقيقاً ، لا يتغاضي عن كثير ولا عن قليل، كاتب مرموق، حقق وحرر خطابات المتقرب الانساني، سير دقلاس نيوبولد السكرتير الإداري، الذي عاش ومات في السودان . البلد الذي أحبه . كانت خطابات نيوبولد أدباً راقياً، وفكراً ثاقباً، خص بها أصحابه من الأكاديميين، وأفراد أسرته، والإداريين السودانيين والبريطانيين، وأصحابه وما يسميهم بأبناء المستقبل الواعدين . جمعها مستر هندرسون في مجلد ضخم سماه بناء السودان الحديث The making of the Modren Sudan من يتفحصها يجد فيها متعة ادبية وافكاراً رصينة، وانسانية متدفقة، يشعر ك بأنه كان للجميع . كما جمع هندرسون مقتنيات السير دقلاس نيوبولد في كتيب سماه أخلاقيات أو موجهات الإداري، والتي تبرز شخصية نيوبولد كنوع فريد من الإداريين المرموقين، وعندما تنمغن في مقتطفاته ترى أي نوع من الاخلاق والصفات، يحمل هذا الرجل في حناياه : (نورد نصها بالانجليزية وترجمه مني للعربية) .

(1) Well – Doing is its own reward “ As a horse when he has run , a dog when he has caught the game , a bee when it has made its honey , so man when has done a good act, does not call out for other to come and see , but he goes on to another act ,as a vine goes on to produce the grapes in season .

(١) العمل الخير يجزي نفسه (وهل جزاء الاحسان الا الاحسان) . كالحصان عندما يجري والكلب عندما يصطاد فريسته، والنحلة عندما تصنع العسل، وهكذا الانسان عندما يفعل شيئاً خيراً لا يطلب من الآخرين لياثوا ويشاهدونه ولكنه يمضي في عمل خير آخر ، مثل البستان يستمر في انتاج العنب في موسمه .

(2) “ Statesman , yet friend to truth .Of soul sincere , in action faithful and in honour clear , who broke no promise , served no private end , who gained no title and who lost no friend” .

٢) رجل دولة ومع ذلك صديق للحقيقة، صافي السريرة، مخلص في عمله، شريف واضح، ولم ينقض عهداً، ولم يخدم لهدف شخصي ولم يسع لنيل لقب ولم يخسر أي صديق .

(3) "The greatest proof of esteem one can give to people whom one has the honour of controlling is not to wheedle them but to talk seriously to them, showing things as they are"

٣) ان اعظم برهان تقدير واحترام يقدمه المرء، لقوم يتولي شرف قياداتهم ان لا يتملقهم ولكن يتحدث اليهم بجدية، موضعاً لهم الحقائق كما هي .

(4) " the first duty of a civil servant is to give his undivided allegiance to the state at all times and on all occasions when the state has claim upon his services"

٤) واجب موظف الخدمة المدنية الاول أن يعطى ولاءة غير المقسم للدولة، فى كل الاوقات والظروف عندما تطالبه الدولة بتقديم خدماته .

وبالرغم من غرام هندرسن بالسير دقلاس نيوبولد وحكمته، فهو مع الاسف، لم يقتبس من الحكمة وكان للمستتر هندرسن مؤلف سماه Sudan Democratic Republic قابلنا المدير هندرسون وفى ذهننا تلك الصورة التى رسمت لنا عنه فحدثنا حديثاً طويلاً عن المديرية والادارة بصفة عامة، ولخصها فى فن التعامل مع الناس، واختصرها فى كلمتين، علم وفن، ولست متأكداً من انه كان يطبق مبدأ فن التعامل مع الناس بعطف ولطف الذى يبشر به، فانطباعاتى عنه، وقد جنبت الى المديرية فيما بعد، لا توحى بذلك .

كان قرار المدير ان نمكث برئاسة المديرية لفترة نتعرف على عملها اذ كل اعمال المراكز تصب فيها، ووضع لنا برنامجاً غطى كل أنشطة الرئاسة، مكتب الكتبة وكان على راسه، كما ذكرت، سليمان افندى العتباني، مكتب الحسابات، ويراسه

المراقب المالى عبد الله افندى حمد، رئاسة مركز الفاشر، رئاسة البوليس، رئاسة السجون، والمصالح الحكومية وهكذا كان برنامجا شاملا .

وفى مكتب الكتبة تدريبنا على قيود المكاتبات، وتوثيقها، وتصنيفها، وترتيبها ووضعها فى الملفات، وتحضير المراجع من سوابق ومكاتبات سابقة، والقوانين واللوائح التى لها صلة بالموضوع، ان استدعى الامر ذلك وتقديمها للمسئولين، حسب تقسيم العمل، فمثلا هناك القسم العمومى وقسم شئون الموظفين، الحكومة المحلية، القضاء اذ كان المدير فى ذلك الوقت هو قاضى المديرية، وكنا نقوم بكل ذلك تحت اشراف رئيس القسم الذى يراجع العمل. ويصحح ويقوم ثم يصوبنا الباشكاتب ، ان أخطانا ويتأكد من اننا استوعبنا الموضوع، ورفعناه للجهة المعنية ، لاتخاذ القرار ثم التنفيذ حسب التوجيهات التى تصدر . وفى مكتب الحسابات تدريبنا عمليا على رصد الايرادات والمنصرفات، فى الارانيك والسجلات الخاصة بها، مراجعة حسابات المراكز، وابداء الملاحظات عنها مهتدين بالميزانية والتصاديق الصادرة والقولنين واللوائح . والمراقب المالى شعله من النشاط، يكتب التعليمات للمراكز موجهها ومصوبا للاخطاء ، ويقوم بتفتيش دوري على مخازن المديرية والشون (مخازن الغلال)، والخزينة وتفتيش المراكز، وله جدول زمنى يضعه أمامه، ينفذه بدقة تقاديا للتجاوزات، وقد كنا نصحبه فى زيارات العمل تلك .

ويشمل برنامجنا زيارات المصالح المختلفة، للوقوف على انشطتها، والمجلس البلدى، ومحكمة الملك رحمة الله محمود، ومواصلة التدريب على الفروسية مع بوليس السوارى، وفى ورشة النقل الميكانيكى تدريبنا على ميكانيكية السيارات وقيادتها، وكان يشرف على تدريبنا مدير الورشة، الصول صالح، الذى اصبح مديرا لورشة النقل الميكانيكى بالخرطوم مترقيا لبمباشى (مقدم).

والتدريب فى رئاسة المديرية، حيث المدير هو القائد السياسى والادارى، إذ كان يتمتع هو بلامركزية ادارية فى القرار والتنفيذ، يتيح لك فرصة للتعرف على كيف تساس الامور فيها، وهى أيضا الوعاء الذى تصب فيه المعلومات والاحصائيات عن كل ما يمت للادارة والقبائل والادارة الاهلية، والامن والعدالة، بصلة، وهى التى تتطلق منها التعليمات، والتعميمات، وهى تقوم بدور الرقابة والتقويم الادارى، كما ان أرشيف المديرية، يذخر بثورة ضخمة فى التاريخ والاقتصاد والاجتماع، والثقافات لخليط من الاعراق التى تقطن المديرية. ومهما يكن، فهى فترة مفيدة، وهامة، وضرورية، ومفتاح لعملا بالمراكز. للمدير مجلس استشارى، كان يتكون من رؤساء المصالح : الخليل افندى الطيب باشمفتش تعليم المديرية، واحمد افندى جلى قمندان بوليس المديرية ، ودكتور احمد على زكى باشمفتش صحة المديرية، وابراهيم افندى سليمان باشمهندس الاشغال والشيخ مجذوب مالك قاضى شرعى المديرية .

ومن الشخصيات البارزة التى تعرفنا عليها فى الفاشر الملك رحمه الله محمود رئيس الادارة الاهلية. ورئيس محكمة الفاشر، وفى المركز مساعد المفتش الفاتح البدوى وحسن النور سوار الذهب المامور وسيد كامل هديب ملاحظ البوليس ود منصور عبد المجيد باشمفتش المستشفى ومن القيادة الغربية البمباشى احمد عبد الوهاب واليوزباشى الخواض محمد احمد واليوزباشى عبد الله الامير ومراقب السجون حسين حمو ومن الجلاية وهم التجار من شمال ووسط السودان، الشيخ الريح سنهورى سر تجار الفاشر على احمد حامد وقرقورى مماكس صاحب البقالة الكبرى التى كان يؤمها جميع الموظفين وغيرهم .

بعد هذه الفترة التى امتدت لاكثر من ثمانية اسابيع، أو اقل قليلا، ذهبت الى نياالا لاقضى فيها تسعة اشهر مليئة بالنشاط الإدارى. فمركز جنوب دارفور (نياالا) مركز شاسع مترامى الاطراف، يحده من الشرق مركز النهود، بمديرية كردفان، ومن

الشمال الشرقى مركز الفاشر، ومركز زالنحى^(١)، ومن الغرب أفريقيا الاستوائية (شاد وأفريقيا الوسطى الآن) وكانت تحت الحكم الفرنسى آنذاك، ومن الجنوب مركز راجا واويل "بمديرته بحر الغزال" ويفصل بينهما وبينه بحر العرب وبالمركز خليط من القبائل وأهمها عرب البقارة، الرزيقات، والهباتية والبنى هلبة، والتعايشة، والفلاتة (بقارة) ، وبنى منصور والمعاليا، ومن رعاة الابل المهرية، والفور، للفور (إدارة كبيرة تسمى بالمقدومية) . ثم تأتى اقلية من قبائل كثيرة تسكن أساسا مركز الفاشر وهم الداجو والتتجر، الزغاوة البرقد، القمر البرتى ، الترجم، بنى حسين المناصير، الفلاتة (فلاتة قوتى) ، الفلاتة (الهوسا) ، البرقو والمندلا (اهل الدار) . وهم السكان الاصليون .

ج _ فى معية مفتش المركز

كادر المركز كقاعدة يتكون من المفتش ومساعدته ومأمور ونائب مأمور، أما الوضع فى مركز نيالا فيختلف عن ذلك بعض الشيء ، لاتساع رقعته وكثرة سكانه ، وتعدد قبائله، إذ إن للمفتش مساعداً، مفتش البقارة، ومفتش المقدومية^(٢)، والمأمور ونائبه، وضابط خدمات عامة (General Service Officer) والأخير أقل درجة من نائب المأمور، وغالبا ما يكون من الضباط الذين اشتركوا فى الحرب العالمية الثانية وسرحوا، أما مفتش المركز مستر لوري فهو من خريجي جامعة كمبريدج، طويل القامة ويتمتع بجسم رياضي ومن عشاق الرياضة وقد فاز وزميل له هو مستر ولسن بجائزة سباق الزوارق بكمبريدج ، نشط حازم، ولم أره ضاحكا أو مازحا، ولكنه كان يحترم أعوانه ويشركهم فى الامر يكونه (ابوسوزان) وهى ابنته الوحيدة . مفتش البقارة مستر شيرمان شاب طويل ، انيق متغرطس معجب بنفسه واقد اصطدم

(١) كان بهذا المركز ثلاثة من الإداريين الأكفاء والمتميزين والمرموقين هم شيخ العرب على ابو من والفاضل افندى - الشفيق رعب الله أفندى الحسن الخضر الذي تولى عدة مناصب دبلوماسية ووزارات لاحقا.

(٢) المقدومية إدارة الفور ويسمى رئيسها مقدوم

بكثير من الاداريين ، وعلى كل حال لم تكن لى تجربة معه اذ وجدته منقولا للجنوب،
مترقيا لمفتش مركز رمبيك .

أما مفتش المقدومية، عبدالله أفندي محمد الأمين الخليفة عبد الله، فرجل محترم
رياضي مغرم برياضة التنس والبولو والاسكواش، مولع بالقراءة، مثقف وواسع
الاطلاع، المأمور ابراهيم أفندي الطاهر، شخصية خرطومية، على سجيّة، يحب
الفكاهة والمزاح، واجتماعي من الطراز الاول، ونائب المأمور محمد عمر يعقوب
أديب وشاعر لا ادرى لماذا اختار الادارة وهو الذي يشعرك بأن مكانه التدريس أو
هكذا كان يردد دائما.

مجتمع نيالا مجتمع صغير بعدده كبير بمعناه ، زاهر بالحيوية والنشاط ففي
المركز مولانا الشيخ عوض الله صالح القاضي الشرعي، والزعيم محمد بشير ضابط
السجن ود . رمزي محافظ الغابات ومساعد هاشم ابراهيم والشاذلي المهدي مفتش
البياتين وفي المستشفى د. محمد محمود ، ود. موريس سدره، وفي البيطرة التوم
حسن ابو، المفتش البيطري وفي الطابية اليوزباشي (نقيب) مقبول الامين، عضو
مجلس قيادة ثورة نوفمبر لاحقا، واليوزباشي محمد ادريس عبد الله، والملازم ابراهيم
الياس، والملازم جعفر النميري (الذي حكم السودان فيما بعد) .

ومولانا الشيخ عوض الله والمقبول الامين يرسلان النكتة الرفيعة ويجيدان
المزاح والمقالب الهادفة فيضيفان على مجتمعنا الصغير نكهة خاصة وبهجة وحيوية ،
وشيخ عوض الله له باع طويل في العمل الوطني العام ، يرعى ويرشد لا يكل ولا
يمل . ومن مجتمع نيالا (الجلابة) ، وهم التجار الذين وفدوا من وسط السودان،
يوسف الكاهلي ومحمد احمد الزيلعي، الصادق حمد النيل، وود عوض، خندقاوي
وكردمان واحمد البرير، وموريس زاهر واخوانه وحكمت خوشقجي وكامل دلالة
وكعيكاتي ومن الاغاريق فاسلي مماكوس ويني، رحم الله من مات منهم وأمد الله في

عمر الباقيين ، يلتفون حول بعضهم البعض، في النادي والمنازل، لا يفرق بينهم الدين او الجنس تحفهم المحبة والوئام .

ويتخذ شيخ قبيلة الفور ومقدمها، عبد الرحمن آدم رجال ذلك الرجل الهادئ الوقور المتزن، ولقبه المقدوم، من نيالا عاصمة للمقدومية، يدير منها شئون المقدومية، وبها محكمته الرئيسية، يساعده أخوه ابو محمد وابنه آدم "سمى جده" وعدد من الشراتى والخفراء المنتشرين فى الدار، وعلى عكس البقارة، فان الفور مستقرون فى قرى، ومدينة نيالا تجمع بين الحضارة والبداءة، تقف الابنية الحديثة بجانب مباني القش، وتتكون من ثلاثة احياء، حى الموظفين وحى الجلابية والسوق وحى المواطنين، وقد يكون تحديدي للاحياء غير دقيق، فأحيائها يسكنها خليط من كل هؤلاء . بها مطار صغير، ومعمل للسيرم يكفى لتطعيم الماشية بالمركز، وكان يشرف عليه الدكتور امين الكارب (البروفسير نائب مدير جامعة الخرطوم لا حقا) .

وفى أول مقابلة لى مع المفتش، مستر لورى، اعطاني فكرة عن ادارة المركز وتقسيماته، ووضع الادارة الاهلية. وتحدث عن المأموريات، التى من شأنها ان تجعلك قريبا من الاهليين، ومشاكلهم، وحلها ميدانيا، قبل ان تكبر وتتفاقم .. ويتم كل ذلك فى مشاور وتنسيق وتعاون مع الادارة الأهلية، التى تعتبر العمود الفقرى، فى حفظ الأمن والنظام، وانفاذ العدالة، كما وحدثنى عن نهجه فى العمل المكتبى، وهو ان يعرض البريد القادم وكل المكاتبات والعروضحالات، عدا المكاتبات السرية، اولا على نائب المأمور فيبت فيما يستطيع ان يبت فيه او هكذا يتدرج اتخاذ القرار الي ان يصل الي المفتش ما لا يستطيع الآخرون، ممن هم دونه، اتخاذ قرار فيه . وهكذا يتفرغ الكبار لأداء المهام الكبيرة، ومن الملف السيار (الفلمزى فايل) الذى يمر على الجميع، فى نهاية اليوم، يلم جميعنا بما اتخذ من اجراءات، وما انجز من عمل، وما صدر من مكاتبات. ومن ثم طلب المفتش من الباشكاتب، عباس التجانى، ان يمدنى بالمذكرات

(ملف التسليم والتسلم ومرشد المركز. الخ) وطلب منى أن أتعرّف على أعمال الإداريين الموجودين بالمركز ، لحين القيام معه فى مأمورية طويلة .

قضيت اياما مع الزملاء، منهمكا فى العمل الروتينى، جرد الخزانة، السيرة^(١) الاسبوعية، (يوم السبت من كل اسبوع) حول المدينة، والتي تبدأ فى الصباح الباكر بقيادة المفتش وتنتهى بتفتيش السجن، محكمة العمدة، محكمة المقدومية (الشون) أى مخازن الغلال، قشلاق البوليس، الاسطبلات والعربات التى لم يكن عددها يزيد على الثلاثة .

وفى أثناء تفتيش السجن يقوم المفتش بالمرور على المساجين للوقوف على صحتهم ونظر استئنافهم واسترحامهم وبعد ذلك يراجع سجلات السجن وتشمل مراجعة رواجع الغذاء ودفتر الافراجات ودفتر أمانات المساجين .

نحن الآن نستعد لمأمورية، برفقة المفتش الاول، الى ديار البقارة، مبتدئا بعد الغنم او حاليا (عد الفرسان) (نظارة البنى هلبة) رهيد البردي (نظارة التعايشة)، وتلس (نظارة الفلاتة) وبرام (نظارة الهبانية)، وارى قبل الحديث عن المأمورية، ان أعطى القارئ الكريم نبذة مختصرة جدا عما نسميه قبائل البقارة بمركز جنوب دارفور اخذتها واقتسمتها من مذكرات مسترج . لامين ومستر ام سى . ويردث ويرث حفيد الشاعر الانجليزى الشهير وكلاهما كان مساعد مفتش للبقارة، الاول اصبح فيما بعد مديرا لدارفور أما الثانى فقد اختير مديرا للتعاونيات .

" و البقارة كما نقول اوراقهما (اسمها بمذكرات لأنها لم تحظ بتحقيق المؤرخ الباحث) ينحدرون من جهينه، وبمرور الوقت اختلطوا واكتسبوا دماء زنجية، عن

(١) بلودها المفتش والمأمور ونائبه على صهوة جوادهم يتبعهم العمد أو المشايخ وضابط السجن وضابط البوليس يتفقدون احوال الناس وصحة البيئة

طريق التزاوج والتمازج مع قبائل جنوبية، واخرى من اهل الدار، وهى ذات اصول عربية . اطلق اسم البقارة عليهم لا متهانهم تربية الابقار وذلك تمييزا لهم عن "اهل الناقة " او الابلالة ، مربى الابل ، وعن الزراع من الفور وغيرهم .

دخلوا دارفور، كغيرهم من القبائل العربية، من مصر، عبر صحراء البيوضة واستقروا بها قبل ٤٠٠ عام ، القرن السابع عشر تقريبا ، ينتشرون فى ارض ضيقة، منبسطة، غنية بالمراعى تشح فيها المياه صيفا فيبحثون عنها جنوبا وهم والحالة هذه فى ترحال دائم، ففي الخريف، يتوجهون شمالا حيث الأراضي الرملية انقاء للذبابة، ذبابة التسي تسي، التي تتسبب في مرض البقر، وتعض الانسان فتسبب له مرض النوم القاتل . وفي زمن الخريف ينتشرون حول المدن الكبيرة، مثل نيالا لبيع الثيران والسمن والعسل، وشراء الضروريات من سكر وملابس، وعند بداية الربيع يتوجهون جنوبا، حتى بحر العرب، ويتوغلون داخل مراكز اويل، وراجا، بحثا كما ذكرنا عن الماء والمرعي الوفير، بعد أن يكون ماء الرهد والخيران والبوط (والبوط عبارة عن بقعة طينية تحفظ المياه لمدة طويلة) قد شح، ولا يبقى في الدار الا من يملكون قليلا من الماشية، يدعمونها بزراعة محاصيل . الفول السوداني، الدخن، والبطيخ من اجل مائه وحبه، والسسمم، ويجمعون العسل.

يتمتع رجال البقارة ببنية قوية، وهم قليلوا الحركة، ولا يميلون للعمل اليدوي ويحتقرون العمل بالتجارة، ويتركونه للجلابة ، ويتركون الزراعة وجلب الماء للنساء، أما الرعي فيقوم به الصبيان، يقضون اغلب الوقت تحت الاشجار الظليلة للأنس، ويحتسون الشاي بلا توقف، يتبادلون النكات ، ويبالغون في سرد بطولاتهم وخصوصا في صيد الزراف والنعام والفيل، والذي عادة ما يؤدونه في جماعات وفي المساء تنتظم حلقات الرقص فيرقصون حول نار المعسكر، نساؤهم ورجالهم صغارهم وكبارهم " انتهى .

التنظيم القبلي يبدأ بالفريق، ويتكون ما بين ١٠ إلى ٥٠ شخصاً من أسرة واحدة، أو الأسرة والأقارب، يلي ذلك خشم البيت ، الذي يتكون من عدة فرقان تكون العمودية ، وهي نظام جديد ابتدعه الانجليز للحد من سلطة الناظر، والعمد ، غالبا ما يكونون من اقارب الناظر او اهل الثقة عنده، يحملون تعليماته ويمدونه بادق اخبار القبيلة، ويجمعون الزكاوات، التي كانت فيما قبل، تجمع للسيد عبد الرحمن الميدي (لقد افردت بحثا عن الزكاوات التي اوقفها البريطانيون تدريجياً، عندما كنت بمدرسة الادارة) . انتشرت بينهم المحاكم الرئيسية، والفرعية، للبت في القضايا والمشاكل، وهي ايضا تنزير للسلطة لما دون الناظر ومناديه، حتى لا تكون السلطة حكرا على الكبار ويعيدة عن الناس .

بدأت المامورية في الصباح الساعة، ٦ صباحا، وقد جهز السائقون العربات بكل ما تتطلبه المامورية الطويلة، من بنزين، واطارات احتياطية الخ... وبعد المراجعة الدقيقة لصلاحية العربات، استقل المفتش وزوجته وطباخه والسفرجي عربية البك آب، البيد فورد، أما انا فقد اخذت مكانى بجانب السائق، فى العربة اللورى الشفرولية بقيادة الشرتاى جالس، جندى بوليس والده شرتاى بمنطقة المقدومية، وهو والد الناظر الحالى موسى جالس، ناظر قبيلة البرقد .

الجو لطيف والطريق متعة بحق، تحفه الاشجار والمروج الخضراء، وتفوح من جانبيه رائحة قش النال، المحريب، المنعشة وأرضهم خصبة تتخللها الوديان وتصلح لزراعة الفول والسمسم، ترى من على القرب قطعان من البقر، يتعدها ويرعاها صبيان القبيلة، يضعون رجل على رجل، متكئين على عصيهم الطويلة، يتفرجون على ركبنا ويلوحون بعصيهم، تحية وترحيبا، يتراءى لك من على البعد مرحات من الصيد والطيور، جداد الوادى بلونه الرمادى، والابيض، وتختال اسراب من القطا والحبار، يصادفك زراف بلونه البنى او نعام يتبختر يكسوه شعره الناعم الداكن اللون، ومرة اخرى تقف عربية المفتش ليشبع رغبته فى الصيد واشباع بطنه

من لحم طير مما يشتهون، ولكنه لا يسرف، ونحن لنا مما يصطاد نصيب. وعندما تقف العربات هكذا يسرع اليك الصبيان والكبار (بقرع) الماء واللبن، فالماء شئ عزيز لديهم . أما اللبن فهو رمز الصفاء، والنية البيضاء، وانت لا تستطيع ان ترفض "البيضا" كما يسمونها والنساء يضحكن ويرقبن، ويحكين فالمرأة البقارية تتمتع بحرية في حدود العادات، والتقاليد، والثقافة المحلية، ويطلبون من المفتش ان يستريح (ويتأنس) وهو تعبير شائع عندهم للانس والمخابرة، فيترجل مستجيبا لطلبهم، يجلس تحت الشجرة يسالهم عن حالهم وأبقارهم، يدور ابريق الشاي الاسود، لا يكاد ابريقه ينزل من الكانون الا ليعلوه مرة اخرى، دون انقطاع، يصنعون الشاي بأيديهم، فالمرأة ليس لها دور فيه الا ايقاد الفحم، وارساله للرجال لا كمال العملية، فهم يجيدون صنعه ويتلذذون لشربه، فهو متعة لا تعادلها متعة. وشاي البقارة (ثقيل) قوى اسود يسمونه " بصاغ الجرادة" من ثقله ولزوجته، فانت لا تستطيع ان تشرب منه كوبا كاملا. وبعد جلسة واصلنا الرحلة الى عد الغنم، ووادي عد الغنم تنتشر في وسطه ينابيع من الماء الصافي، وعلى عمق في متناول اليد، يأتيك الماء نبعاً تهل منه بكفك، تسقى بهائمك وتحمل ما شئت في القربة او تحمله النساء في آنية على رؤسهن باسمات، ومرحات، سعيدات، يمشين الهوينا كما يمشى الوجى الوحل .

نعبر الوادي ويتقدم نحونا الناظر، في رهط من أهله وعمدة ومثائخه، هاشا ومرحبا، يلبسون " جناح ام جكو" جلابيب فضفاضة، وناصعة البياض، وعمائيم ملفوفة بعناية، تطل من فوقها الطاقية الانصارية، او ليسوا هم ممن ينتمون الى جمعيات البرامكة، التي تعتنى بالنظافة والظرف والاناقة، هذه اباريق الشاي معدة بعناية واكوابه مصطفة، يطوفون عليك بالماء واللبن او لا ثم الشاي الذي يقولون عنه " حلال على ثلاثة، حلال على الجلابي البجبية بقريشاته، وحلال على الحريف البيقول فيه غنيواته، وحلال على البقاري البيبيعة ببقيراته، وحرام على برقو ومسايت وفلاته".

يجلس الناظر والمفتش ، ومن حوله اهل السلطة يقابلهم الاهلون الذين جاؤا للاستماع والاشتراك في الحوار والفرجة ،ومن ثم تكون مثل هذه الجلسة مثار احاديث لمدة طويلة . ابتدر الحديث الناظر وشكر المفتش علي زيارته، فبادرهم المفتش التحية وسألهم عن حالة الناس والأمن، وعن سير برامج تطعيم الماشية، بلغة عربية يحاول الحديث بتقليد ليجتيم، وبهذه المناسبة فأن المستر لوري يتحدث بلغة عربية فصيحة ويضحك الساذلي الميدي، عندما يحدثه مستر لوري عن فيضان وادي نبالا، واتلافه بساتينيا فيقول "جاء الفيضان بصفة استثنائية" وهو يقصد غير عادي يعني "Exceptional Flood" وهم بدورهم يطمئنونه علي الحالة العامة والأمن والنظام، و يؤكدون انه سيقف علي ذلك، عند طوافه علي الفرقان، وبسطوا له شكاوهم من الذبابة والطاعون البقري، الذي يكاد ان يكون قد اختفي ولكن يريدون استئصاله، ومن أبو قنيت، وابدوا عدم ارتياحهم من فريق التطعيم، الذي لم يمكث معهم الوقت الكافي . والمفتش يدون كل هذه الملاحظات ليرد عليها او لاتخاذ الاجراءات اللازمة حيالها . واوضحوا له "ان التمرجي البيطري " نقل ولم يصل خلقه ويذكرونه يوعد د بارست ثيران تحسين النسل ، ولما تصل بعد .

وحتى يكون علي بينة من الأمر طلب الاحصائية لما تم تطعيمه، بالتقريب، لمقارنتها بالعدد الكلي، حتى يتسني له ان يتفق مع المفتش البيطري بنبالا لمواصلة التطعيم، في برنامج لاحق أما " التمرجي" البيطري فقد أرسل خلقه بعد رجوعه مباشرة، وأما توقف البرامج فقد حصل لبس في الاحصائيات، ووعد المفتش البيطري بمواصلة حملة التطعيم، وتصويب الخطأ، وجاء دور مساعد الحكيم الذي شرح الأمراض المنقضية، التراكوما، الأمراض الجنسية، وغيرها، التي تستحق العناية، وبين ان الاحصائيات ارسلت للمفتش الطبي بنبالا، الذي وعد بزيارتهم واحضار الانوية اللازمة معه .

طلب الناظر مدهم بادوات صيانة الطرق، واوضحوا جهودهم في تنفيذ خطوط النار (وهي عبارة عن فواصل يزال منها الكلا حتى لا تتسرب النار للأماكن المجاورة) ومكافحة الجراد. ومن ناحية اخرى ابدوا اعجابهم ببرنامج السينما المتجولة، وبأحمد سينما بالذات (مأمور السينما) كما يسمونه، وهي تسمية محببة اليه، وطلبوا بالمزيد من طوافها عليهم ، وكما وضحوا ان لهم رجاء ان تشمل خدمات البص، الذي يعمل في طريق نبالا / الضعين / ابومطارق برام/ نبالا/ ان تشملهم بفتح خط اخر بين نبالا/ عد الغنم / تلس / نبالا وذكروا لهم المفتش ان هذه خدمة يقدمها المجلس وان الطلب معقول وعليهم ان يثيروه في جلسة المجلس القادمة وسيسانده بصفته رئيس المجلس.

نقل لهم المفتش ان فريقا مكونا من الجيش والبوليس والبيطري، سيطوف لشراء متطلبات الجيش والبوليس من الخيل، وأن المنافسة شديدة ولا بد ان يبرزوا أفضل ما عندهم من خيول لينالوا حظهم من الكوته، وابدى لهم ارتياحه لتحصيل ربط الضرائب، ومن ثم صدق بصرف المكافآت للمشائخ ولغيرهم ممن يستحقونها، وعرج علي موضوع اولئك الذين خرقوا الاتفاق، الذي يقضي بأن لا يدخل البني هلبة بماشيتهم، مركز زالنجي، عن طريق كيم، قبل التاريخ المحدد وهو ١٥ يناير حرصا علي عدم إتلاف الزراعة، ومن ثم فرضت غرامة علي المخالفين، وقدر تعويض مناسب للذين اتلف زرعهم . وبعد الاطمئنان علي حالة الأمن من التقارير الشفهية من العمدة، قام المفتش بطواف علي منطقة كيم ونواحي الدار الأخرى، ويتوقف عند الفرقان للوقوف علي الأحوال بنفسه ، ويتفقد حالة المواطنين والأمن وفي هذه الأثناء كانت زوجة المفتش في جلسة مع نساء الناظر وفتيات الحي، في زريبة الناظر، وهي تحوى مساكنه ومساكن حاشيته، ينادونها التركية، فلا زال رجال الإدارة عندهم اتراك، وفي المساء وبعد جلسة خاصة بين الناظر والمفتش حضرنا حلقة رقص حول نار المعسكر التي يضئ نورها المكان ، فكلما خبا ضوءها زادوها حطباً . يشترك في

الرقص الفتيان والرجال والفتيات بزيّنتهن وضحكتهن وهمساتهن، والحكمة تتغنى بالبطولات ومواقف الشجاعة وترغرد النساء للفرسان وهم يحكون مغامراتهم ومواقفهم البطولية، ويتبارون في ذلك ملوحين "بشلكاياتهم" حرابهم "يتتبرون" يفتخرون. بعدها نرجع للاستراحة يبدأ المفتش في تدوين مذكراته علي ضوء (الرئينة) ليتولى تنفيذها وليضمن ما يراه مناسباً في تقرير المركز الشهري ، الذي يرسل للمديرية .

وفي الصباح الباكر بدأ الطواف علي المرافق العامة بعد الغنم. نقطة البوليس اولا لتلقي التحية ثم (فرش متاح) وهو تفقد معدات ومهمات وسلاح البوليس، ومراجعة سجلات الجريمة، وتدوين الملاحظات في السجل، ومن ثم الطواف علي الشفخانة للتأكد من وفرة الادوية، والتعرف علي الأمراض السائدة والاحصائيات، ومن هناك للشفخانة البيطرية لنفس الاغراض . تلي ذلك زيارة لمحكمة الناظر للبت في الاستئنافات والشكاوي، ومراجعة الاحكام، وصحة تدوينها، والتأكد من توريد الغرامات . والملاحظ ان اكثر القضايا مخالقات وتعديات علي الزراعة والمراعي، وغالبا ما تنتهي بالصلح . في اثناء زيارتنا لهم طرحت علي المحكمة قضية احوال شخصية، ولم يتمكنوا من البت فيها فأخطرهم المفتش بانها قضية شرعية خارج اختصاصهم، وطالما لم يستطيعوا حسمها بالصلح حسب العادات والتقاليد، فعليهم تركها لمحكمة المرور الشرعية. التي تطوف عليهم في فترات. تلاحظ ان كاتب المحكمة لم يكن دقيقا في تدوين ملخص القضايا والحكم بالطريقة الصحيحة وطلب المفتش من الناظر ان يرسله الي نبالا ليلقى مزيدا من التدريب ، وقد فعل .

ناظر القبيلة الشيخ عيسى إبراهيم دبكة شخصية طيبة، وقورة، قليل الحديث، ويبدو هادئا طويلاً وتكسو وجهه وترينه لحية كثيفة يتخللها الشيب، وهناك شخصية اخرى سعدت كثيرا بلقائنا والتحدث اليها ذلكم هو الأخ / عبد الرحمن إبراهيم دبكة أخ الناظر، نال قسطا من التعليم ، متحدث لبق وله آراء جيدة ولكنه ظل مهمشا، وهذا وضع ليس بالغريب علي المجتمع القبلي، الذي يغلب فيه الحذر من (المفلهمين)

فضلا عن ذلك فمجتمع البقارة كغيره من مجتمعات الرعاة تكثر فيه الدسائس والمكايدات، وربما هو فريسة لذلك ولكنه ظل صامتا وصابرا، حتى حانت الفرصة في انتخابات ١٩٥٣م اذ ترشح وفاز علي مبادئ حزب الامة، وقد كان متميزا في البرلمان فكرمه حزب الامة، باتاحة الفرصة له، ويقال لانه كان اصغر الاعضاء بتقديم اقتراح الاستقلال من داخل البرلمان .

د- في رهيد البردي

ومن عد الغنم لرهيد البردي مقر ناظر التعايشة، وعاصمة القبيلة، والطريق لا يختلف في مناظره وبيئته وطبيعته عن الذي وصفناه، والناس في سحتهم وعاداتهم كالذين قابلناهم، ولكن لاحظنا وعورة في الطريق دليل علي الاهمال، وضعف الرقابة، مما دعا المفتش لعدم صرف أي مكافأة للعاملين عليه، الا بعد ان تتم الصيانة علي المستوى المطلوب . نزلنا بالاستراحة، وقابلنا الشيخ السنوسي علي السنوسي، ابن الناظر مع جمع من رجال الادارة الأهلية . (نلاحظ هنا وفي عد الغنم عدم التجمعات المفتعلة والمقصودة ، ومن يأتي من نفسه يكون قصده الفرجة اولا، او الاشتراك في الحوار او بث شكواه) . ونجلس في الراكوبة الرحبة، المفروشة بالبروش مع وجود بعض الكراسي، ولفت نظري حبل ممتد من الباب الخلفي الي مؤخرة الراكوبة، مربوط علي عمودين ربطا محكما، فعجبت له ولكن عجبني لم يدم كثيرا فقد جاء الناظر علي السنوسي يستند علي شخصين، ومن ثم امسك باول الحبل وبدأ يمشي نحو المفتش الذي انتظره واقفا وحياء، وكذلك فعلنا نحن . الناظر علي السنوسي عمره يناهز المائة، وقد كان اميرا في المهدية، جاهد وشارك في معاركها، لاسيما تلك التي كانت في شمال السودان، ضد حملات استعادة السودان ويمسك بالسلطة وبعض عليها بالنواجز فقد قال له الناظر ابراهيم موسى مرة مازحا ومثيرا له، لانه يعرف مقدار تمسكه بالسلطة " يُبِ الناظر الحكومة جينالك ناظر" فثار محتجا " كَوَ انا حي ما بدخل بلدي ناظر" فطمأنه الناظر ابراهيم ، "ده ناظر مدرسة" فرد عليه الناظر علي السنوسي

"ما ثقلي فقير ساكت" . وابنه السنوسي كان عمره يزيد علي السبعين آنذاك، ويناديه (الول)، يعتمد البريطانيون ان يتركوه علي هذا الوهم (يملك ولا يحكم) حتى لا يخدشوا كبرياءه وان يكون الفاعل الحقيقي هو الابن . ويؤدي العمد والمشائخ دورهم ويديرون شؤون القبيلة ويحافظون علي أمنها، علي ان يكون هو رمزا ومستشارا تقديرا لما قدمه من خدمات فمثل هذا الرمز لا يكرم بالاحالة علي المعاش. وفجأة يطلب الناظر من المفتش ان يتولى تغيير طقم اسنانه عند زيارته للخرطوم، وفي لباقة رد المفتش انه يسعده ان يقوم بهذه الخدمة، ولكن يتطلب الأمر ان يذهب هو معه للخرطوم، لان العملية تتطلب وجوده شخصيا.

وبما ان الخدمات مشتركة بين البني هلبة والتعايشة، فلم يكن هناك الكثير مما نقوم به. نظر المفتش الاستئنافات والعرائض التي قدمت له، وهي تخص المرعي والتعديت علي الزراعة، وكان دفتر المحكمة يكاد يكون خاليا من القضايا الكبيرة، إذ ان كل شئ بيت فيه شفاهة عن طريق الصلح، فلا ضرر ولا ضرار، ولم يكن هناك اعتراض علي الحكم بالتراضي، والصلح، ولكن اشار عليهم المفتش بانه يجب ان يكون ذلك مدونا في سجل المحكمة، للرجوع اليه، وقد طلب منهم ان يسيروا علي هذا النهج في كل قضية تعرض عليهم.

الشيخوخة والخمول والملل يعم إدارة هذه القبيلة الصغيرة، التي هاجر أهلها إلي أم درمان والنيل الأزرق والأبيض، انها حقا المستعمرة المستقلة المُقعدة كما يسميها مستر لوري، ومهما يكن الأمر فإن الأمن والاستقرار يسودانها، بفضل تكاتف المناديب والعمد والمشائخ مع السنوسي، فالأمن والاستقرار مسئولية جماعية عند القبيلة، ولن يفرطوا فيهما، كما ان مفتش البقارة يركز علي هذه المنطقة بصفة خاصة، للأسباب التي مر ذكرها.

تمت زيارة لنقطة ام دافوق، التي تقع علي الحدود بين مركز جنوب دارفور والسودان الفرنسي، (أفريقيا الوسطى الآن) وهذه مناطق تماس تحظى بعناية خاصة، حيث تختلط وتلتقي قبيلة التعايشة مع قبائل اخرى، من الجانب الآخر مما يسبب الاحتكاك والمشاكل، وفي هذه الزيارة تم الوقوف علي حالة المواطنين وماشيتهم وامنهم واستقرارهم .

هـ - ومن رهيد البردي الي تلس

والي تلس، عاصمة قبيلة الفلاتة، التي تمتد جذورها الي قبائل الفلاني الحامية، وتنقسم الي فرعين هما (الاىكا و الابا)، يتحدثون العربية ولا ينطقون سواها، ألوانهم فاتحة، قويو البنية، نساؤهم جميلات . ليست لهم صلة بالعرب، ويشتركون معهم في التسمية بقارة. دخلوا السودان من أفريقيا الاستوائية الفرنسية، أبقارهم ممتازة يهتمون برعايتها، وخيولهم من أجود الخيول، وتتفوق علي خيول غيرهم من البقارة، مزارعون نشطون، عاصمتهم تلس، سوق محاصيل مشهورة يرد إليها السمسر والفل والدخن، ولعسلهم شهرة خاصة، تنتشر أبقارهم في ديار البقارة المجاورة، يقاسمونهم المرعي بدون مشاكل تذكر، ويتفادون الوقوع في مشاكل مع جيرانهم .

قضينا بها ليلة هادئة، وفي الصباح قام المفتش بنفس البرنامج، الذي نفذه بعد الغنم، وفي الظهيرة رتب الناظر عيسى السمانى واعوانه عرضا لابقارهم وخيولهم، واقم سباق للخيول احتفاءً بالزوار وإظهاراً لجهود القبيلة في الانتاج، والمحافظة علي المستوى الرفيع الذي عرفوا به وقدم لهم المفتش جوائز مالية تشجيعا وتحفيزا لهم فهذه منطقة يعول عليها المفتش في التنمية الزراعية وتطوير الماشية .

وفي الطواف علي السوق طلب التجار زيادة حصتهم من سكر الخريف، وبسطوا شكاوهم مستأنفين ضد ضريبة الأرباح، فأبدى تعاطفه معهم ووعد بنظرها في

نيالا واستجاب لمطلب منهم، ان تكون لهم لجنة ضريبة خاصة بهم، تجتمع في نثر برناسته أو المأمور، لتلم بأحوالهم المادية ويكون التقدير واقعيًا .

وفي اجتماع مع الناظر وأعوانه، أثرت مسألة تدفق الفلاتة امبررو علي المنطقة، والتي تفاقت هذه السنة، وافدين بأبقارهم من أفريقيا الاستوائية الفرنسية (الآن شاد وأفريقيا الوسطى) طلبا للمرعى الجيد والماء وفرارا من الضرائب الباهظة التي تفرضها عليهم حكومتهم، التي لم تكن تقوى علي الحد من هجرتهم إلي السودان، وهكذا أفلت الأمر من يدها . قال المفتش ردا علي شكواهم، ان هذه مشكلة شائكة وحلها ليس بالهين، واصبحت اكبر مما يتصورون فقد توغل الامبررو حتى وصلوا جنوب مديرية النيل الازرق (الآن ثلاثة ولايات، الجزيرة، النيل الأبيض والنيل الازرق) وبين لهم ان الأمر قد درس ويحتاج إلي اجتماع بين المفتشين المتجاورين، ثم علي مستوى اعلى، بين الحكومتين، واذأ كل الاحتمالات وارده، في فرض ضرائب باهظة عليهم تجبرهم علي العودة لبلادهم او ابعادهم بواسطة قوة دفاع السودان، ان استدعى الأمر ذلك، (اعتقد ان تسلمهم لازال قائما).

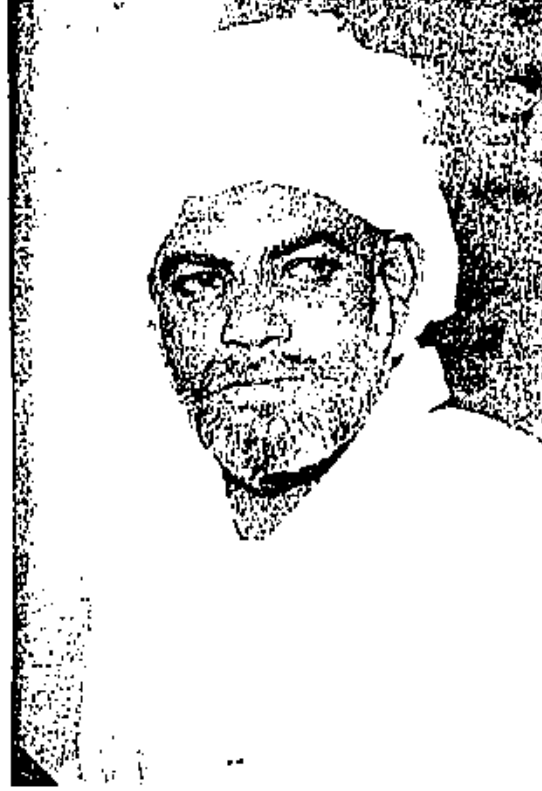
الفلاتة الامبررو متوحشون، ومقاتلون مستميتون، غريبو الاطوار، لا يتحذون مع الغرباء، وهناك اعتقاد بانهم سحرة لغموضهم وحركاتهم المريبة، ويعتقد الاهالي بانهم يحملون حرابا وأسهما مسمومة، بقرهم لا تقل وحشية منهم، تميزها قرون طويلة، ينادونها بلغة خاصة فتتجمع وتتشابك قرونها، فيكون فكاكها مستحيلا لغيرهم، يخافهم السكان المحليين، ويتركونهم يسرحون ويمرحون كما يشاءون، وبالرغم من كل ذلك تجدهم حريصين علي عدم التعدي علي المزارع . والناظر بحكمته وبمعاونة العمد والمشايخ، تعهدوا علي حفظ السلام والأمن والاستقرار، ومنع أي احتكاك بينهم وبين الامبررو وباتفاق مع مشائخهم تم حصرهم في أماكن معينة، كاجراءات مؤقتة دون الاعتراف لهم بحق البقاء بينهم .

عجيب امر هؤلاء الفلاتة "البقارة" فهم والامبررو ينحدرون من جذور واحدة (الفلاني)، ومع ذلك ينكرون علي الامبررو مشاركتهم المرعى والماء وهم الذين فعلوها قبل مائة عام، ولكنهم اصبحوا عربا لغة وسلوكا، وقد تضاعف عددهم وضافت بهم الدار علي رحابنها، فلا يطيقون هجرة جديدة، هذه طبيعة البشر التي تحافظ علي البقاء، وترفض مضايقات الوافدين لهم ومشاركتهم في اسباب معيشتهم.

اثرت مشاكل اخرى صغيرة مثل قضية (التقل) وهو نوع ضخم من القروء يخرب الزرع ويهاجم الماشية فوعدهم المفتش بتخصيص حملة لابادتها "بالاستركنين" بالتشاور مع المفتش البيطري ومن الصدف المحزنة ان الناظر السماني، والد الناظر علي، جاء من نيالا يحمل معه قتيلين من الدواء احدهما شراب "للسعال" للانسان والآخر سم "الاستركنين" القاتل الذي يوضع في "المريسة" فيتأوله التقل فيموت في الحال . اخطأ الناظر فشرب من الاخير فمات رحمه الله .

بعد الطواف علي قرى الفلاتة، وهي منتشرة حول تلس، علي ظهور الخيل ، وضع لنا مجهود الادارة الأهلية . في مكافحة الجراد والآفات والحفاظ علي خطوط النار فكانت النتيجة وفرة في المحصول الشئ الذي جعل الادارة تفكر في ادخال الزراعة الآلية، كهدف من اهداف التنمية، علي ان لا يكون ذلك علي حساب المرعى، وهكذا قرر ان تاتي بعثة من مصلحة الزراعة لهذا الغرض، بعد هذا اتجينا الي برام عاصمة الهبانية كان في مقابلتنا الناظر علي الغالي تاج الدين ناظر الهبانية وهو شخصية مؤثرة ، ممثلنا صحة وحيوية، ونشاطا، في اواخر الثلاثينات، معتدا بنفسه في ثقة متناهية، ومتحدي مما يسبب له الاحتكاك بالمسؤولين، الذين يعملون لكبح جماحه، فقد انفتح علي المجتمع بفضل تطلعاته وبفضل الفترة التدريبية التي قضاهها بمركز نيالا . تجمعته المصاهرة مع العتبانية بأمر درمان. فهو يحاول أن يلائم بين البداوة والحضارة، نزلنا بالاستراحة وهو مبني من ذي شقين، أحدهما مبني من الآجر، بناية متينة وعله كان منزل المفتش، عندما كانت برام مركزاً فرعياً، تم قفله

في الثلاثينات مثله مثل تلك المراكز التي قفلت للضائقة المالية العالمية، وآخر من الدرادر وهي قطاطي من الاجر يعلوها سقف من القش، وبشرف عليها الخفير الخثيم، شخصية يعرفها الجميع ولها تحركات مشبوهة .



الناظر/ علي العالي ناظر الهبانية - جنوب دارفور

بعد قضاء ليلة هادئة تمت زيارة المرافق العامة، وخص المفتش المدرسة الاولى بوقت مناسب، فهي الوحيدة في المنطقة ، ناظرها إبراهيم عبد الهادي من خريجي بخت الرضا، والذي عرفته من ايام الدراسة . وكان النظام والحضور مشرفا، ولا حاجة لاتحدث عن بقية المرافق فان ما أثير فيها من مواضيع لا يختلف عن تلك

لشي زرتها في عند العظم ولكن وانصح ان الناظر على الغائي لصوق بالمستأثرين .
ولم بما يجرى في مرافقهم ويشترك في المرح والتوسيع والاحتياجات .

ثم اجتاح مع الناظر ووكيله وبعض العمدة بحثت فيه كثيرا من المواضع
المنطقة بمنون المنطقة والامر الذي طماننا عليه هو انما على الفرقان في طريقنا الى
"الزوم" منطقة على بحر العرب، وسكانها من الزرقاء، كما يسميهم عرب الجزيرة
لأنهم ان هناك اجهاج فلهم ازجوج الناظر من الزوم لوكنتي اجازة الجمرية
المنطقة فيهم .

في الزوم قايما العمدة الزقالي، منقذاً لرحاء، وقد تناول قميصا كبيرا من
المشروبات، غداء وكفا، وعرفت ان هذه عادته فهو لا يطوي ان يرى الكأس فارغا
ولا يرضى، ويحضر كعادته المستأثرين عندما يرونه على هذه العادة بأن الزوم يظهر
الاولاد . كان حاضر الشين وسكتها بكامل قواه العقلية وتوازله وسلوكه، فقد اعتاد
على ذلك السلوك، وهو مني يقول لدى المجمع الذي يعيش فيه ولا يشارك مع
المراسم والتقاليد المائدة في معتقداتهم .

تخبر المفضل عندما وجد المخرسة "صحت الفرجة" حالة من التلامس الا قليل
ومثلب من العمدة ان يرضى مجهودا خاصا لجلب التامز، والفاخ ابلهم بلواند المعلوم ان
لا يجوز ولانهم مقولة نحو الحكم الذاتي، ان يكونوا هم بلا ادنى معلوم . النقط المخبئة
العمدة الزقالي وقال "حكيم ذاتي، خلونا منه شرفا لونا كذايم هو نسا مع انهباتية" وممكنة
لشرك وتوزها وجوز الهباتية ببحر العرب، بحثا عن الرعي الجيد والماء بجانب ذلك
يقضون السكك في صعيد السمك، وهي تروى بعلم عليها المخبئون في توفير المسؤولية
ثمراه ما يلزمهم من ضرورتها، بعد ان يخلفونه ويؤمنونه هكذا . ذكر له المفضل ان
هذا الامر محكوم باتفاق مع الهباتية، وسيظل هذا الاتفاق قائما وانه سيذكر الناظر
بذلك عند رجوعه حتى تكلف يلوده بواسطة العمدة والمشتري، ثم احضر المفضل العمدة

بوفد سيأتي من جنوب أفريقيا لزيارة المنطقة "حفرة النحاس" لدراسة جدوى استثماره وسيعود ذلك عليهم وعلى السودان بالخير ومن ثم تفقدنا منطقة حفرة النحاس برفقته وكانت هذه بدورها فرصة لتفقد احوال ، الزراعة والأمن وغيرها. العمدة الزقال يبقى رمزا للسلطة، ويحافظ على سلام واستقرار أهله، محبوب ومقبول لديهم وهم قانعون به ولكنه مع ذلك يبقى رمزاً للتخلف .

قرر المفتش تكوين لجنة مصغرة لمعاونة العمدة من ناظر المدرسة ، ضابط الصحة، المساعد، البيطري وشيخ الردوم لحث الاهالي لارسال ابنائهم للمدرسة وللتوعية وصيانة الطرق ونظافة المدينة .

وفي ليلة قضيناها في برام التقي المفتش مع الناظر، علي حده، ولقد علمت انه بحث مواضيع تخص سد الفراغ الذي سيتركه عند تغيبه بالخرطوم ^(١) وهذا يحتاج إلى تعيين شخص يثق فيه الناظر ومقبول لدى الأهالي والسلطات لينوب عنه . كما بحث موضوع المجلس الفرعي ببرام، كتجربة رائدة كمجلس فرعي لمجلس جنوب دارفور في منطقة البقارة. كما أخطره بموضوع تطوير زراعة الارز، الذي ينمو طبيعياً في البوط ^(٢)، بطرق حديثه وأن وفداً من وزارة الزراعة سيصلهم لهذا الغرض .

والي هنا اتوقف عن الحديث حول (الكلكة) دار الهبانية لأصله عندما اعود اليها بمهام الضابط التنفيذي لمجلسها الفرعي بصفة مؤقتة .

عدنا إلى نيالا مروراً بقرية قريضة التي قضينا فيها يوماً كاملاً، وقريضة عبارة عن جزيرة ما بين نيالا وبرام ، ويسكنها المسالييت، ورئيس الإدارة يلقب بالملك ^(٣) بيتها

(١) الثالث كان في غربة طويلة للعاصمة
(٢) البوطه عبارة عن قطعة ارض طينية عميقة تحفظ الماء لمدة طويلة.
(٣) يصفه الملث بـ Dim and dull باهت ومتبلد الإحساس

الاجتماعية تختلف عن بيئة البقارة، التي يسودها المرح والدفء والالفة للغريب . هنا الوضع جد مختلف، انكماش وحذر وتجهم . يحرص ملكهم ان يجنبهم المشاكل والاحتكاك، ويحرص أهلها علي ان يعيشوا بسلام مع جيرانهم . يحافظ ملكهم علي الأمن والنظام في منطقته، وله محكمة نشطة في محاكمة الجريمة التي تنحصر في التعدي بانواعه الجنسي والمنزلي وعلي المال والممتلكات ، ومثل هذه القضايا ان لم تحسم في حينها تقود للعنف والقتل وهم يبتون فيها حسب العادات والعرف وغالبا ما تنتهي بالتعويضات والصلح وفي حالات يلجأون الي الغرامة والسجن . ففي قضية زنا حكم علي الزاني بالغرامة ويبدو ان الحكم لم يكن رادعا فعاد الكرة واشتبك مع زوج المرأة فقتله فكانت جريمة قتل غير عمد، سنتحدث عنها في موضع آخر، سجل المحكمة محفوظ بعناية في كيس من القماش وبمراجعتة وجدنا ان الغرامات تم توريدها واحكام السجن نفذت بدقة.

وكغيرهم من الاقليات التي تسكن بين القبائل الكبيرة، تجدهم يحافظون علي علاقات طيبة مع تلك القبائل في احترام متبادل وتعاون، تفاديا للمشاكل يمتنعون الزراعة والصيد، ولديهم من الحيوانات ما يكفي لغذائهم وتنقلهم.

هذه مامورية طويلة شملت اربعة نظارات ولكنها مثيرة وشيقة ومفيدة لتلميذ الادارة الذي ينشد المعرفة والتدريب العملي، لقد هيات لي الفرصة للالمام بما تقوم به الادارة الالهية الفاعلة والدور الكبير الذي تضطلع به في حفظ الامن والنظام والاستقرار وهي تنتشر بين المواطنين، الذين يدينون لها بما ينعمون به من حياة هادئة فيهيونيا الولاء والاخلاص، ويسندونها بمسؤولية جماعية في حالات تستدعي ذلك مثل دفع التعويضات، والحفاظ علي السلام والاستقرار وبسط العدالة بين المواطنين وبذلك اكتسبت محاكمهم سمعة طيبة وحازت علي ثقة المواطنين الذين عادة لا يلجأون الي محاكم لا تحوز علي ثقتهم.

وهناك دور كبير تؤديه الإدارة الأهلية . في جباية الضرائب فهي تقوم بتقدير الضرائب وجمعها بكفاءة، وبأقل تكلفة . ولقد أثار إعجابي إن أمور وشئون القبيلة تطرح علي الجميع، وفي حوار مفتوح وهادئ، يشترك فيه عامة الناس، وما يتوصلون إليه يكون مسئولية الجميع، في تنفيذه والوقوف من خلفه وقفة رجل واحد أنها ديمقراطية أصيلة .

دور آخر يؤديه هؤلاء النفر في تقديم بعض الخدمات التي لا تحتاج لميزة فنية مثل المشاركة في صيانة الطرق الترابية، مكافحة الآفات، والحفاظ علي المراعي والتبليغ عن الجريمة وكل ما يخل بالسلام والاستقرار، كما وقفنا علي ما تحتاجه الإدارة الأهلية من توجيه وتصويب أخطاء وتطوير ، وكيفية إحتوائها تحت مظلة المجالس المحلية .

إضافة الي ذلك فإن هذا الطواف المتأني، البعيد عن التهريج والتجمعات المصطنعة ، يقرب السلطة إلى الناس ويجعلهم يحسون بها كما أنه يحكم الرقابة . فلا يقلت زمام الأمور من اليد ويحد من التجاوزات، أياً كان نوعها، ومثل هذه المأموريات لها فوائد جمة، فهي تثقيف الشخص في ملامح المجتمع السوداني وادبيته وثقافته ، وقبائل البقارة علي سبيل المثال لها من التقاليد والعادات ما لا يجده الإنسان في مجتمع قبلي آخر .

وهكذا تنتهي هذه المأمورية ونعود الي نياالا نلتقط انفاسنا نستقر ونستعرض تلك الايام، التي حفلت بالحياة والنشاط والتنوع، وهي بلا شك تمرين عملي في ميادين الإدارة وشؤونها . واستعرض شريط ما سمعت ورأيت، فيزداد تشوقي الي جولة أخرى . نسرع لقراءة خطابات وصلت لنا ونتلطف لنتصفح الصحف التي اوصيت ان يحتفظ لي بها ، صديقي محمد طيفور مساعد وكيل البوستان، وملتقط بعض

الاخبار من هنا وهناك لنواصل الصلة ببقية انحاء السودان، ويأتوننا بالاخبار القادمون بالواري التجارية وموظفو البوستة .

وفي هذا الأثناء وقبل ان يتلنا العمل المكتبي وقبل ان نسترخي وننغمس في جو المدينة الهادئة واجتماعياتها، تأتيني مذكرة من المفتش لاتابع بعض المواضيع الصغيرة التي اثرت في المأمورية مع ضابط البوليس وضابط السجن وملاحظ الأعمال الاغريقي كمتراس ويناديه العامة "كوم تراب" يقابلها بروح مرحة، ولقد نفذت كل ما اوكل الي ورفعت مذكرة بذلك للمفتش أما المواضيع الكبيرة فبئس لاهما هو بنفسه، مع مساعديه و رؤساء المصالح ورئاسة المديرية، ويوثق ذلك في مذكرات يودعها الملفات الخاصة بها ومن ثم يطلع عليها الاداريون، ويعلقون اذا شاءوا ويؤشرون بالعلم وهكذا يتبادلون المعلومة، ويقفون علي مجريات الأمور . ثم يرد هو كتابياً وعملياً علي رجال الإدارة الأهلية. حفاظاً علي المصداقية والجدية في تنفيذ ما وعد به، ويعتبر ذلك اساساً لحكم يحرص علي ان يحوز علي ثقة الناس ويحتفظ ببيئته .

صرفت بدل السفرية ثلاثة جنيهاً، بمعدل خمسة وعشرون قرشاً في اليوم وكانت كافية لتغطية ضروريات الحياة اليومية في ايام كان ثمن ^(١) (وقة) اللحم الضائي ٤ قرشاً و(قرعة) اللبن بقرشين و (كورة) البيض قرشين ومرتب الطياخ جنيهين في الشهر .. تلك رفاهية خلت .

و - في معية مفتش البقارة

تابعت العمل المكتبي مع المأمور ونائبه وضابط البوليس وضابط السجن، وهو عمل مكرر، يحد من رتافته حضورك بعض جلسات محكمة المقدمية، أو قضايا المحاكم الصغرى والكبرى التي يرأسها المفتش ومساعدوه، أو زيارة تقوم بها لمكتب

(١) الإفة تساوي ٢/٤ و ٢ رطل

الغابات أو البيطري . وتمضي الأيام ويحين الوقت لمأمورية ثانية . هذه المرة إلى دار الرزيقات، في رفقة مفتش البقارة الجديد المستر اير Eyre ، وعلي غير العادة في اختيار مساعد مفتش للبقارة، الذي يمتاز بالقامة السامقة والوجاهة واللباقة، جاء صاحبنا هذا (قَلِيل) اقرب الي القصر منه الي الطول، وعلي هذا علق محمد عمر يعقوب نائب المأمور "انت هذه المرة تذهب مع شخصية غير مؤثرة، فالبقارة يعشقون القامة الطويلة المتسقة والمحدث اللبق" فقلت له وانا لست طويلا فقال لي مازحا "انت لست مفتشهم ولو صحبتته انا لخطفت منه الاضواء" ! وقد كان محمد عمر يعقوب رحمه الله طويلا ورياضيا ومحدثا بارعا .

وزيارة العمل لدار الرزيقات لها نكهتها الخاصة، فهي اكبر قبائل البقارة في جنوب دارفور، تعيش بينها قبائل اخرى مثل (المندلا) ، الذين يناديهم الناظر إبراهيم موسى، باهل الدار احتراما وتقديرا لهم، وهم في الواقع سكان الدار الخالص، ومثل المعاليا الذين يمثلون خميرة عكنة للرزيقات^(١)، بمشاكل ما ان تنطفئ حتى تندلع مرة اخرى، فيحتويها الناظر بحكمته، وتراقبها السلطات في نبالا عن كثب لتحسم في حينها حتى لا تتطور .

الاستعداد للجولة لا يختلف عن تلك التي سبق وصفها، وكذلك الطريق والحيوانات البرية، ولكن مفتشنا هذا لم يهتم بالصيد، وهو متحفظ في كل شيء . وفي الطريق وبعد مسيرة ساعتين او ثلاثة لا اذكر، توقفنا في مهاجرية، وهي في منتصف الطريق إلى الضعين . ومهاجرية تستحق التوقف عندها فهي ذات طبيعة آخاذه، اشجارها باسقة ظليلة، أرضها طيبة تنمو عليها اعشاب مزهرة، تنتشر فيها آبار، مياهها غزيرة وتأوي اليها قبائل كثيرة، منهم المهرية اهل الناقة (الأباله)، أي رعاية الابل ينهلون من مائها العذب، وترتوي ماشيتهم ، يطربون يسرحون ويمرحون . هنا

(١) المعاليا يريدون لهم نظارة خاصة بهم في دار الرزيقات والآخرين يعارضون الفكرة من منطلق ان الدار دارهم وهكذا تبدأ المشاكل التي تنتهي بالصالح ريثما تبدأ مرة أخرى.

يجتمع مشايخها يحلون المشاكل، ويحفظون الأمن ويقضون فيما شجر بينهم، فتمضي أيامهم في أمن وسلام، طفنا عليهم فكانت الضروريات متوفرة، وإدارة شئونهم مطمئنة بفضل يقظة مشائخهم، كما أن السوق عامرة بالانتاج المحلي، من دخن، وفول وسمسم وسمن وعسل .

وصلنا الضعين مروراً بكليكي أبو سلامة، وصلنا قبل المغيب وفي داره العامرة، تلك الزريبة الواسعة الرحبة، قابلنا الناظر إبراهيم موسي، وقد جلس علي كرسي وحوله الناس، جلابة، أعوانه وعشيرته، يجلسون علي البروش ويقترون الرمل البيضاء، التي تكسوا الدار، وتقف علي القرب راكوبة فسيحة، عبارة عن صالون يجلس فيه الناظر أثناء النهار. كلهم جاءوا مهنيين بمقدمه من الخرطوم، في عطلة الجمعية التشريعية. كان كما علمت يقص عليهم القصص عن الخرطوم، ومجتمعه وهم ينصتون له في لهفة وتشوق، وللناظر أسلوب جذاب في الحديث، والبقارة مغرمون بالانس يقولون (نتانس)، ولا بد أن يكون قد امتعهم، ولكن فيما يبدو قد قطعنا الحديث ليعرفهم الناظر بمفتشهم الجديد، الذي كان علي علم بمقدمه. رحب به وبنا وتمني أن يكون قدومه خيراً (قدم خير) علي الدار، وكرر ماجيدن جيتو، وطافوا علينا بالشراب وجاءنا (مندو) باباريق الشاي (١) .

(١) مندو هو الذي يجهز الشاي ويقدمه للضيوف، شخصية مرحة.



الناظر/ إبراهيم موسى مادبو - ناظر عموم الرزيقات

هذا هو الناظر إبراهيم ، ناظر قبيلة من اقوى قبائل البقارة، وهو في قمة نفوذه . بقامته الفارعة، فارسٌ، شجاع في رأيه، نافذ لا يتردد في اتخاذ التدابير التي يدير بها شؤون القبيلة، ويصون بها الأمن والانضباط، واذا أشار تلقت القبيلة إشارته وتبعته، ويبدو ذلك واضحا في تنظيمه وقيادته للعرض القبلي. يختار أعوانه بعناية حتى يلم بدقائق الأمور وما يجري في الدار. وبالرغم من الصرامة التي تبدو عليه فإنه، كما ذكرت آنفاً، يمزج حديثه بالقششات والمزاح، وهو أسلوب يرتاح اليه البقارة كثيرا وهو كريم جواد عطوف بالضعفاء، ممسكا بالسلطة، يخاف ان يفلت زمام الأمور من يده بسبب تغيبه بالخرطوم، فهو عضو بالجمعية التأسيسية، فكل شئ وشأن في الدار مؤسس علي الناظر، الذي يحظى بولاء خاص من مواطنيه لوقوفه علي راحتهم وتوفير الضروريات الحياتية اليومية لهم، ولنشره للعدالة بينهم، يساعده في ذلك المناديب والعمد والمشائخ، الذين ينتشرون بين الاهليين، ويقفون علي كل صغيرة

وكبيرة . هم أهلـه يصفونه (بالباحش) والباحش عندهم هو الأسد، وكأنـي بهم يتمثلون
ببيت من قصيدة المتنبئ في مدح بدر بن عمار بن اسماعيل :-

أسد يرى عضويه فيك كليهما

متناً اذل وساعدا مفتولا

ويسمونه (القيامة أم عيون حمر) اعجابا وفخرا، وفي نفس القصيدة يقول المتنبئ :-

ما قوبلت عيناه الا ظننا

تحت الدجي نار الفريق حلولا

في الجانب الآخر يقف شقيقه ووكيله، محمود موسى مادبو، مكملاً له يعامل
الناس برفق ولين وهدوء، يستعمل في حديثه الانصاري والانصارية، تأكيداً لانصاريته
التي يقابلها تجانية (١) الناظر، الذي يحافظ علي وده مع الانصار، فكما هو معروف
فان جل قبيلة الرزيقات أنصارية، من اتباع الأمام المهدي، ان لم يكن كلها. واختلاف
اسلوبه واسلوب اخيه محمود في الادارة يجعله دائماً متخوفاً من ان يضعف الانضباط
وقد عزز تخوفه ظهور تنظيم شباب الأنصار بتدريبه العسكري وبذته الخاصة، يشرف
عليه صول متقاعد، ومهما يكن فانه مما يهون الأمر، ويعمل كصمام أمان، وجود
مادبو موسى رئيس محكمة الضعين القوي المهاب والمقرب الي الناظر، وعبد الحميد
موسى مادبو المراقب المالي وهو شخصية جذابة ورزينة ومتزنة، ومقبول لدي
الجميع، ولدي الانتخابات الاولى للحكم الذاتي عام ١٩٥٣م، رشحه الناظر علي مبادئ

(١) الناظر إبراهيم موسى ينتمي إلى الطريقة التجانية وكذلك الناظر علي الغالي تاج الدين هو من أتباع الطريقة التجانية التي تنتشر
بين قبيلة الهبانية وغرب السودان عامة وأذكر بهذه المناسبة عندما زار ابن عمر شيخ الطريقة التجانية بزام عاصمة قبيلة الهبانية
قابله الناظر، في عرض كبير، وأقام له الاحتفالات وحينها الشد الأزهرى إمام جامع رفاعة، وكان في معية الشيخ ابن عمر، قصيدته
الطريقة ومطلعها:- نحن وبين يافان في بزام هبان
جانبنا مين يافان الزمان يافلان

الحزب الجمهوري الاشتراكي، الذي أسسه الإداري السابق إبراهيم بدري، ويقال إن البريطانيين أرادوه تزييافا مضادا لحزب الامة، فانضم اليه الناظر إبراهيم ضمن نظار ومشائخ آخرين. وقد فاز عبد الحميد وسقط مرشح حزب الامة، الذي جاء من خارج المنطقة في منطقة انصارية فصدق عليه المثل "جدادة الخلا مابت سلك جدادة البيت".

تفقد المفتش المرافق علي النسق الذي شرحناه من قبل، وجلس مع عبد الحميد موسى مادبو، المراقب المالي، بمكاتب الادارة الأهلية. وراجع الايرادات والربط والمصروفات، ومن ثم اتجهنا حيث يجلس الناظر، الذي قدم لمفتش البقارة الجديد شرحا عن قبيلة الرزيقات، ومن جانبه نقل الاخير للناظر تحيات مفتش المركز وتهانیه بالعودة، وابلغه ما كلفه به رئيسه من موضوعات، تتلخص في المراعي وتنظيمها، وهو امتداد لما بحثه معه المفتش سابقا، وتجربة خطوط النار، لحماية المراعي اليا بدلا عن الطريقة الحالية اليدوية، وتطهير الحفائر آليا ايضاً بدءاً (بسبدو) وسيشرف علي هذا المشروع مهندسان ايطاليان هما ترمينتي وبتريني، وسيقوم بدراسة المراعي المستر هرسن ضابط ابحاث المراعي (مفتش المراعي) كما يسميه الرزيقات، وشخصي كضابط إداري وضابط علاقات عامة، وبشير الناير مساعد فني بيطري ملحق بالمراعي، ومشرف علي خطوط النار في تلك المناطق، وتم الاتفاق علي ان يخصص الناظر مندوبا ودليلا لمرافقتنا^(١). ثم تم بحث التجهيزات لقيام المعرض القبلي بسبدو، اكبر حفائر الرزيقات التي توصف (بتلّقي) أي تحفظ المياه حتى الخريف القادم، ثم كانت هناك مواضيع فيما يتعلق بالعلاقة المتوترة بين الرزيقات والمعاليا وغيرها، وقد بحثت مع الناظر في جلسة خاصة بهما لم نحضرها نحن .

ونتناول الحديث فيما بعد، واشترك فيه وكيل الناظر محمود موسى، والمندائيب ومن حضر من العمدة والمشائخ في حضرة الناظر وشمل الحديث الادوية البيطرية، وذكر انها وفرت لهم مجانا كالعادة، وان الكشف الدوري علي الماشية قام به

(١) كانت الحكومة المركزية تعمل كثيرا لتطوير مناطق البقارة وتنميتها وذلك عند تنظيم المريع وحفر الابار الارتوازية.

البيطريون كما تم تنظيف بعض الآبار والحفائر والعمل مستمر، وبينما ان الكلاً متوفر، فإن الماء قد شح، وهكذا تحدثوا عن أمور تهم حياة المواطنين وماشيتهم بصراحة وجدية، وذكروا بأن ما يتوقع من محاصيل في هذه السنة وسط، نسبة للجفاف النسبي الذي ساد المنطقة وكان لنا حضور في محكمة مادبو موسى مادبو، وكانت المحكمة تنظر في قضايا تتعلق بالتعدي علي الزراعة والمراعي والتي حضرنا حكماً في بعضها بالتعويض المالي وانصرف كل من الشاكي والمشتكي بسلام في تراض تام لا غالب ولا مغلوب . وهناك بعض القضايا الخاصة بتجار الماشية مع الرزيقات، ولم يتسع الوقت لنحضر النظر فيها وفي المساء كان لنا لقاء مع العدة يحيى، اخ غير شقيق للناظر، واكبر منه سناً، في زريبتة التي تقع في طرف قرية الضعين . زريبة واسعة تحوى بيوته واعوانه ولم يخرج الحديث عن المجاملة والمرعى وحالة الناس والماشية .

وفي الصباح الباكر انطلقنا الي ابو مطارق وهي مركز تجاري صغير، به عدد محدود من الجلابة وملتقى طرق برام / الضعين / وابو جابرة، وهي مقر لمندوب الناظر وصهره علي الرضى . رجل ودود طلق المحيا، يلقاك باسماء متيلاً وباشا، ويحييك بـ " جِيْذَنْ جِيْتُوْ " ونرد عليه " بِجُوْذْ خَمْدَك " هكذا علمنا الدليل فرح ان نرد التحية كان يصف صلاة بشير النابر بـ (الديك النَّقْدُ الْفُولُ) فقد كان بشير يؤديها بسرعة مذهلة .

وفي طريقنا إلى ابو جابرة مررنا علي حفير سبدو، اضخم حفائر المركز، تقام في ساحته الرحبة معارض الرزيقات، وتحت اشجاره الباسقة تقام رواكيب ضيوف المعرض وكبار الزوار، ومن حوله ارض زراعية . وأما منطقة ابو جابرة فهي منطقة زراعية مشهورة وقد ازدهرت زراعتها أبان الحرب العالمية الثانية حيث شجع الاهالي علي تكثيف الزراعة وزيادة رقعته، من اجل الاكتفاء الذاتي، يزرعون

القول والدخن والبطيخ من أجل مائه ^(١) وحبه كمصدر للسيولة، وفي الطريق توقفنا في احدي الفرقان، وصادفنا عرسا بهيجا، اصر أهل الفريق ان نجلس معهم ففعلنا، نستمع إلى الغناء الذي لا تكاد تفهم فيه الا شيئا يسيرا، ولقد انقطعت من بين كلمات القصيدة " الصيلون كثير هي " " الصيلون جميل هي " واحترت هل لديهم صالون بالمعني الذي نعرفه، وزالت دهشتي عندما شرحوا لي المعني، فالصالون ليس هو الديوان ولكنه الشاي و ارد سيلان، ومن فرط حبهم له يصفونه بالجمال والوفرة. قدمت لنا " العصيدة " والرز باللبن واللقيمات، تحاشيت العصيدة فلا أطيق ملاح " المرس " ولا الشطة تملأ جوفه ولكن مفتشي اكل من " العصيدة " مجاملة ولم يفوت الفرصة وسألني " لماذا لم تأكل من العصيدة " قال اليست هي أكلة من أكلاتكم؟ قلت نعم ولكني فضلت عليها ما هو اطيب منها، الرز واللقيمات، ودار الحديث فسألوني عن اسم مفتشهم الجديد فقلت "مستر اير EYRE" فعلقوا بخبث " جنابه اسمه شين " . ومن ابو جابرة عاصمة الرزيقات التقليدية، ومقر مركز ابو جابرة، قبل قفله في الثلاثينيات للضائقة المالية، عدنا الي الضعين مباشرة، بعد قضاء ليلة في استراحتها المريحة، ولعلها كانت بيتا للمأمور ^(٢) آنذاك وفي كل تلك الزيارات نقوم بالعمل الذي لا اريد تكرار وصفه، ومن الضعين مباشرة ، إلى " اضان الحمار " التي تسمى "الفردوس" الآن . ومن قبل اطلقوا علي عد الغنم " عد الفرسان " فعد الغنم اسم معبر له دلالة الواضحة، علي كل هذا شأنهم " اضان الحمار " مقر العمدة يحيى صهر الناظر، عمدة المنطقة، وبعد التعارف والوقوف علي الشئون المختلفة ومجريات الأمور في المنطقة عند المفتش محكمة كبرى، كان مخططا لها في البرنامج، برئاسته وعضوية العمدة واحد المشائخ، كما جاء في أمر تشكيل المحكمة، والقضية تتلخص في ان جماعة من

(١) عندما يشح الماء في الصيف يكون البطيخ بديلا مناسباً يروي الظما وهو ابيض اللون في داخله وباطنه غني بمائه وحبه الواثر يباع كمصدر للكش ويصدر لمصر والأردن وغيرها من البلاد.

(٢) ذكرت لام كندرة الدليل أن خالي أحمد عبد الله ود سعد كان مأمورا لمركز ابو جابرة فرد بفرحة " كلامك صبح - والله كل بجيب لهينا الشاي - نشرب كر للصباح "

الإلهالي خرجوا لصيد الزراف وهو معروف بخطورته، حيث يطاردونه وسط الأشجار علي خيولهم، منطلقة بأقصى سرعة لها، شاهرين حراهم أو بنادقهم، وكثيرا ما تحدث وفيات أما بطلق طائش أو بحربة مشهرة، دون قصد، وفي هذه الحالة اصطدم المرحوم اثناء المطاردة بشجرة ومات في الحال، الا أن أهله بسبب رواسب قديمة وحساسيات مع بعض افراد الجماعة، اتهموهم بانهم استدرجوه وقتلوه، ونشرت الجثة وتم تشريحها، وكانت النتيجة ان سبب الوفاة اصطدام بجسم صلب. برأت المحكمة المتهمين، وأطلقت سراحهم في الحال، الا أن التقاليد تقتضي ان تعقد لهم جلسة أمام الناظر، بغرض تطيبب الخواطر، وإزالة الرواسب يحضرها الطرفان ويتم فيها صلح وعفو وقد صار .

قضينا ليلتنا في اضان الحمار، في استراحة متواضعة، لا نسمع فيها الا حفيف لمبات البتروماكس ثم تخفت ونفام في هدوء . هنا الناس ينامون مبكرا، فلا تسمع إلا أصوات الكلاب أو نهيق الحمير أو خوار البقر، وقد يقطع عليك السكون صوت النقارة ولكن ليلتنا تلك لم يعطر جوها غناء الحسان ورنات النقارة. وكان لنا لقاء آخر مع الناظر للوداع، ووجدناه ملما بكل تحركاتنا فكفانا مؤنة الشرح، فعربية المفتش المكسرة تخذله بعض الأحيان فيلتفت اليك لتسغه بالكلمة المناسبة، فليس المفتش الجديد في فصاحة مستر لوري او مستر ولسن ^(١) .

(١) المفتشون البريطانيون كالمرعي. ان يتعلموا اللغة العربية ويعد لهم امتحان وهو بمثابة حلز كفاءة للترقية والامتحان علي مستويين العالي والأدنى كما ان كثيرا منهم أجاد اللغة العربية بإجادة تامة مثل مستر بيتر هق الذي يقرأ للعقاد وهو الذي ترجم مذكرات يابكر بدري " حياتي " من العربية للإنجليزية، ومثل مستر قوين بيل، آخر وكيل لوزارة الداخلية من البريطانيين وكان مستر لوري يجيد لهجة البقارة فيقول (بشيطك) أي الحقك و (الدالية) أي طريق المشاة وكان إبراهيم بدري والنذير حمد يتحدثان بلغة الشلك وكثير غيرهما يتحدث لهجات ولغات قبائل وكان هناك حفز لمن يجيد اللغات واللهجات.

ز - وعود إلى ابو مطارق

وبعد عشرة ايام او تزيد قليلا، قضيناها بنيا لا كلفت بمأمورية اخرى، في ميمة
تعود بي الي ابو مطارق، تتعلق بالتحضير للفريق الذي سيتولى تطهير الحفائر، أي
تنظيفها لتستوعب اكبر كمية من مياه الخريف، وفتح خطوط النار الياً تحسباً لانتشار
الحرائق من مناطق مجاورة تلتهم الكلاً فتكون وبالأعلى علي اصحاب الماشية. أقمنا
معسكرنا علي جانب جفير صغير، بالقرب من ابو مطارق وحفرنا خندقاً لتخزين
صفائح البنزين، (وكانت كميتها، كبيرة تكفي للعملية) وغطيناها بالتراب تفادياً للحرائق
التي تنطلق بدون انذار مبكر، وفي كل هذه العملية كان علي الرضى صهر الناظر،
ومندوبه بتلك المنطقة، (الدينمو) المحرك للعملية والذي لولا وجوده لما استطعنا بناء
المعسكر والالتزامات الاخرى، في ذلك الزمن الوجيز، فعرب البقارة يتأففون من
العمل اليدوي ويتفادونه أن وجدوا إلى ذلك سبيلاً. وجاء فريق العمل وعلي رأسه
المهندس الجيولوجي ترميني يساعده المهندس بتريني، وكلاهما ايطالي، ومعهم بعض
الفنيين والعمال من قسم صيانة التربة، التابع لمصلحة الزراعة " الآن هيئة توفير
المياه الريفية" وأحضروا معهم بعض الآليات مثل البلدوزر واستقبلهم علي الرضى
وطمانهم، بأنهم سيجدون كل العون من جانب الادارة الأهلية . وقد وجدوه فعلاً وكان
هو كعادته في مستوى المسؤولية .

رجعت الي نيا لا وتركت اصحابي في رعاية الله، ومن بعد في رعاية علي
الرضى وفي هذه المأمورية لم نذق طعم " القرقوش" فقد كنا نتناول وجباتنا الثلاثة،
مع مندوب الناظر في اصرار منه، وهكذا صدق المأمور إبراهيم الطاهر عندما قال
لي بأسلوبه الساخر المازح، وقد وجدني اشتري بعض المعلبات من دكان الخواجة
مماكس بنيا لا " ما تتعب نفسك الثلاث طقات في الضعين وابو مطارق مجاناً، وقد
قروش المعلبات" .

وتشاء الاقدار إلا افارق دار الرزاقات هذه المدة والا لأعود إليها، وفي هذه المرة في مهمة مختلفة امتدت لثلاثة شهور تخللتها ايام نقضيها في ليلالا من اجل رفع التقارير عما قمنا به، وللإستعداد لمواصلة المهمة .

والمشروع الذي جننا من أجله لدار الرزاقات هذه المرة، هو اجراء مسح أولى الهدف منه تطوير المنطقة وتنميتها، عن طريق تحسين المرعى، في الأماكن التي توجد فيها المياه بينما تظل المناطق التي تشح فيها المياه، محتفظة بكلاً غير مستفاد منه لعدم توفر المياه، للإنسان والحيوان، وإذا لا بد من حفر آبار أرتوازية مجهزة بطلمبات ساحبة، في تلك المناطق، وتحفر البئر وسط دائرة قطرها ٨ كيلو متراً، وهي ما تسمى بالسريحة أي المدى الأقصى التي تسرح فيه المواشي صباحاً وترجع للفريق مساءً، والهدف من ذلك الحد من الترحال وتوفير الاستقرار الذي يمكن من تقديم خدمات التعليم والصحة بجانب الخدمات البيطرية^(١) . وفي مجاله الاوسع تنمية الثروة الحيوانية وبالتالي تنمية المنطقة اقتصادياً.

كان الفريق يتكون من مستر هرسن من ابحاث المرعى والذي اطلق عليه الرزاقات " مفتش المرعى" وعندما قدمناه للناظر إبراهيم موسى قال مازحاً " المرعى سولـو مفتش" (كل انجليزي عند البقارة مفتش) وشخصي ممثلاً للمركز للاتصال بالاهليين وتعريفهم بالمشروع والتمهيد لتعاونهم مع الفريق وبشير النائر الذي ينادونه " أفندي المرعى" أو " ولد النائر" ، مساعد فني بيطري، معار لصيانة التربة، يأتي لدار الرزاقات مرة في السنة لمتابعة ومراقبة المراعي ووقايتها من الحرائق، بفتح خطوط النار، وهو والحالة هذه يعرف دار الرزاقات علي اطراف اصابعه، وقد طوع لسانه للتحدث بلهجة البقارة "امسك الدالية دي وانا بشبـطـك" أي اسلك هذا الطريق الضيق وسألحق بك " ويا البحر" حتى البحر .

(١) مشروع استطلاعي لتحسين المرعى .

كان عليّ ان اشرح للاهالي طبيعة عملنا كلما ضمنا مجلس حسب ما تقرر لي من معلومات مدني بها المفتش، واعدد الفوائد التي تعود عليهم بعد قيام المشروع، من كل الجوانب، ومهمتي كما ترى ليست بالهيئة فالاهالي عامة والبقارة خاصة يشكون ويرتابون ويتخوفون من مثل هذا الطواف الذي يقود لاحصائهم واحصاء ماشيتهم، ويفسرونه بانه لمراجعة " القطعان " ضريبة المواشي، أو لاستتباط نوع جديد منها. ومن هنا تجئ أهمية دور الادارة الأهلية في بث الطمأنينة في قلوبهم، وهكذا فعل الناظر إبراهيم موسى فقد بث أعوانه في انحاء الدار وطلب منهم مساعدتنا. وفي حديثي مع الاهالي كنت اركز علي حقيقة ان عملنا لا صلة له بالضرائب، واعزز قولي هذا بوجود المستر هرسن وبشير النابر، وهما فنيان لا صلة لهم بالضرائب، ومهما يكن فقد خلقنا جواً تسوده المودة والآخاء والانسجام في تلك الجلسات العفوية التي تتم تحت الاشجار الضخمة وهم يعدون ذلك الشاي "الثقيل" الاسود، يطلبون منا مزيداً من المعلومات والاخبار، وهكذا أدركت ان حل مشاكل البقارة تكمن في معرفتهم اللصيقة والتيسط معهم وكسب صداقتهم، فهم اناس بسطاء، علي سجيبتهم علي كل حال .

نطوف علي الديار المكسوة بالعشب ممتطين الخيل التي أعدها لنا العمد الذين صحبونا وتلقت فترى الكبار جلوساً تحت الاشجار علي النسق الذي وصفناه والنساء يجلبن المياه علي رؤسهن، أما الشباب والاطفال فيتولون رعي الماشية . ونحن علي هذا جمح فجأة حصان بشير النابر فطرحة ارضاً، فما كان من الدليل الا أن يطيب خاطره قائلاً " الخيل بترمي ركاباً " . فنظر اليها البشير نظرة فهمنا منها تأمينة وارتياحه لما قيل، كيف لا وهو الذي يدعي انه فارس الفرسان، يتجراً مثل هذا الحصان علي الاستخفاف به هكذا . أما مستر هرسن فكلما اسرع حصانه يصيح فيه (بس بس) وهي كلمة من كلمات قليلة ذخيرته من اللغة العربية. يستمر طوافنا لـ ١٦ كيلو متر في دائرة قطرها ٨ كيلو متر وهو ما يعرف بالسرحة، كما وصفناها سابقاً، في وسط هذه الدائرة نضع علامة عليها الرقم المتسلسل، ونرصد خط الطول

والعرض بالبوصلة، نسجله في سجل يحوي كل المعلومات الخاصة بالمنطقة، تشمل عدد السكان، والماشية التقريبي، حسب القاعدة التي كانت متبعة (خمسة افراد للعائلة) لتوصل إلى احتياجاتهم من الماء ومن ثم عدد الآبار الارتوازية العميقة التي يحتاجونها، بديلا عن ماء الحفائر، الذي يجف في زمن الصيف فيضطر العرب الي جلبه من "السواني" وهي آبار عميقة يستدعى نشل الماء من اعماقها وقتا طويلا وجهدا كبيرا، ويمضي مستر هرسون (Pasture Research Officer) وبشير الناير في تسجيل نتيجة فحصهما الاولي عن التربة والكلا، كثافة وصلاحية - مع اخذ عينات منهما للفحص المعمل، فضلا عن تسجيل الملاحظات عن المنطقة بصفة عامة مستعينين بالاهليين وبخبرتهم وتجاربهم. ونلاحظ تخوف الاهالي المشوب بالحدر من تغيير نمط حياة الفوها، وفقدان موارد جاهزة مثل العسل وصيد الاسماك وتجفيفها، وصيد الحيوانات ونحن بدورنا نحرص ان لا نبالغ في تجميل وتزيين صورة المشروع بصورة مبالغ فيها، انما نقدم صورة واقعية لفوائده لهم، قبل غيرهم ونطمئنهم بأن التنفيذ سيكون تدريجيا حتى لا تهتز حياتهم ويضطرب كيانهم، فكل شئ يدرس بعناية لايجاد البدائل المناسبة هكذا نحدثهم ويؤمن رجال الادارة الأهلية علي ما نقول ويطمأنون أهلهم وتأمين رجال الإدارة الأهلية، عندهم القول الفصل .

نأتي من الطواف اليومي متعبين مرهقين، فيقوم بشير الناير باعداد مشروب الليمون يصب علي الاناء كمية كبيرة من (البغيتة) سكر ناعم، وعندها يصيح الشبان، الذين تجمعوا حولنا، يضعون أيديهم علي كتوف بعضهم البعض، ويصيحون (البغيتة واهملنا) ثم يشيرون إلي الفرسة التي تزين برنيطة بشير وهي "علامة البيطري" عابن فرسته " ابو فرسة" .

لقد زرنا اكثر من ثلاثين موقعا، وفي هذا الأثناء زارنا مفتش المركز ومفتش البقارة ومستر قلسبي باشمفتش البيطري المديرية وآخرون ارادوا ان يققوا علي سير العمل، ووجهوا بما رأوه مفيدا لنا، وفي نهاية المطاف، جلسنا مع مستر هرسن لكتابة

التقرير، الذي قام هو بتحريره، كما قام مستر هرسن بوضع تقرير شامل عن تجربتي
هذه في دار الرزيقات وديار البقارة في مناطق أخرى، في كردفان حيث انضم إلي
فريق فني من السودانيين والبريطانيين، من بينهم د. هاول و د. بعشر (البيطري).
قمنا بتقريرنا لمفتش المركز بعد ذلك بدأ المعنيون في البيطره وصيانة التربة (والتي
تطورت وأصبحت مصلحة المراعي، هيئة توفير المياه والتنمية الريفية فيما بعد).
لاخضاعه للدراسة والبحوث، وفي أثناء ذلك مر المشروع بتعديلات ومراحل عديدة
في الشكل والمضمون مثل اضافة حفر آبار جوفية علي طريق الماشية من مناطق
الانتاج إلى الاسواق في الأبيض والخرطوم وغيرهما .

اعود إلي نيالا واشعر بالارتياح لما قمنا به من مجهود وعمل مفيد وما نكنا
من تدريب وتجارب. كما أزدت قربا من الادارة الأهلية ، ولولا تعاونها الوثيق لما نكنا
انجاز مهمتنا . مما جعلني اتوق للعودة لتلك الديار التي نمك بيني وبين أهلها صلات
متينة. من يدري لعلني اعود ثانية !!.

ح - في مجلس ريفي جنوب دارفور

وبالرغم من مسئوليات مفتش المركز ومهامه المتشعبة الكثيرة، فهو لا يكنا
أن ينتهي من مأمورية الا ويبدأ أخرى، أو ينتهي من محكمة كبرى أو صغرى الا
وينشغل باخريات، يساعد في العمل القضائي وشئون البوليس والتحري، نائب
المأمور، الذي يقوم بالتحقيق القضائي، في قضايا القتل تمهيدا لاحالتها للمحاكم الكبرى
التي يرأسها المفتش ^(١) . فبالرغم من كل مسئولياته تلك، فان المفتش يولينا رعايته،
فبعد أيام من عودتي دعاني الي مكتبه وراجع معي برنامج تدريبي وقيمته ثم اصدر

(١) المفتش يمنح سلطات قاضي الدرجة الأولى من رئيس القضاء بعد اجتياز امتحان القانون العالي الذي تضعه القضائية. يعن
البريطاني بمجرد اختياره للخدمة الإدارية مساعد مفتش ويمنح سلطات قاضي الدرجة الثانية وبعد اجتيازه الامتحان المشار إليه أعلاه
والذي يستعمل حاجز كفاءة للترقية إلى أعلى، يمنح سلطات قاضي الدرجة الأولى.
عندما يتخرج الإداري السوداني نائب مأمور يمنح سلطات قاضي الدرجة الثالثة بتدرج حتى الثانية ثم ينطبق عليه شرط
أعلاه للترقية لمساعد مفتش.

والصحة، بحسبانها خدمات فنية كما يضم المجلس سي — بيس التجار والاعيان واعضاء بحكم وظائفهم كالمهندس والمفتش البيطري ومفتش الصحة الذين يستفيد من خبراتهم وتجاربهم.

مجالس الحكم المحلي آنذاك تمر باربعة مراحل، ففي المرحلة الاولى يرأس المفتش المجلس، وأما الاعضاء فكلهم معينين، ويكون ضابط المجلس التنفيذي من الإداريين، ويصدر امر تكوينه من السكرتير الاداري آنذاك (ولقد كان الحكم المحلي أثير عند سير دوقلاس نيوبولد فافرد له قسم بمكتبه) وتترج المجالس من مرحلة الي مرحلة اعلى حتى يكون ثلثا الاعضاء بالانتخاب المباشر، والثلث بالتعيين من اصحاب الخبرة والدراية الذين لا يرغبون في ترشيح انفسهم للانتخابات وفي المرحلة الأخيرة يكون رئيس المجلس منتخبا من بين اعضائه.

يحتل مجلس جنوب دارفور مياي انيقة وحديثة، أنشئت لهذا الغرض، تلفت النظر أو ترمز لأهمية الحكم المحلي، وهي بعيدة عن المركز اشارة إلى ان المجلس له كيانه المنفصل وشخصيته الذاتية الاعتبارية .

اتاح لي العمل بالمجلس الفرصة للتعرف علي إدارة الفور (المقدومية). فقد كانت تجربتي قبل ذلك، محصورة في إدارات البقارة، ولم تكن صلتني مباشرة مع مساعد المفتش (للمقدومية) عبد الله أفندي محمد الأمين، والذي كان ايضا يشرف علي مجلس جنوب دارفور. زرت برفقته مناطق المقدومية التي يشرف عليها عدد من الشرائي، (الشرتاي يعادل العمدة عند البقارة) . وجدت الفور يختلفون اختلافا جوهريا عن البقارة، في ثقافتهم واسلوب حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم. مجتمع البقار مجتمع مفتوح أما مجتمع الفور فمجتمع مغلق علي نفسه ، لا تستطيع ان تخترقه يحدثون بحذر شديد مع الغريب تغلب عليهم السرية والمكر (الغثاة) فاذا سألت احده عن طريق يقولك إلى جهة ما فقد تجد الاجابة مضللة أو " ما نعرفه" واذا سألته عن

والصحة، بحسبانها خدمات فنية كما يضم المجلس في عضويته بعض التجار والاعيان واعضاء بحكم وظائفهم كالمهندس والمفتش البيطري ومفتش الصحة الذين يستفيد من خبراتهم وتجاربهم.

مجالس الحكم المحلي آنذاك تمر باربعة مراحل، ففي المرحلة الاولى يرأس المفتش المجلس، وأما الاعضاء فكلهم معينين، ويكون ضابط المجلس التنفيذي من الاداريين، ويصدر امر تكوينه من السكرتير الاداري آنذاك (ولقد كان الحكم المحلي أثير عند سير دوقلاس نيوبولد فافرد له قسم بمكتبه) وتتدرج المجالس من مرحلة الى مرحلة اعلى حتى يكون ثلثا الاعضاء بالانتخاب المباشر، والثلث بالتعيين من اصحاب الخبرة والدراية الذين لا يرغبون في ترشيح انفسهم للانتخابات وفي المرحلة الأخير يكون رئيس المجلس منتخبا من بين اعضائه.

يحتل مجلس جنوب دارفور مباني انيقة وحديثة، أنشئت لهذا الغرض، تلفظ النظر أو ترمز لأهمية الحكم المحلي، وهي بعيدة عن المركز اشارة إلى ان المجلس له كيانه المنفصل وشخصيته الذاتية الاعتبارية .

اتاح لي العمل بالمجلس الفرصة للتعرف علي إدارة الفور (المقدومية). ف كانت تجربتي قبل ذلك، محصورة في إدارات البقارة، ولم تكن صلتني مباشرة ، مساعد المفتش (للمقدومية) عبد الله أفندي محمد الأمين، والذي كان ايضا يشرف على مجلس جنوب دارفور. زرت برفقته مناطق المقدومية التي يشرف عليها عدد ، الشراتي، (الشرتاي يعادل العمدة عند البقارة) . وجدت الفور يختلفون اختلا جوهريا عن البقارة، في ثقافتهم واسلوب حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم. مجتمع البقا مجتمع منفتح أما مجتمع الفور فمجتمع مغلق علي نفسه ، لا تستطيع ان تخترق يتحدثون بحذر شديد مع الغريب تغلب عليهم السرية والمكر (الغَتَاتَة) فاذا سألت احد عن طريق يقودك إلي جهة ما فقد تجد الاجابة مضللة أو " ما نعرفه" واذا سألته :

شيء أخطأ فيه اجابك " الله أرادة" أو " الله جعله" بدون تفسير . وكان الشرطاي إبراهيم بارا شرطاي سوني علي غير القاعدة. كان بسيطاً واضحاً، ويمتاز بروح مرحّة، وله علاقات حميدة مع الموظفين والزوار، يرسل النكتة كريم لديه " راكوبة" فيها شراب مختلف الوانه ^(١) (بقو' ، موية كسرة ، قمزت ، وام طبج) مفتوح طوال اليوم، لمن يريد ان يشفي غليله، كريم يطوف عليك بأطباق الاكل (البرتال). ولعل هذه القصة تبين لك روحه المرحّة فقد تزوج فوراً وية ، اضافها الي حريمه، وعلي غير العادة كانت ذات جمال نسبي، وعندما زاره المفتش ، طلبت منه أن ولسن، زوجة المفتش ، ان تسلم علي زوجته الجديدة. ولما كانت تدرك مستوى تدني الجمال عند القور، علقت (مرتك الجديدة سمحة) فما كان منه الا ان رد عليها (سمحة هي ولا سمحة إنت . إنت مقطوعة سدر وفندوك) فعلق الشاذلي المهدي مفتش البساتين، وكان صديقاً قريباً من الشرطاي (كمان بتتغزل في زوجة المفتش) فرد الشرطاي (هي .. هي ولا مرة والله ضحكك نامن وقع في الواطة) صدق فقديما قال الشاعر (الغواني يغرهن الناء) وكانت زوجة المفتش علي جانب كبير من الجمال ولم يفت علي سير جيمز روبرتسون السكرتير الاداري آنذاك ان يلمح بحسنها في كتابه (Transition in Africa) في سياق حديثه عن السودان، وعند زيارته لسوني بجبل مرة، عفوا الحديث ذو شجون .

تبت محكمة المقدمية، ومحاكم الشرطاي، في كثير من الجرائم وهي جرائم تتحصر في السرقات والمشاجرات والتعدي علي الحيازات، وفي بعض الاحيان خطف البنات من اجل الزواج، عندما لا يتلقى الحبيب الموافقة من والد البنت، لسبب أو لآخر وفي كل هذه القضايا فإن الاستئنافات متاحة، من محكمة الشرطاي لمحكمة المقدمية، وفي نهاية المطاف إلى مفتش المركز الا انها في الغالب لا تصل الي هذا الحد الا نادراً.

(١) أنواع من الشراب تماثل المريسة.

مكثت بالمجلس مدة كافية، للتعرف علي جوانب العمل في جميع أقسامه، ومناشطه الصحية والتعليمية، ولقد أعجبت بخدمة رائدة كان يقوم بها مجلس جنوب دارفور، تعد طفرة مبتكرة في ذلك الوقت، لم تعرفها المجالس الريفية آنذاك وهي تسيير بص ما بين نيالا - الضعين - ابو مطارق - برام - نيالا - و هكذا يربط اجزاء مهمة، ويعتبر ذلك بداية لنشر الوعي والتعارف بين مواطني المجلس .

رجال الإدارة، أعضاء المجلس، لعبوا دوراً فاعلاً في توضيح احتياجات ومشاكل مناطقهم للأعضاء الآخرين .

وتترك المقدمية في رعاية الله ومقدمها، وشراتها، يديرون أمورها ويصرفون العمل ويفصلون في الخصومات، بين الافراد وهم للأمن حافظون فقد كان ليقظتهم عدم تكرار حادثة الفكي السحيني الذي حاول احتلال مدينة نيالا عام ١٩٢٢ .

ط - مجلس برام الفرعي

في هذه الاثناء صدر لي أمر، لم اكن اتوقعه، لحادثة تجربتي بالحكم المحلي، وهو الذهاب لبرام للإشراف علي مجلسها الفرعي المقترح الذي يتبع لمجلس ريفي جنوب دارفور فقد اختيرت برام لهذه التجربة حتى يكون مجلسها نواة لمجالس فرعية مرتقبة في كل من الضعين ونلس وعد الغنم .

لم تكن المهمة شاقة كما توقعت. فأعضاء المجلس اختيروا بالتعيين، من بين رجال الإدارة الأهلية، مع اضافة عدد من التجار إليهم، وكانت سلطات المجلس استشارية، بجانب تقديم بعض الخدمات اليسيرة في الصحة، والبيطرة، والمدارس تحت الدرجة، ونقاط الغيار، ويشرف علي الخدمات الصحية ضابط صحة، ومساعد بيطري، وملاحظ اعمال وممرضين ، ولم تكن هناك مشكلة في ايجاد مباني له، فقد احتل مباني المركز الفرعي القديم ولم تكن هنالك حاجة الي محاسب لوجود محاسب

صراف يشرف علي خزانة الادارة الأهلية، كما أن هناك كاتب يقوم بالأعمال الروتينية.

برام عاصمة قبيلة الهبانية كما سبق ان نوهت ويطلقون علي المنطقة عامة (الكلكة) ويمارحهم البقارة الاخرون فيقولون (الكلكة الما ليها ملكة) فيرد أهلها بفخر واعتزاز (الكلكة رز ، ووز ، وورل ما بفز ونقارة تقول دز) ومعني هذا ان "الكلكة" بلد غنية بتجارتها من الارز ينمو طبيعيا (بروس في البوط) جمع "بوطة" وهي الارض الطينية المنخفضة التي تحتفظ بالمياه لمدة طويلة (تلاقي)، الخريف القادم، الوز شكله جميل ولحمه شهى وورل ما بفز أي يسهل اصطيداه ويستفاد من جلده، ولحمه له لذة خاصة لديهم، وهم اميل اليه من لحم البقر والغنم. والنقارة ترمز للعز والفروسية واللهو البرئ .

أن تشرف علي تأسيس مجلس جديد، حتى لو كنت من اهل الخبرة، أمتحان سألت الله ان يعينني علي اجتيازه، خصوصا وقد أدركت ان الحدث (تكوين المجلس) اثار فضول الناس وجعلهم يفسرونه حسب أهوائهم وأمزجتهم. فأصبح مجالا للثرثرة والمكائدات، في مجتمع أهله من الرعاة المولعين بالقصص لملء الفراغ، حتى ان بعضهم قال انه الحد من سلطات الناظر، وذهب البعض الآخر إلى انه الاستغناء عن النظارة تدريجيا، اعتمادا علي ان الناظر علي الغالي شخصية قوية تقبل التحدي والمجابهة، وكان لابد من كبج جماعه، وهذه تفسيرات خاطئة فهي في الواقع لم تكن سوى خطة لادخال الحكم المحلي، وصرنا نشرح لهم أنه تطور في سبيل تقديم خدمات لا مساس لها بالسلطات الممنوحة لرجال الإدارة الأهلية ، الادارية ، الأمنية .

ولحسن الحظ فقد كان الناظر يعلم ذلك، كله ويعلم الظروف الموضوعية لقيام المجلس، ولهذا لم يكن يعير تلك التكهّنات اعتباراً . فقد كان يعلم بهذا التطور من المدير ومن مصادره بالمديرية، التي تنقل له كل ما يدور في دهاليزها من اخبار

وأفكار، ولقد حرصت ان ابتعد عن كل ذلك، وان تكون علاقتي به طيبة وكان يبذل هذا الشعور ويمدني بكل معلومة مفيدة. وأبادله الاحترام والمودة وكلانا في مركز واحد (الانتماء الي الادارة الأهلية) .

ومهما يكن فقد تم افتتاح المجلس، علي يد مساعد المفتش عبد الله افندي محمد الأمين، يرافقه محمد افندي عبد الله (ود الافندي) رئيس حسابات المجلس الريفي بنيا الذي قام بفتح الدفاتر والسجلات، كما حضر الافتتاح عدد من المواطنين والتجار ومن ثم بدأ عملنا المتواضع في يسر، كما بدأنا نستقبل موارد المجلس من العم والمشاخ نيابة عن مجلس جنوب دارفور، ونصرف منها ما تم تخصيصه لتسيير عملنا. وبعد فترة، امتدت لشهر ونصف سلمت المجلس للقائم أفندي يوسف القليم، وه مساعد ضابط حكومة محلية وكادر مؤهل، ومن قبل كان محاسباً بالمجالس المحلية وكانت تلك نهاية فترة تدريبية امتدت لنحو تسعة شهور .

هذا الفصل اردته مدخلا لحديثي عن الادارة الأهلية. ومدى ارتباطها بعمل الاداري، وهي ايضا قصة اردت ان يتعرف من خلالها القارئ الكريم علي مسئوليات الاداري الكثيرة والصعبة والمتشعبة، التي يؤديها في تكامل وتنسيق مع مشاغل القبائل، الذين يعتبرون بحق خبراء في شئون قبائلهم، وبما لهم من خبرة ومالهم من نفوذ واحترام استطاعوا ان يسيطروا الأمن والنظام ويقيموا العدالة .

هكذا انتهت فترة تدريبي بمركز جنوب دارفور، وبمديرية دارفور، ومنذ مكتب السكرتير الاداري اجازة عدنا بعدها لمواصلة الدراسة النظرية، بمدرسة الادار ولنعكس ما تلقيناه من تدريب ميداني وعملي وعلي دراستنا النظرية في الفترة المتبقية. كان مطلوب منا ان نعد ونقدم في الفترة الثانية بمدرسة الادارة مقالات في الحكم المحلي، الادارة الأهلية، البوليس، تنمية المجتمع وغيرها كل خمسة عشر يوما كما اعد لنا برنامج ليقدّم كل منا محاضرة عن تجربته وملاحظاته عن الفترة التدريبية

والعملية، يلي تقديم المحاضرة نقاش من الزملاء، ينتد به العميد وكان من اصعب الاسئلة التي قدمت لي سؤال من العميد وهو (في ضوء ما ذكرت متى يتم استقرار البقارة في مستوطنات تمكن من تقديم الخدمات الاجتماعية لهم ؟) فاجبت بعد خمسة وعشرين سنة علي الاقل، وقد أخذت في عين الاعتبار مشروع انشاء الأبار الارتوازية في زمن معقول، ولا اعتقد ان نبوءتي قد تحققت، وان كنت كما ذكرت قد بنيتها علي تلك الدراسة الاستكشافية التي اجريناها في دار الرزيقات، ومهما يكن فان عرب البقارة لا يزالون يحتفظون بأسمهم " البقارة" طالما ان البقر هي مهنيتهم الرئيسية ، لم يفقد الاسم بريقه بالرغم من انهم اصبحوا يزرعون من اجل الاكتفاء الذاتي ومن اجل توفير السيولة للضروريات اليومية .

ي - العودة الي دارفور

وما إن انتهينا من الامتحان النهائي، إلا وقد تم تعييننا واصبح يطلق علينا نواب مأمير خلص، بدلاً من نائب مأمور تحت التمرين وكان ذلك عام ١٩٥١ وأنفض سامرنا والتحقنا بمديرية السودان التاسع، ونشاء الاقدار ان أنقل الي مديرية دارفور، وهناك تم نقلي إلى مركزي القديم الذي عشقته، مركز جنوب دارفور، حيث مكثت به اربع سنوات اخرى حتى نهاية عام ١٩٥٤م وترقيت أثناءها إلى مأمور عام ١٩٥٣ وإلى مساعد مفتش عام ١٩٥٤ علي اثر السودنة ونقلت الي مديرية النيل الأزرق (الكبرى سابقا) ومن الصدف أن كان مديرها عميدنا بمدرسة الادارة مستر ماينرز الذي كان علي وشك مغادرتها بسبب السودنة، وساعكس تجاربي مع الادارة الأهلية في تلك المديرية والمديرية الاسيوائية والخرطوم ومديرية كسلا واعالي النيل في الفصول التالية . وفي هذا السياق لن انتطرق للجوانب الأخرى من عمل الاداري المتنوعة فقد عانيت في هذا الحديث الإدارة الاهلية وليس سواها واطمع ان يقرأ في هذا الأطار .

الفصل الثاني

القبائل وإدارتها

الإدارة في البلاد النامية، أو المتخلفة بحق، هي إدارة التقسيمات المختلفة أو الطبقات، وهي إدارة التحالفات بين القبائل والعشائر والطوائف والطرق والبيوتات والأحزاب والنظم الحاكمة، وهي أيضا إدارة المناورات والمنافع الشخصية ونحن في السودان ينسحب علينا ذلك فلسنا بمعزل عن عالم الدول النامية. فهذه الظاهرة تطوق دولا شرق اوسطية ودولا افريقية ودولا آسيوية . ودعني الآن اسوق الامثلة علي ذلك فقد استعان سياد بري في حكمه بقبيلته، وحلفائها من العشائر، وبأهله في جنوب الصومال، في إرساء وتوطيد حكمه وإدارة البلاد، ولما ضيق عليه الثوار الخناق وتغلبوا عليه انسحب جنوبا واحتمى بقبيلته، ومن قبله اتخذ هذا الاسلوب حكام افريقيون مثل صامويل داو، في لايبيريا، ايدي امين، في يوغندا، وتشومبي في الكونغو^(١) وفي جنوب افريقيا، حيث آل الحكم الي المؤتمر الوطني، نجد أن هناك قبائل تناوثة ، تريد أن تستولي علي الحكم، وفي اثيوبيا حكمت الامهرا في عهد الامبراطور هيل سلاسي، ولا زالت هناك قبائل تناهض الحكم القائم وتناصبه العدا، وتتمرد ضده، وابرزها قبيلة الارومو. واخرى تؤيده مثل التقرى، وفي جنوب الجزيرة العربية (اليمن) ، لاتزال هناك قبائل مسلحة باحدث الاسلحة، تريد ان تشارك في الحكم او تستولي عليه، وأحد زعماء هذه القبائل الكبيرة يساند الحكم ويحتل منصبا رفيعا، الا هو رئيس المجلس القومي. وفي الخليج لاتزال البيوتات والعائلات تحكم وتتبادل الحكم فيما بينها وقد وصفها الكاتب جارلس قلاس^(٢) (قبائل لها اعلام) اقتبس هذا العنوان من عبارة أطلقها احد الدبلوماسيين المصريين، مشيراً الي أن دول

(١) Prof. O. Brain, to Katanga and back

(٢) Tribes With Flags By Charles Glass

المشرق العربي مجرد كيانات مصطنعة، وقد استقر في اذهان شعوبها تقديم الولاء العائلي والطائفي علي الوشائج الوطنية.

وكان طبيعياً ان ترى صفوة المتعلمين والمتقنين، في بعض هذه الدول نفسها الوريث الشرعي في السلطة بعد ان تخلصت من الحكم الاجنبي، وهي التي كافحت وقادت النضال ضده، بيد ان هذه الفئة اصطدمت بالواقع المرير فلم تستطع الفكاك من انتمائها القبلية والمحلية والطائفية في تقوية كياناتها ، فعندنا مثلاً في السودان التحالف بين الوطني الاتحادي وطائفة الختمية، وبعض رجال الادارات الأهلية، ولم يجد بدا من ذلك في بادئ الامر، وسلك حزب الامة نفس المسلك وكون قاعدته العريضة من انصار المهدي ومشائخ القبائل وسار في نفس ذلك المنوال، حزب نشأ بعدهما هو الحزب الجمهوري الاشتراكي ، بقيادة الاداري المتقاعد ابراهيم بدري ، حزب سداه ولحمته من رجالات الادارة الأهلية، اذ انضم اليه الناظر ابراهيم موسى ناظر قبيلة الزريقات وسرور محمد علي رملي شيخ خط السافل ويوسف العجب وغيرهم ولم يعيش الحزب طويلاً فقد بقى كثير من النظار علي ولائهم القديم فعلي سبيل المثال حافظ الناظر محمد ابراهيم فرح ، الناظر محمد حمد ابو سن (القضارف) علي انتمائهما الي الوطن الاتحادي كما ظل ايوب ييه (اليوبية) عبد الماجد والناظر ترك ناظر الهندوة والناظر الزبير حمد الملك وغيرهم من كبار نظار دارفور وكردفان علي ولائهم لحزب والامة .

هكذا تعايش نظام الادارة الأهلية، وحكم البيوتات والعشائر والطوائف، وتحالفت مع هذا الحزب او ذاك لمدة تفوق الخمسة عشر سنة، ومضت واحتفظت الادارة الأهلية بسلطاتها جنباً الى جنب مع الديمقراطية حفاظاً وحرصاً علي الموازنات، وحتى في نظام عبود الذي اصدر قانون ادارة المديرية ١٩٦٠م، والذي على اثره اختفى مفتش المركز، بقيت الإدارة الأهلية محتفظه بسلطاتها ومكانتها. واستمرت في ذلك حتى في الديمقراطية الثانية، الى ان جاء نظام مايو فحزم امره علي

تصفيته، في عام ١٩٧٠م ومن سخرية الاقدار وفي خطوة غير متوقعة ومفاجئة، بشر
المقدم هاشم العطا في بيانه الاول لأنقلابه ضد حكم نميري باعادة الإدارة الأهلية،
وهو الذي كان من غلاة الداعين لتصفيتها، ولا يرى الانسان تبريرا لخطوته هذه سوى
انه وجد سند الجماهير لثورته ضعيفا فاراد ان يستعين بها مرحليا.

ان هذا النمط من الحكم القبلي لم يكن من ابتداع البريطانيين بل هو عميق
الجدور، يستمد اصوله من العرف والتقاليد القبلية، التي تطبقها القبيلة في إدارة أمور
أفرادها وفي علاقتها مع بعضها البعض. ومشائخ العرب مرجعية اهلهم، يلجأون اليهم
قبل واثاء الحكم الثنائي، ويحتكمون اليهم في اخص وادق شؤونهم، كما كان يستشيرهم
الحاكم الاجنبي في امور الحكم والإدارة. هذا وكل ما فعله البريطانيون هو تقنين ما
هو قائم. إذ كانت هذه القبائل تحل مشاكلها الداخلية ومشاكلها مع جيرانها في تعاون
تام.

جدير بالاعتبار والتسجيل حقيقة أن الإدارة الأهلية جزء لا يتجزأ من تأريخنا،
وتراثنا، واسلوب حياتنا، الديوان رمز الكرم، واستقبال ضيوف القبيلة، وحسن
وفادتهم، والنجدة والوفاء، وحماية الضعيف، من صفاتهم. تعدد الثقافات والفنون، هي
الآخري ثروة كبيرة لها أعتبارها وأهميتها. ومهما يكن فإن لرجال الإدارة الأهلية
سلوكيات أصيلة ومشرفة فما كان رجال الإدارة الأهلية مطية للاجنبي، ولم يكونوا قط
لسان واذن الحاكم الاجنبي بتلقائية، ولم يكونوا يتلقون الاوامر فيفعلون ما يؤمرون
دون تفكير وتسحيص، فقد اتصف كثير منهم بالرأي السديد، ورجاحة العقل والذكاء،
والحكمة والجرأة، في إبداء الرأي . ولم يكن كلهم أسرى للإدارة الاجنبية، بل تجاوزوا
مع الحركات التحريرية الوطنية - وسنتطرق لذلك بشئ من التفصيل في الفصول
اللاحقة . هذا وان تقاعس البعض عن اداء ما ذكرنا، فأنما يعود ذلك الي قصور في
الوعي، ولأنهم بشر بكل ما في البشر من نقائص ومحاسن، فاطلاق حكم عام في مثل

هذه المسائل يكون غير موضوعي، فعلياً ان نأخذ الأشياء التي كانت في صفيهم والأشياء التي كانت ضدهم ونوازن بينها .

أن الإدارة الأهلية تركت كما هائلاً من الأحكام، أصدرتها في محاكمها الخاصة فهي بلا شك مجموعة قيمة من العرف والمعاملات والسوالف التي ما زلنا نأخذ بها، كسوابق في محاكمنا الي يومنا هذا، فضلاً عن ان التباين افرز ثقافات ، فمراسم تنصيب النظار والسلاطين كاعتلاء رث الشاك لعرشه، وما يجري فيه من طقوس وثنية مقدسة عندهم وتلك التي تحكي عن حياته بأنه لا يموت موتة طبيعية كسائر البشر ولذلك يسارعون بقتله بمجرد ان يتراي لهم أنه علي شفا حفرة من الموت (١) ، والمعارض القبلي السنوية وما تحمله من دلالات، مجالس الاجاويد، والصلح والدية، والطرائف والملح والمقالب التي يتناقلها عنهم الناس، ونصل الحديث حتى لا ننسى الرصيد القيم من الشعر والشعر القومي، جادت به قريحة شعراء القبائل في مدح وتمجيد وتشجيع مشائخهم وإبراز صفاتهم الحسنة. وهذه نماذج منه يقول حمدان مرحباً بالناظر الحاج محمد إبراهيم فرح، ناظر الجعليين، وقد تم تعيينه في ظل النظام القبلي الجديد :-

من البرسي للسبلوقة

حجر دار ابوك ياب رسو كدك (٢) فوقه

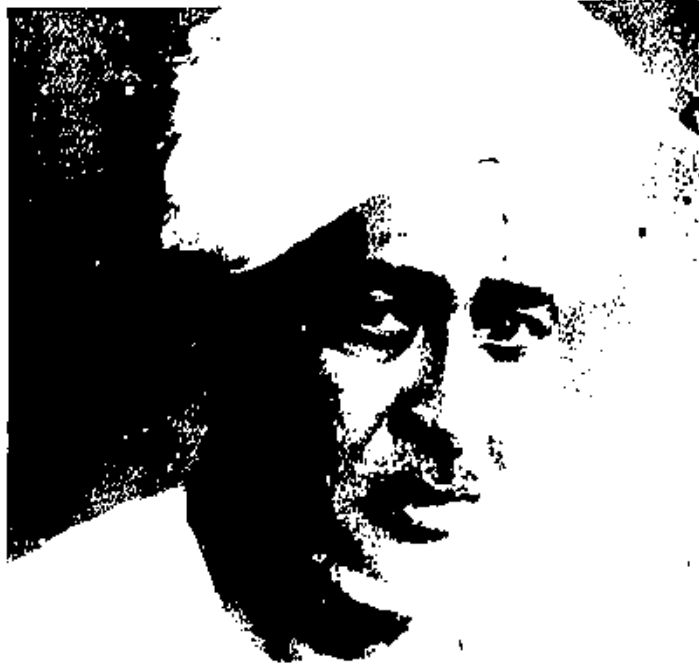
البتدورة تمسكه بي لطافة وذوقه

والتاباهو حفزك ليهو للمخروقه

(١) تقوم بخنقه زوجاته حتى لا تراق قطرة من دمه هدرأ فإنه مقدس ومسكون بروح تكواج
(٢) يروي عن التمساح يغرس رجله في الطين وينقض علي فريسته بذنيه "وكدك" تعني الفرس والمعني واضح عن عليها بالتواجد. أو ربما تعني كدك غرس أسنانه علي فريسته بشدة .

وقال ايضا :-

كلمة الضلة حاشاك من نشيت صاحيله
سُترة الحال بتبذل مالك وتضحيله
الفرسان وكنت شوفتك إبرد حيله
تفرج ضيق بعد أجواده يغلب حيلة



الناظر/ الحاج محمد إبراهيم فرح - ناظر الجعليين



الشيخ/ علي جاد الله - نائب ناظر الجعليين

تبرع الناظر الحاج محمد إبراهيم بمبلغ مائة جنيها لمؤتمر الخريجين في الوقت الذي أمرت فيه الحكومة زعماء العشائر والنظار والعمد الابتعاد عن نشاطات مؤتمر الخريجين العام وقد أشاد بهذا التبرع شاعر المؤتمر علي نور بقصيدته هذا نصيا :-

يا زعيم الجعليين ويا رأس القبيلة
يا فتى العباس قد أرضيت عما وخؤوله
جُدت للمؤتمر السمح فشجعت ميوله
فارجع الناس الي الحق ففي الحق فضيله
واغتم الحمد فان الحمد من شأن "الجعوله"

شعبة للعرب تسمى وهي في الأصل أصيلة

كلما يممها ذو حاجة أدرك سوله

فهي أندي الناس كفا وهي بالعرض بخيلة

إنما مؤتمر الأمة للخير وسيله

والأستاذ الكبير عبد الحليم علي طه (١) وصف الناظر الصديق طلحة والد الناصر

محمد صديق طلحة بقصيدة رائعة منها :-

وبحر النيل ذفر فوق قبلي شق طريق

ومن الخجرة جنباً ود طلحة بحر غريق

في النزاع الأخير والموت وساعة الضيق

الجود وصي عين خلف الصديق

مطروح الجبين فارساً قلبلوا وسبق (٢)

الجود انتصر حاتم لقالوا طيبق

أحسانك كثر وأنا سدري بيهو يضيق

ومحفوظ في القلوب ياريت لسان طابق

(١) الأستاذ عبد الحليم علي طه كان أستاذا بكلية غردون وناظرا لخور طقت الثانوية ثم تبوا منصبه مدير المعارف ثم
وحيلا لوزارة المعارف (الآن وزارة التربية والتعليم).

(٢) لحق بالحرسية وارجع منهم الابل المسروقة.

أبو دليق جنة وحايطة بيها جنان

والصديق ملك سوى الرعية أخوان

جيتك بامتثال تحسبني في السكان

واصلي خلقت حز لكن أسير احسان

ومدح آخر شيخه فقال :-

كان الكرم والجود ضيف الهجعة عشيتو

يا الفاتن فاضايله حدود يتيم الحلة ربيتو

يا الضل الضليل ممدود عنوان الكرم بيتو

قال الجردلو في شيخ الشكرية :-

ان أذاك وكتر ما بيقول ادبت

أبدرق موشح كله بالسوميت

أب رسوه البكر حجر وروذ ستيت^(١)

كتال في الخلا وعقبان كريم في البيت

(١) نهر بشرق السودان

والشاعر ود أبو شوارب مدح شيخ العرب إبراهيم أبو سن بهذه الأبيات الرصينة :

وخرتك بامثال صناعبي المتمم كيفي
أبو إبراهيم رجاح عقلي وذرقتي وسيفي
منظورة غلاي مونة خريفي وصيفي
سكرة خالي في جاري ونساي وصيفي

او كبر مدح العمدة ود أب علي :-

ما جزجر وليه في غوائد جابه	وما سؤالة شكرة وما إتحجابه
بدل ما يورني سلطته ديمة يتحجابه	حاكم وباقي أجواد ايده زين وجابه
عمدة فائدة حرم بلاسم والمعنى	لين كفه وماثوازنوه حاتم ومعنى
جناح الرحمة فراه تحت جملة جمعنا	كلمة شينة بهظار عمره ما سمعنا
تملي جلوسه زي ثمر الحجاز بيناتنا	لي سياتنا يغفر ويحكي بحسناتنا
بالأحسان ملكنا وطوطو لسناتنا	عرضنا عرضه بالعفة وبناته بناتنا

قال أحد شعراء الرزيقات :-

موسى ود مادبو أسد الخلا الأشقر

عقدة الحديد كضاب البيقول تتحل

موسى بيسل رقاب عيستي بجيب بقر

ضكر تور أم سقدو^(١) طراد شهل

نجد أن النوير يمجدون سلطانهم بتمثيله بالثور القوي كان يقبونه بـ
"كوييل" الثور الابرق ذي القرة البيضاء ، يرمز للتفاؤل وفي ديار البقارة يقوم
الهداي بمدح الناظر في جمع كبير من الناس والنساء يزغردون والرجال يلوحون
بالحراب اعجابا .

وما دمنا قد تحدثنا عن الادارة بصفة عامة وعن الادارة الأهلية بصفة
خاصة، في هذا الفصل، فيقتضي الأمر الحديث عن القبائل التي تكون خلفية هذه
الادارة باختصار، ولمن أراد التوسع والتعمق في أصول القبائل، عليه بالرجوع الي
كتب تتوسع في هذا المجال. تحكي أصولها وتاريخها وهجرتها وغير ذلك من
المعلومات الدقيقة .

القبيلة هي كيان ومؤسسة هامة في المجتمع السوداني فهي، كما ذكرنا سابقا،
تعبر وتحافظ علي التراث لأولئك الذين ينتمون اليها، وهي تعتبر العقد الاجتماعي
الذي يراعى ويحفظ للأفراد حقوقهم، ويحدد واجباتهم، كيفما كانت معتقداتهم الدينية أو
الوثنية . والاعراف تحكم صلاتها مع القبائل الاخرى، ويتم الحوار في كل ذلك في
مجالسهم ومؤتمراتهم القبلية التي تطرح فيها مشاكل المراعي والحدود والحقوق
الزراعية والدم وتحل بطريقة وفاقية ورضاء تام .

هذه القبائل تنظم في مجموعات نلخصها في ايجاز شديد يفي بالغرض . ففي
أقصى شمال السودان تسكن قبائل النوبيين:- محس، سكوت ودناقلة وكنوز . ويتحدث
هؤلاء اللغة النوبية مع اختلاف في اللهجات . والنوبيون يختلفون عن " النوبة"، الذين

(١) وضكر تور لم سقدو هو الفيل

يقطنون جبال النوبة، في جنوب غرب كردفان ، وأن كان البعض من المؤرخين وعلماء الاجناس قد بحثوا في العلاقة بين هؤلاء واولئك، ولكن ليس من غرضي ان أخوض في مثل هذه المسائل المثيرة للجدل، والتي تصرفنا عما نحن بصدده ويقطن النوبة شمال السودان علي ضفاف النيل وأرضهم الزراعية ضيقة تنتج النخيل والبقوليات اشتهروا بالهجرة شمالاً وللسعودية وبعض البلاد العربية .

والي جنوب منطقة النوبيين تسكن مجموعة تسمى بالمجموعة الجعلية وينضوي تحتها: الشايقية ، الرباطاب والميرفاب والبطاحين. أما الجعليون المعروفون بهذا الاسم أي الجعليين الخالص هم سكان المنطقة ما بين الحقة والدامر . يعملون بالزراعة علي ضفاف النيل في الأحواض، بالري الانسيابي، والطمبات الساحية، وقد انتشر كثيرا منهم بجنوب السودان وغربه، واشتغلوا بالتجارة واجادوها وقد اشتهروا بالكرم والشجاعة .

هنالك مجموعة تشمل: الكواهلة الحسانية، بنو حسين، وغيرهم وهؤلاء يسكنون اقليم كردفان والاقليم الاوسط . ومجموعة اخرى تضم: الرزيقات ، المسيرية، بنو هلبة، التعايشة الهبانية، والحرر والكبابيش، ودار حامد، وهؤلاء يقطنون اقليمي كردفان ودارفور . وهؤلاء يمتنعون تربية الماشية والابل وبعضهم يعمل بالزراعة المطرية وينتجون الفول السوداني والسمسم والصمغ العربي .

أما الاقليم الاوسط ففيه مجموعة من القبائل: جهينة، رفاعة، الشكرية دار حامد، كنانة، والكواهلة وغيرهم، وهؤلاء أهل ماشية وابل، وبجانب ذلك لهم نشاط زراعي مكثف علي ضفاف النيل الابيض، حيث قامت مشاريع زراعية كبيرة وحيث مشروع سكر كنانة .

كما ان قبائل البجة تستوطن شمال الاقليم الشرقي: بشارين هددوة، بني عامر، الحلقنة، الامرار وغيرهم من قبائل اخرى وهم رعاة وزراة . وفي جنوب

الأقليم يسكن الشكرية والضبانية وخليط من القبائل التي وفدت من الغرب. وأما الفور، والزغاوة والميدوب والمساليت وغيرهم مثل الداجو التجر فهم أهل دارفور ويهتمون بالزراعة المطرية، ويركز عليها الداجو والمساليت والتجر والفور، أما الزغاوة والميدوب فهم أهل ماشية وغنم وابل ، والزغاوة توسعوا في التجارة الحدودية ما بين السودان وليبيا وأصبحوا ملوكها ، وملوك سوق ليبيا بأم درمان .

في الشطر الجنوبي توجد المجموعة النيلية وأكبر قبائلها وأهمها: الشلك، النوير، الدينكا، المورلي وغيرهم . كما توجد المجموعة الاستوائية، تضم الباريا، والمادي والمورو والزاندي وغيرهم. تتحدث هذه القبائل أكثر من خمسمائة لغة، والمجموعة النيلية لها ثروة كبيرة من الماشية، قليلا ما يعملون بالزراعة، أما المجموعة الاستوائية فتمتحن الزراعة ولهم مستقبل واعد في زراعة البن والشاي . والقبائل الكبيرة تنفرع لعدة فروع فمثلا قبيلة الجعليين من فروعها التفيهاب والسعداب والنافعاب والعمراب . والدينكا من فروعها دينكا بور ودينكا عالياب ودينكا أجاك الي غير ذلك .

وكنموذج لاختلاط هذه القبائل وتمازجها نورد بعض الامثلة. ففي منطقة رشاد وتقلي والعباسية يؤكد السكان ان أصولهم تمتد الي الجعليين والاخ والزميل الطيب ادم جيلي ناظر العباسية يورد بعضا الشواهد علي ذلك وكذلك الاخ والزميل اندريس الزبيق، عمدة تقلي، يحتفظ ببعض الوثائق عن اصولهم، التي ترجع الي العباس ومن هنا جاء اسم العباسية وتصاهر الرزيقات والمسيرية مع الدينكا، فتجد اسم ود الجنقاوي منتشرا بين الرزيقات نسبة الي جانقي أي الدينكا ومثال آخر ما يحدث بين النوبة والحوازمة وقد ساعد هذا الاختلاط في نشر اللغة والدين بما نسميه المد الشعبي الذي ينساب دون ضغط أو إكراه .

الفصل الثالث

ظروف وملابسات خيار الإدارة الأهلية

البيداية:

بدأ الحكم الثنائي، عندما أستولى علي مقاليد السلطة في البلاد، بحكم مباشر لفرض الامن والنظام والاستقرار والحفاظ علي هيبة الحكم حرصاً منه بالآ تحدث ثغرة تنفذ من خلالها اضطرابات أو ثورات أو مجرد أخلال بالأمن او مساس بالسلطة، من شأنه أن يقلق بالهم، ويهزهم بأي صورة من الصور، ومع هذا فلم تخل الفترة من بعض الاضطرابات المتقطعة هنا وهناك وكان نصيبها الحسم والقمع الفوري وبكل القسوة حتى لا تتكرر .

لما تم لهم استتباب الأمن والنظام، واطمأن الحكم الثنائي علي أن البلاد في سلام واستقرار تام، بدؤوا يفكرون في اسلوب آخر من الحكم، يمكن المواطنين من المشاركة في الحكم بطريقة توافق ظروف البلاد، وفي نفس الوقت لا تسبب لهم أي ازعاج أو تزعزع سلطتهم فبالت زمام الأمور من يدهم .

وكان التريث والحذر هما السمة العامة للوصول للمشاركة، وكان التدرج هو الوسيلة التي اتبعوها. وكان هذا الاسلوب هو الحكم غير المباشر الذي يضيف علي المواطنين قدرا من السلطات في ادارة شؤون بلادهم دون المساس بسلطات البريطانيين الرئيسية .

البريطانيون، وهم اهل خبرة طويلة وتجارب واسعة في حكم الشعوب، لم يكن غائباً عنهم ان بقاؤهم لن يكون بلا نهاية، ومن هنا كانوا يرون من الخير ان يتركوا البلاد واهلها في حالة من الرضاء، وان يتركوا وراءهم رصيда من الأصدقاء ميا قل، فهو شئ مطلوب ايضا لحفظ التوازن بين القوى التي لها مصالح في السودان.

فَنَجَحُوا فِي ذَلِكَ فَبَدَعُوا بِالْإِدَارَةِ الْأَهْلِيَّةِ، وَأَسَسُوا الْحُكُومَةَ الْمَحَلِّيَّةَ، وَلَمَّا تَطَوَّرَتْ
 نِسْطُورِيَّةٌ قَامَ الْمَجْلِسُ الْأَسْتِشَارِي، وَمَجَالِسُ الْمَدِيرِيَّاتِ الْأَسْتِشَارِيَّةِ عَامَ ١٩٥٣
 ١٩٤٧م ثُمَّ الْجَمْعِيَّةُ التَّشْرِيعِيَّةُ ١٩٤٨-١٩٥٢م، وَالْمَجْلِسُ التَّنْفِيزِيُّ الَّذِي تَكُونُ بِرِنَاسَةِ
 الْحَاكِمِ الْعَامِ وَبِعَضُوبِيَّةِ زَعِيمِ الْجَمْعِيَّةِ التَّأْسِيسِيَّةِ عَبْدَ اللَّهِ بَكْ خَلِيلٍ، وَبَعْضُ الْوُزَرَاءِ،
 وَالَّذِينَ كَانُوا يَرَأْسُونَ بَعْضَ الْمَصَالِحِ الْحُكُومِيَّةِ: إِبْرَاهِيمُ أَحْمَدُ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلِي طَه،
 عَلِي بَدْرِي وَمُحَمَّدُ أَحْمَدُ حَلَمِي أَبُو سَنَ (إِدَارَةُ أَهْلِيَّةٌ)، وَزَيْرُ دَوْلَةِ بِلَا أَعْبَاءَ، وَيَحْضُمُ
 السَّكْرَتِيرِينَ الْإِدَارِيَّ وَالْمَالِيَّ وَالْقَضَائِيَّ، وَالْقَائِدَ الْعَامَّ وَبَعْضَ وَكَلَاءِ الْوُزَارَاتِ .
 وَمُهَنْدِسُ هَذِهِ التَّطَوُّرَاتِ هُوَ سِيرُ دَقْلَاسْ نِيُوبُولْد، السَّكْرَتِيرُ الْإِدَارِيَّ (١) فِي ذَلِكَ
 الْحَيْنِ، فِيمَا عَدَا الْإِدَارَةَ الْأَهْلِيَّةَ فَقَدْ كَانَ رَاعِيَهَا وَالْمَتَحَمِّسَ لَهَا هُوَ الْحَاكِمُ الْعَامُّ
 سِيرْجُونُ مَفِي نَفْسِهِ، وَسَيَجِيءُ تَوْضِيحُ ذَلِكَ لَاحِقًا، وَمَاتَ سِيرُ دَقْلَاسْ نِيُوبُولْد،
 السَّكْرَتِيرُ فَجْأَةً فَقَامَ بِتَنْفِيزِ هَذِهِ الْمَشَارِيعِ سِيرُ جِيمِزْ رُوبَرْتْسُونُ (٢) الَّذِي خَلَفَهُ. هَذَا
 حَدِيثٌ عَامٌّ اقْتَضَتْهُ مَسْأَلَةُ رِبْطِ الْإِدَارَةِ الْأَهْلِيَّةِ بِهَذِهِ التَّطَوُّرَاتِ الدِّسْتُورِيَّةِ الَّتِي كَانَ
 مَهْدَفَهَا الْحُكْمَ غَيْرَ الْمُبَاشَرِ، وَمِنْ ثَمَّ تَحْقِيقُ الْحُكْمِ الذَّاتِيِّ، بَعْدَ عَشْرِينَ سَنَةً كَمَا صَرَّحَ
 بِذَلِكَ السَّكْرَتِيرُ الْإِدَارِيَّ آنَذَاكَ، أَمَامَ الْجَمْعِيَّةِ التَّشْرِيعِيَّةِ، رَدًّا عَلَيَّ سَوَالٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ،
 وَلَكِنْ قَضَى الْأَمْرَ وَتَحَقَّقَ اسْتِقْلَالُ السُّودَانِ ١٩٥٦ م وَبِكِفَاحِ الْحُرُوكَةِ الْوُطْنِيَّةِ. وَبَعْدَ هَذِهِ
 الْوَقْفَةِ نَعُودُ إِلَى الْإِدَارَةِ الْأَهْلِيَّةِ . فَأِذَا كَانَ الْحُكْمُ غَيْرَ الْمُبَاشَرِ هُوَ الْبَاعِثُ الرَّئِيسِيُّ،

(١) سِيرُ دَقْلَاسْ نِيُوبُولْدُ وَلَدَ عَامَ ١٨٩٤ وَتَوَفَّى فِي الْخَرْطُومِ عَامَ ١٩٤٥م كَانَ السَّكْرَتِيرُ الْإِدَارِيَّ خِلَالَ ١٩٣٩-١٩٤٥م بَدَأَ عَمَلَهُ كَمُسَاعِدٍ مُفْتَشٍ وَتَدْرَجَ فِي السَّلَكِ الْإِدَارِيِّ إِلَى أَنْ تَبَوَّأَ هَذَا الْمَنْصَبَ.

• وَصَفَ الْأَسْتَاذُ أَحْمَدُ خَيْرُ الْمُحَامِي سِيرَ دَقْلَاسْ نِيُوبُولْدَ فِي كِتَابَةِ "كِفَاحِ جِبِلِّ صَد ٨٢" بِأَنَّهُ سَيَاسِيٌّ بَارِعٌ
 وَإِدَارِيٌّ مُوَهَّوبٌ وَادِيبٌ وَمُثَقَّفٌ وَاسِعُ الْإِطْلَاعِ وَعَالِمٌ وَمُهَيِّدٌ لَهُ هَذِهِ الصِّفَاتُ أَنْ يَكُونَ صِدَاقَاتٍ وَصَلَاتٍ
 وَاسِعَةً مَعَ الْمُتَعَقِّفِينَ وَالْمُوَاطِنِينَ مِنْ جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ وَكَانَ يَرِاسِلُهُمْ بِطَرِيقَةٍ تَتْلِيهِ الْإِعْجَابَ إِلَى آخِرِ مَا قَاتَهُ عَنْهُ
 أَحْمَدُ خَيْرٌ.

• كَمَا وَصَفَهُ الْأَسْتَاذُ الْكَبِيرُ الْعَقَادُ بِالْثَقَافَةِ الْعَمِيقَةِ وَالْإِطْلَاعِ الْوَاسِعِ وَالْفِكْرِ الثَّقَلْبِ وَكَانَ ذَلِكَ إِبْرَانِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ
 الثَّانِيَةِ حَيْثُ جَاءَ الْعَقَادُ إِلَى السُّودَانِ وَنَزَلَ ضَيْفًا عَلَيْهِ.

(٢) سِيرُ جِيمِزْ رُوبَرْتْسُونُ السَّكْرَتِيرُ الْإِدَارِيَّ مَا بَيْنَ ١٩٤٥ وَ ١٩٥٣ آخِرُ سَكْرَتِيرِ إِدَارِيٍّ بِالسُّودَانِ ثُمَّ حَاكِمًا عَامًا
 لِنِيجِيرِيَا إِلَى انْتِقَالِ الْحُكْمِ لِمُوَاطِنِيهَا.



الناظر/ محمد أحمد أبو سن - ناظر الشكرية

فهناك عدة اسباب أخرى هامة دعت لهذا النمط من الحكم، فعلى أثر الحرب العالمية الاولى حصل نقص كبير في الموظفين البريطانيين وغيرهم، من الذين استدعوا للخدمة العسكرية في شتى المواقع كما انسحب ٢١ من المأمير المصريين بسبب ثورة ١٩٢٤م، حتى انه بينما كان عدد المأمير السودانيين سبعة أشخاص فحسب اضحوا ٣٥ مأمورا عام ١٩٣٠م، وبينما كان عدد نواب المأمير ١٠١ ارتفع الي ١٥٧، وسبب آخر يتمثل في الضائقة المالية التي اجتاحت البلاد، اذ بلغت اشدها في

الثلاثينيات، اما السبب الرابع فيعود الي رغبة الحاكم العام سير جون مافي ^(١) في تحقيق الحكم غير المباشر وتنزيل السلطات للمشايخ واندفع بشدة في استعمال نفوذه في تقييمها وتطويرها في كل السودان لقلّة تكاليفها ولعل تجربته في الحكم، في الهند، شجعتة علي ادخال نظام الولايات في السودان .

حدثان مهمان اعتمد عليهما الحاكم العام اعتمادا كبيرا في اصراره وعزمه علي وضع هذا التطور موضع التنفيذ، الاول تقرير ملنر ^(٢) وقد وصي ضمن توصياته، الخاصة بالسودان، مايلى:- " بالرغم من ان الضرورة تحتم علي الحكم الحالي ان يحتفظ بسلطة واحدة علي السودان، الا انه من غير المرغوب فيه ان تكون الحكومة في السودان مركزية، نسبة لاتساع الرقعة وتباين البنيات السكانية فيه، فأن إدارة أقاليمه المختلفة يجب ان تكون في ايدي السلطات الأهلية ومادامت مذعنة وخاضعة للسلطات البريطانية فيصبح الحكم المركزي غير مناسب وعليه يكون نظام الحكم اللامركزي واستخدام افراد محليين هو الانسب كفاءة واقتصاداً " لم يفوت الحاكم العام هذه الفرصة فأيد التوصية الواردة من لجنة ملنر في تقريره ^(٣) الذي رفعه للسلطات العليا، مؤمنا علي التوصية وموضحا ان مشايخ القبائل ينفذون اوامر الحكومة بأخلاص وتفاني وقدرة ويحظون بثقة اهلهم واحترامهم الشئ الذي اكسبهم ثقة الحكومة، وجعلهم اهلا لاحترامها، فقامت بحمايتهم ومساعدتهم. كما اوضح في تقريره ان نظام الإدارة الأهلية سهل التطبيق وبصفة خاصة بين القبائل الرحل كما انه يحقق العدالة السريعة وبتكاليف زهيدة .

الحدث الثاني هو ما حدث في نيجيريا من تطبيق وتطوير للإدارة الأهلية. والفكرة كان وراءها لورد لوقارد ^(٤) فهو اول من نادى بها، ووجد لها تربة صالحة

^(١) سير جون مافي رجل عملاق طوله ستة أقدام وأربع بوصات يتمتع بجسم رياضي قوي وكانت له طموحات تفوق خيال معاونيه حاكم السودان من عام ١٩٢٧-١٩٣٣.

^(٢) البعثة الخاصة لمصر في الفترة ما بين ١٩٢١-١٩٣١

^(٣) تقرير الحاكم العام ١٩٢٢م

^(٤) The Right Hon. Fredrick, Baron Lugard (High Commissioner Nigeria, 1900)
Lord Lugard, the Man by Margery Perham, Journal of African Administration.

في نيجريا، ففي شمالها قبائل كبيرة ، ذات اصول وجذور ضاربة في اعماق التاريخ وقد نجحت التجربة وتم تعميمها في بلاد أفريقية كثيرة تحت الحكم البريطاني .

اولع الحاكم العام بفكرة لوفارد، وشغف بها، وزادته تصميمًا علي ادخال الادارة الأهلية في السودان، فكان ان بعثت الحكومة برئيس مخابراتها مستر ديفيز لنيجريا وقد حددت مهمته في رسالة ^(١) بعثت بها الي المندوب السامي لصاحب الجلالة في مصر تلخص في انه بعث بمستر ديفيز وكلفته باعداد تقرير لحكومة السودان بالشئون ذات الاهمية لها، وبالتحديد الناحية السياسية والادارية .

وبعثت برسالة ثانية لوزارتي الخارجية والمستعمرات ^(٢) تخطرهما بزيارة مستر ديفيز لنيجريا موضحة لهما الغرض منها وفي ضوء التقرير الذي يرفعه (ديفيز)، سينظر في إمكانية اقامة نظام مماثل له في السودان، مع اخذ الظروف المحلية في الاعتبار، وفضلا عن ذلك طلب السكرتير الاداري من المستر ديفيز القيام بمهام اخرى، وهي نظام التعليم، السكة حديد، ومدى الاستفادة من استقدام العمالة النيجيرية للعمل في حقول القطن بالسودان. وبعد ان تزود بالتوجيهات التي تساعد في اداء مهمته، حزم سير ديفيز متاعه ويم صوب نيجريا. بدأ رحلته برا من مدينة الجنينة، وكانت رحلته كما وصفها ممتعة وشاقة، بدأها في ٢٧ يناير ١٩٢٤م وانتهى به المطاف فأبحر من نيجريا الي انجلترا في ١٣ يونيو ١٩٢٤م ولعله اراد بأبحاره مباشرة الي بلاده، تفادي شهور الصيف الحارقة في السودان، ونفض غبار تلك الرحلة المكثفة والطويلة والمرهقة، فقد قطع خلالها آلاف الكيلومترات بالسيارات،

(١) رقم الرسالة ٦٣ بتاريخ ١٧/٥/١٩٢٣م

(٢) السودان يتبع لوزارة الخارجية لأنه ليس مستعمرة وإنما يخضع للحكم الثنائي وأما نيجريا فتتبع لوزارات المستعمرات

ليقف علي مؤسسات الحكم غير المباشر وليتحدث الي كل المسؤولين البريطانيين والامراء والحكام النيجريين، غشى مجالسهم، وجلس في محاكمهم وناقشهم ليكون فكرة وصورة كاملة وواضحة لذلك النظام، فكان ذلك عبر برنامج مفصل ومتقن تم وضعه بعناية بوساطة المسؤولين المحليين في نيجريا. صاغ المستر ديفز تقريره في ١٣٢ صفحة من الفلسكاب، بأسلوب قصصي لا يخلو من الطرافة ولكنه مليء بالمعلومات الدقيقة والمفيدة، تقرير دسم بحق وحقيقة معززة بالارقام والبيانات والخرائط، فياله من مجهود ضخم وشاق فالرجل يأبى الا تكون مهمته معززة بالوثائق حتى يجرى قبول أو رفض التجربة علي بيته .

أما هو "مستر ديفيز" فقد كون رأييه بعد هذه الدراسة فأوصى بتطبيق نظام الإدارة الأهلية في السودان موضحا النواحي المتشابهة بين البلدين والتي شجعتة علي التوصية كما تطرق الي ذكر الاشياء التي لا تتلاءم أو تتناسب مع ظروف السودان فأوصى بإبعادها .

وزاد ذلك من اندفاع الحاكم العام سير جون مفي نحو الادارة الأهلية وتحمسه لها، وبدأ يحصر في العناصر والمقومات المتوفرة التي تساعد في التطبيق ومنها ان السودان يزخر بالقبائل الكبيرة، وإن سعت المهدية في تفتيتها، ولكن لن يصعب تجميعها، ثم ضم القبائل الصغيرة الي الكبيرة، لتكون وحدة فاعلة، كما ان القبيلة تكون وحدة مالية، ومن ريع الضرائب التي تجبي بواسطة الحكومة المركزية، والتي من شأنها ان تحل لتمويل الادارة الأهلية ، يتم التمويل ولن تكون هنالك صعوبة في لك، فجمع هذه الضرائب يتولاه المشائخ من قبل التفكير في الادارة الأهلية . كما ان حكومة علي علم بان المشائخ يقومون ويباشرون اعمالاً قضائية غير مقننة كما سبق كره، وكانوا يساعدون في حفظ الامن والنظام، وعليه فأن هؤلاء المشائخ جاهزون

ومستعدون الي ممارسة مقننة، وواسعة، واذا فالامر والحالة هذه لا يحتاج الي خلق زعامات جديدة فان المواطنين علي علم ودراية ببيوت الزعامة. ولا بد لهؤلاء المشائخ من كوادر مساعدة في اداء واجباتهم وتوفير هذه الكوادر لن يسبب عقبة او قلقا، فالمجتمع يضم فكي الخلوة (الفقيه) وخريج الخلوة، ولم يكف هؤلاء عن مساعدة الناس في امور دينهم ودنياهم، فطالما عقدوا الزيجات واستفتاهم الناس في اشياء لا تحتاج الي اجتهاد كبير، عرفهم المشائخ واستعانوا بهم، فالسلطان بحر الدين، سلطان دار مساليت استعان بقاضي يجلس معه يستشيريه في الاحكام قبل اصدارها، ويبيت في القضايا التي لها صلة بالاحوال الشخصية، ومن ثم يعلنها السلطان كقرارات منه ولقد اتخذ السلطان علي دينار قاضيا من اهل المديرية الشمالية، دنقلاوي، وهو القاضي علي ادريس والد اللواء محمد ادريس عبد الله وعلي القاضي ادريس عبد الله، نائب رئيس محكمة الملك رحمه الله محمود بالفاشر ^(١) ومثل هؤلاء نجدهم ايضا في الجنوب مثل المتحدث باسم رث الشلك، وكاتب السلطان وتضم عضوية المحاكم كثيرا من امثال هؤلاء، أما خريجوا الخلاوي فيتولون الشؤون المكتبية كتدوين الوقائع ورصد الحسابات وإعداد كشوفات الضرائب وكتابة طلبات الحضور الي غير ذلك من الواجبات البسيطة، بعد ان يتم تدريبهم علي ذلك وكان بشندي كاتبان متميزان صديق كريم الدين وسالم العصاري وهما خريجا كتاب، فضلا عن ذلك يوجد مفتش المركز بخبرته الواسعة التي تكون قد امتدت لاكثر من خمسة عشر سنة وهو يمثل الاب الروحي ويتمتع بمعرفته اللصيقة بالمشائخ، والتي تمكنه من الارشاد والتوجيه ومراجعة الاحكام والسجلات ، فهو صمام الامان .

قابل المتعلمون، في المدن ولا سيما في العاصمة القومية، نظام الادارة الأهلية برفض واضح تماما، ووقفوا ضدها وقادوا حملة شعواء لا هوادة فيها لتقويض النظام الجديد (حرب كلامية) ، وكانت اهم اسبابهم في ذلك: انه نظام وراثي لا يتيح

(١) تعرفت علي علي ادريس عبد الله والملك رحمه محمود أثناء عملي بدافور

الفرصة لغير اهل البيت الواحد في تولي السلطة اتوقراطي مستبد وانه حكم فاسد لا يرجى منه فائدة للبلد. ومن ناحية اخرى كانوا يعتقدون ان الشيوخ والرؤساء والنظار والعمد، مهما ارتقى مستواهم في الوطنية، لن يرقوا الي مستوى السياسيين المتعلمين الوطنيين. وثمة سبب آخر يقول به المتعلمون ويدفعهم لمعارضة النظام، ذلك انه ليس مؤهلا ليقوم بالخدمات الحديثة والفنية مثل التعليم والصحة، ويمعنون في معارضتهم للحد الذي يهتمون فيه بان سلطات اهلية قوية ستقف سدا منيعا ضد الديمقراطية^(١) وكان الاستاذ محمد احمد محبوب، طبيب الله ثراه، يدعو الي نظام حكم محلي يهب البلاد ديمقراطية في القاعدة وكان في منحاها اكثر واقعية^(٢) له كتاب سماه الحكم المحلي .

أما رأي الحكام البريطانيين في النظام فكان ينطلق من عدة زوايا، كان رأي مديري المديريات الشمالية في اجتماعهم ١٩٢٠/٢/٢٤م يتبلور في ان تهتم الحكومة بالحكم الأهلي ووافق الحاكم العام علي اتباع تلك السياسة وبعد ان مضى الاداريون في التطبيق، قال عدد منهم ان التطبيق ليس بالهين وشاركهم هذا الرأي رصفاؤهم من مديري المديريات الجنوبية^(٣)

وكان فريق من البريطانيين يخاف، ان يتحالف المتعلمون واهل الدين واهل الطرق الصوفية والانصار فيقلقون مضاجعهم ويقفون حجر عثرة ضد التطور الذي يخططون له، ولذلك فهم يفضلون الاستعانة بمشائخ القبائل ويستدلون علي ذلك بتعاونهم معهم في الادارة وحفظ التوازن بين القوى الاخرى، التي يخشى منها وكان

(١) كنا نستمع لأحاديثهم ونحن طلبة وان كلن كثيرا منهم اصدقاء لهؤلاء الرجال.

(٢) كان محمد احمد محبوب رئيس لجنة تطوير الحكم المحلي وهي احدى اللجنتين التي انقسم إليها مؤتمر إدارة السودان - ابريل ١٩٤٦ أما الثانية فكانت تختص بإشراك المواطنين في الحكم وكان رئيسها مكي عباس.

(٣) الملفات السرية مديرية كسلا

مستر ديفيز من بين المتحمسين لآراء الحاكم العام والداعين لها، وكان يجاهر بأنه يفضل تسليم السلطة الى سلطة اتوقراطية محلية، وكان من اكثر المتحمسين للحكم غير المباشر المستر سرسفيلد هول مدير مديرية كردفان باشر بنفسه تطوير السلطات القبلية التقليدية الى ادارة أهلية مما حدى بالحاكم العام ان يذكر " كردفان حقل مدهش لتطوير الادارة الأهلية، وانني ارغب في ان اركز علي ذلك في هذه المديرية" ومدير مديرية دارفور بمبروك كان يشجع قيام الادارة الأهلية، كخطة استراتيجية وترياقا ضد الحركات الانفصالية وأي مهديّة جديدة، وأن كان زملاء له يشكون في هذا التفكير لانه لا يعقل ان يكون في مديرية كلها او جلها من الانصار (أنصار المهدي) ان تقف الادارة الأهلية فيها ضد أي مهديّة جديدة، بدل أن يسلمها الي حركة ديمقراطية .

أبدى كثير من البريطانيين نوعا من التحفظ علي السياسة الجديدة وكان من بينهم شيخهم الكبير السير هارولد مكمايكل السكرتير الاداري آنذاك . ولم يخف تخوفه من أن يقود النظام الجديد الي مهديّة جديدة، وكان يرى أي تهاون في التنازل عن بعض سلطات المفتشين، قد يفض الي فتن وقلق، قد قامت السلطات بأخمادها من قبل. أما صغار الاداريين من البريطانيين فكانوا يعتقدون أنها خطوة للوراء ومفاجأة له يتهاؤا لها، ولقد تساءل بعضهم هل الظروف والمناخ السائدان في السودان يسمحان بذلك؟ وتساءلوا ماذا عن القانون الأهلي اليس هو ملئ بأشياء منفرة يأبأها الرجل المتعلم ؟ كما كان بعضهم غير راض عن مجرد التنازل عن سلطاتهم لرجال القبائل. وهذه طبيعة البشر فهؤلاء شبان جاءوا للسودان وكلهم حماس ليباشروا سلطات كبيرة، ويكتسبوا تجارب واسعة، ولهم طموحاتهم في تنبؤا مناصب كبيرة فيه، وفي غيره من البلدان، وفي وطنهم، بعد خدمة طويلة ممتازة فلا غرابة أن أبدوا عدم تحمسهم اليه .

ومهما يكن من أمر فقد انصاع رئيس السلطة التنفيذية سير هارولد مكمايكل السكرتير الاداري لرغبة رئيسه الحاكم العام سير جون مفي ، فبدأ يوفق بين الآراء

المختلفة ويخفف من الاندفاع نحو التطبيق ويدعو للتريث والتدرج، في نقل السلطات من الاداريين البريطانيين الي زعماء القبائل، وفي ذلك حل وسط يرضي ويطمئن الجميع .

من جانب آخر فقد انشروحت للنظام الجديد صدور مشايخ القبائل فقد اعترفت الحكومة بسلطتهم ووطدتها واضفت عليها الشرعية ومن ثم قوت نفوذهم وشاركهم الفرحة والابتهاج مواطنوهم وعبروا عن ذلك في مهرجاناتهم السنوية وعلي سبيل المثال كان يقام احتفال سنوي في المتمة أحتفاءً بتصيب ناظر الجعليين يحضره مدير المديرية، اثناءه يقوم الحاكم العام بتوزيع كساوي الشرف والميداليات والسيوف علي بعض المشايخ والأعيان ممن لم يكونوا قد منحوها من قبل أو ترفيع بعضهم الي كسوة أعلى. فكسوة الشرف كانت من درجات أربع الثالثة والثانية والأولى والممتازة، كما تقدم بعض الالعاب والمسابقات من تلاميذ المدارس ويقوم السواري من قوة دفاع السودان بشندي بالعب الفروسية وتصدح موسيقى القرب تختلط مع رنات الدلوكة، تقودها (١) " السُرف" بصوتها الرائع مع ضربات النحاس المثيرة للحماس . وكذلك كانت تقام معارض سنوية في دارفور في سبدو، تعد لها قبيلة الرزيقات ويحضرها المدير وسنتحدث عن جدوى هذه المعارض في المكان المناسب، وكذلك كان الأهالي فرحين بما تم فقد وجدوا الاعتراف بالشخص الذي يمثلهم ويتحدث بأسمهم، ويبحث مشاكلهم مع القبائل الاخرى، ومع السلطات العليا كما ان الادارة الأهلية قربت السلطة منهم فهم يلجأون اليها متي شاءوا بدون كبير عناء (تقليص الظل الاداري) .

(١) مغنية مشهورة ذات صوت رائع تغني أغاني الفروسية والسيرة وهي من المتمة

الفصل الرابع

بدايات التطبيق

الإداريون البريطانيون ممن عملوا في السودان كانوا نخبة مختارة بدقة من الجامعات البريطانية العريقة، أكسفورد - كمبردج - كلية ترننتي - دبلن كما كان يؤخذ في الاعتبار عند الاختيار اللياقة البدنية ، للظروف المناخية في السودان، وطبيعة العمل التي تتطلب السفر المتواصل بالجمال والبغال والأرجل، كما هو الحال في أحراش الجنوب وجبال النوبة وسهول كردفان . الاختيار الدقيق املته أيضا ظروف السودان الدينية والسياسية وكونه جسرا بين أفريقيا السوداء والسمراء، وارتباطه بالدول العربية والاسلامية، مزيج من الثقافة العربية والزنجية، والسودان مر بأنماط كثيرة من الحكم ، السلطنة الزرقاء، وسلطنة دارفور والحكم التركي والثورة المهدية لم تدق البلاد خلالها استقراراً ولما جاءت هذه النخبة نظموا الادارة علي نسق حديث وكانت ادارة السودان مثالا في تنسيقها وكفاءتها وحسن إشرافها وحفظها للأمن والنظام .

كانت بداية الإدارة الأهلية عفوية ومتواضعة وبدون تخطيط دقيق، ففي سنة ١٩١٧م منح السكرتير الإداري المشائخ سلطات قضائية من الدرجة الثالثة تماثل الممنوحة للمأمير، وانشأ مجالس استشارية يرأسها المفتشون، لخلق صلة لصيقة مع المواطنين. وتقاديا لمثل هذا التطبيق العفوي، تقرر إجراء دراسات ومسح عام قام به شباب من الإداريين البريطانيين تحت رقابة من المديرين، واستعانوا بدراسات قام بها أسلافهم، وعلماء أجناس، أمثال بروفسير أيفنز برينشرد، المحاضر في علم الاجناس بجامعة أكسفورد، كما كان للإداري إبراهيم بدري دراسات عن الشلك والنوير، وإجراء المسح للتعرف علي مشائخ العرب والسلاطين الذين يتصل نسبهم بالأسر التي تتراأس القبائل واختفت في عهدي التركية والمهدية، وفي اثناء العشرين سنة الاولى من حكم البريطانيين، بالرغم من الأخيرين استعانوا بهم بشكل أو آخر أي اعترفوا لهم

بالقيادة وبعض السلطات. وكان الإداريون مهتمون بأن تكون مقترحاتهم واختياراتهم مبنية علي أسس سليمة وممتينة مسنودة بتاريخ من يرشحونهم، وقبول اهلهم لهم، فالمسألة حساسة ولا يريد أحد ممن أسندت له هذه المهمة ان يكون سببا في فشل مشروع من ورائه الحاكم العام، بكل هيئته، وتجاربه في الهند من قبل. فبعض البريطانيين مهما كانت وجهة نظرهم مختلفة عن وجهة نظر الحاكم العام، الا انهم في النهاية يرون بعين واحدة ولهم هدف واحد هو توطيد الحكم البريطاني في السودان، وتنفيذ سياسة السلطات العليا وكل شئ دون ذلك يهون .

بعد أن اكتملت الدراسات، تلاها تجميع القبائل في وحدات كبيرة تحت إدارة ناظر أو مقدوم أو سلطان أو مك حسب ما تقتضي الظروف. ففي المديرية الشمالية، علي سبيل المثال، مملكة الجعليين في شندي، والميرقاب في بربر، والشايقة في مروى، والدناقلة في دنقلا وسميت نظارات وعلي رأس كل منها ناظر وكان ذلك علي الأرجح عام ١٩٣٢-١٩٣٣ . وفي كردفان منحت قبائل المسيرية والحر والحوازمة والجوامعة نظارات . وهكذا كانوا حلقة اتصال بين قبائلهم والحكومة وان السلطات الجديدة منحت لهم الكثير، فهي تؤكد ما جرى عليه العمل من قبل. واعيدت مملكة نقلي مثلا بعد ٣٠ عاما من التشتت بمجهودات مضيئة أما سلطنة دار مساليت التي كانت موجودة فقد منحت ميزانية خاصة لإبراز شخصياتها وتكونت نظارة الشكرية وضمت إليها اقلية الضبانية واللحويين إلا أن الضبانية منحوا نظارة خاصة بهم فيما بعد .

وفي الجنوب نجد ان القبائل محتفظة بكياناتها : قبيلة الزاندي في يامبو وطمبرة وقبيلة الاجار والدينكا، والباري، والنوير، والشلك بقيادة مكهم تشكل وحدة قوية.

تم تجميع القبائل علي هذا النحو وبمجهود كبير وشاق ولكن في زمن وجيز، مما جعل سير دوقلاس نيوبولد يعلق بأن عملية تجميع القبائل كان طابعها العجلة ^(١)

أتاحت الفرصة لمديري المديرية أن يتقدموا بمقترحاتهم لاختيار النظار علي أسس كان أهميا التعرف علي البيوتات الحاكمة التي ينحدر منها هؤلاء النظار، وهذه القاعدة أخذ بها من قبل أيضا، تأريخها ونفوذها، ومدى ولاء الأهل والعشيرة لها وأن يتحرى مفتش المركز في كل ذلك بمساعدة الاعيان المشائخ ويكمل ذلك بما يتوفر لمدير المديرية من معلومات من أجهزته كالمخابرات والسجلات والمخطوطات التي تتحدث عن تاريخ القبيلة ورجالها. ولناخذ مثالا مديرية كسلا ^(٢) في بادئ الأمر رأى مستر انجيلسون مدير المديرية أن يجمع قبائل القصارف الثلاثة، الشكرية، الضبائية والوافدون والإقلييات الأخرى كاللحويين في نظارة واحدة يعقد لواءها لناظر الشكرية التي كانت عائلته تحكم في التركية ولكن أبدى الوافدون من الفور والزغاوة وخليط من قبائل الغرب رغبة في أن تكون لهم نظارة خاصة بهم، وأن يولى عليهم الضابط عبد الله بكر، قائد المنطقة الشرقية ولما كان عبد الله بكر من ضمن الضباط الذين كانوا اعضاء بجمعية اللواء الأبيض، خشي المدير ان ينجراف بالادارة الأهلية نحو السياسة، ولكنه في نهاية الأمر وافق علي تعيينه نزولا علي رغبة الناس ناظرا علي الوافدين بدار بكر أستمر ناظرا لهم لما بعد الاستقلال وحتى وافته المنية، رحمه الله، وكان زميله أحمد حلمي أبو سن هو الآخر ضابطا وعضوا بجمعية اللواء الأبيض وقد عين ناظرا للشكرية لاحقا تجاوبا مع رغبة القبيلة.

وفي المديرية الشمالية عندما تم التحري والتدقيق علي نحو ما جاء في الفقرة السابقة، وعندما يتم الترشيح، والترشيحات يوقع عليها كبار مشائخ القبيلة واعيانها ورجال الدين وفي هذا الصدد اطلعني الشيخ البشير جلال الدين ، كبير رجال بيت

^(١) The making of modern Sudan Edited By K.D.D Henderson

^(٢) نمرج الملفات السرية لمديرية كسلا

المجاذيب، ذو النفوذ الديني الواسع، عند زيارتي له، بمنزله بالدامر، متعه الله بالصحة والعافية، عام ١٩٨١م، علي وثيقة بخط اليد، يحتفظ بها، تحمل توقيع اعيان ومشائخ قبيلة الجعليين وزعيم بيت المجاذيب المرحوم مولانا البشير جلال الدين، تؤيد ترشيح المرحوم حاج محمد إبراهيم فرح لنظارة الجعليين. وكان بجانب توقيع مولانا الشيخ البشير جلال الدين خليفة المجاذيب الشيخ علي جاد الله رئيس محكمة مشائخ مركز سندي والشيخ عوض الكريم أبو نخيلة أحد فرسان واقعة أبو طليح ومن أعيان المتممة والعمدة أحمد محمد فرح عمدة المتممة والشيخ مصطفى الأمين والشيخ ود سرور من اعيان المتممة، وكنت أتمنى الحصول علي الوثيقة لضمها لمراجعي وآمل أن أوفق في ذلك، وكان تاريخها علي ما اذكر ١٩٣٣م كما جمعت توقيعات من مشائخ الفروع لهذا الغرض الذي لقي قبولا من السلطة ومن ثم تم تنصيبه ناظرا علي قبيلة الجعليين .

أما رث الشلك فيتم تعيينه وفق طقوس ومراسيم دينية وتتبادل المنصب ثلاث عائلات دوريا عندما يصير شاغرا بموت أحدهم والعملية يطول شرحها وإنما يكفي هذا لتوضيح كيفية الاختيار. وعند الزاندي الذين يسكنون ضفاف نهر الكنغو ثم هاجر نثهم للسودان منذ حوالي عام ١٨٩٠م تنقسم القبيلة الي العامة والعائلة المالكة (الافنرا) ومن الاخيرين يختار السلاطين يعاونهم ابناؤهم وأقرباؤهم وقليل من العامة ولكل سلطان منهم دار تسمى باسمه : السلطان طمبرة علي منطقة طمبرا - السلطان يامبو علي منطقة يامبو . ولما كانت قبائل منطقة الجزيرة صغيرة وكثيرة - المسلمية - الشنابلة - البطاحين - المغاربة - اللحيين - الحلاويين - العركيين - الوافدين من الغرب، تعذر جمعهم في نظارة واحدة ولذلك لم يكن اختيار ناظر واحد لهم واردا عمليا فاستعوض عن ذلك بأختيار مشائخ الخطوط بسلطات أقل عن التي منحت للنظار كما سنرى . والاستثناء قبيلة الحلاويين فقد أختير لها ناظرا يشرف علي امرها.

المجاذيب، ذو النفوذ الديني الواسع، عند زيارتي له، بمنزله بالدامر، متعه الله بالصحة والعافية . عام ١٩٨١م، علي وثيقة بخط اليد، يحتفظ بها، تحمل توقيع اعيان ومشائخ قبيلة الجعليين وزعيم بيت المجاذيب المرحوم مولانا البشير جلال الدين، تؤيد ترشيح المرحوم حاج محمد إبراهيم فرح لنظارة الجعليين. وكان بجانب توقيع مولانا الشيخ البشير جلال الدين خليفة المجاذيب الشيخ علي جاد الله رئيس محكمة مشايخ مركز سندي والشيخ عوض الكريم أبو نخيلة أحد فرسان واقعة أبو طليح ومن أعيان المئمة والعمدة أحمد محمد فرح عمدة المئمة والشيخ مصطفى الأمين والشيخ ود سرور من اعيان المئمة، وكنت أتمنى الحصول علي الوثيقة لضمها لمراجعي وأمل أن أوفق في ذلك، وكان تأريخها علي ما اذكر ١٩٣٣م كما جمعت توقيعات من مشايخ الفروع لهذا الغرض الذي لقي قبولا من السلطة ومن ثم تم تنصيبه ناظرا علي قبيلة الجعليين .

أما رث الشلك فيتم تعيينه وفق طقوس ومراسيم دينية وتتبادل المنصب ثلاث عائلات دوريا عندما يصير شاغرا بموت أحدهم والعملية يطول شرحها وإنما يكفي هذا لتوضيح كيفية الاختيار. وعند الزاندي الذين يسكنون ضفاف نهر الكنفو ثم هاجر ثلثهم للسودان منذ حوالي عام ١٨٩٠م تنقسم القبيلة الي العامة والعائلة المالكة (الافنرا) ومن الاخيرين يختار السلاطين يعاونهم ابناؤهم وأقرباؤهم وقليل من العامة ولكل سلطان منهم دار تسمى باسمه : السلطان طمبرة علي منطقة طمبرا - السلطان يامبيو علي منطقة يامبيو . ولما كانت قبائل منطقة الجزيرة صغيرة وكثيرة - المسلمية - الشنابلة - البطاحين - المغاربة - اللحويين - الحلاويين - العركيين - الوافدين من الغرب، تعذر جمعهم في نظارة واحدة ولذلك لم يكن اختيار ناظر واحد لهم واردا عمليا فاستعوض عن ذلك باختيار مشايخ الخطوط بسلطات أقل عن التي منحت للنظار كما سنرى . والاستثناء قبيلة الحلاويين فقد أختير لها ناظرا يشرف علي امرها.

ربما كان الوضع في أعالي النيل يشابه ذلك ويختلف عنه بعض الشيء فهنا كما في الجزيرة قبائل كبيرة وصغيرة كثيرة ففي أعالي النيل قبيلة النوير بفروعها الكثيرة وكان من المأمول ان يكون في كل مركز من مراكز النوير الاربعة سلطان واحد الا ان ذلك تعذر كل فرع ليس راضيا بالفرع الآخر - خشوم بيوت - كل يريد ان يحتفظ بكيانه وذاتيته فكثر عدد السلاطين في المركز الواحد وكانت لهم مشاكلهم الكثيرة مع الدينكا ومع الحكومة نفسها مما جعل التفاهم والتعاون والاتفاق معهم علي اختيار موحد صعب المنال، فضلا علي ان الكجور ظل يمسك بالسلطة الدينية والدنيوية وله نفوذ كبير علي النوير يقودهم يحرضهم علي الحكومة . يختلف الحال عندهم عن الشناك ، والدينكا حيث للشناك رث واحد، ولالدينكا سلطان كبير واحد في كل منطقة .

وهكذا تم في مديريات كثيرة اختيار النظار والسلاطين والمقاديم والمكوك وباشروا سلطاتهم بجدارة وكانوا عند حسن الظن بهم . وتفاوت نجاح الادارة الأهلية في المديريات بينما نجح النظام نجاحا باهرا في كردفان مما اثار أعجاب الحاكم العام وأعتبره انتصارا كبيرا لسياسته الجديدة الذي ظل يرعاها ويراقب تطورها عن كثب، تعثر بعض الشيء في شمال كسلا بسبب التخلف ونفوذ رجال الدين الفقهاء ولكن في النهاية تكونت النظارات عند البشاريين والامرار . كما كان عملها، وقد باشرته بجدة، في الشمالية والواسط ، مرضيا بصفة عامة وكان نظارها اهلا للمسؤولية .

ولعل ما قدمناه من امثلة لأختيار النظار وغيرهم من كبار رجال الادارة الأهلية يفند الرأي القائل بان الادارة الأهلية مؤسسة علي الوراثة أساسا، هناك عناصر تطرقنا لها من قبل ولكن لا بأس من ان نكررها هنا : تاريخ البيت والولاء له مؤيدا بالشورى، وهي بمثابة استفتاء وديمقراطية في القاعدة، وشخصية المرشح واعنامه التي ترصد في النبذة الذاتية والتي يحتفظ بها مفتش المركز ويجدها بالحذف والاضافة كل ٦ أشهر تضم ايضا الواعدين واولئك الذين لهم أسهامات في العمل

العام، وبالرغم من كل الحيلة والحذر والتأنيث والدقة، فلا بد ان تكون هناك ثغرات تفتقد منها بعض اللججورات والاهليات، كقلة مواقع ومحسوب يقابل بالحزم والحسم فقد استلغى من خدمات بعض المشائخ في مديرية بربر لارتكابهم اسلوب القسوة مع مواطنيهم وخدمات ايضا ممارسات في مديرية النيل الازرق والنيل الابيض ودارفور اساليب للتعذيب وحقائب من ارتكبوها، فضلا عن تلبية عمدة في مديرية الخرطوم، والاختيار مهما كان مساوياه من الدقة يترك بعض الرواسب لمدة طويلة، مسببة خميرة تعذلة المردم والحكومة وقد تجسست للحكومة خبرة للتعامل مع هذه الظاهرة وساقدر من لها باستئاضة لادها كانت تؤثر على اداء الادارة الاهلية، ظلت الحكومة تراقب اداء الادارات الاهلية وكما برهنوا على الهم يباشرون عملهم بأخلاص زانتهم سلطات اوسع، تسليخ من تلك التي يباشروها المفتشون .

في هذا الاثناء بدأت المنشورات^(١) والتعميمات ترد للمديرين والمفتشين من مكتب السكرتير الاداري تبصرهم بالسباسة الجديدة وكيفية تطبيقها، ويتلخص ذلك في التوجيه لهم بان الحكومة اعتمدت الحكم عبر هؤلاء المشائخ، وانهم جزء لا يتجزأ منها، مدحوا سلطات واختصاصات وصلاحيات اعترفت بها الحكومة وقتئذها ولا تعتمد على مزاجات الاداريين، الذين ينبغي ان يدركوا بان الحكومة تؤيد الحكم الاهلي، ولا تؤيد ان تفرض نوعا من الحكم البريطاني، بدعنه المشائخ، وفي هذا الاطار يجب على الاداريين ان يعلقوا افضل ما في المؤسسات الاهلية، ويتجنبوا كل ما يقود الى مجرد الناس عن وطنيتهم، ويرسخوا احترام السلطة، واحترام الناس وعلى ان يراعدوا ان السلطة الاهلية تعامل الفرد العادي والضعيف معاملة عادلة .

وقال لهم السكرتير الاداري انه من الواجب عليهم ان يقوموا بكل ما في وسعهم لتطوير الاهالي سياسيا، بالتهابج الاساليب المناسبة مع رجال الادارة الاهلية

(١) كتاب لسري للغةية والخاس بالادارة الاهلية، مديرية فساد .

حسب معتقدات وتقاليد مجتمعهم، علما بأنه لا طاقة للحكومة أن تدير مثل هذا البلد بأشخاص أجانب لو استخدمت أضعاف الموظفين الحاليين، كما يجب أن يدربوهم علي الخدمات الزراعية والبيطرية علي النهج الذي ابتكره نيوبولد مفتش الوجه معهم فهو يرى التدريب أهم من فرض القوانين .

وطلب السكرتير الإداري من المفتشين أن يلموا الماماً تاماً بقوانين الإدارة الأهلية، وأن يكون الاختيار لرجالها بتوخي رغبة الأهالي، وأن لا يكون بأي حال من الأحوال علي نظام الانتخابات الاوربية، وعلي الإدارة الأهلية، التي خولت السلطات، أن تضع أوامر وقواعد محلية، والغرض من ذلك هو اعطاء الفرصة للعادات والتقاليد أن تتبلور وتكون في شكل قواعد مدونة، علي أن لا تكون منفرة أو متعارضة مع العدالة والاخلاقيات مثل ما يحصل في حالة ولادة التوأمين عند قبائل الادوك والكوما في مركز الكرمك^(١) أو استعمال السحر علي نحو ما يباشره الزاندي وقبائل أخرى، أو قتل الرث عند مرضه حتى لا يموت موتاً طبيعياً كأفراد الناس، كما يفعل الشاك. ولا بأس ان تستغل الأوامر لفرض رسوم خفيفة لا ترهق الأهالي لتقديم بعض الخدمات علي أن تكون الرقابة دقيقة من المفتش وبموافقته .

ينبغي أن يدرك المفتش علي أنه ليس هناك نوعين من الحكام، أهالي وبريطانيين، ولكن توجد حكومة واحدة إذ أن للشيوخ سلطات معترف بها كما هو الحال بالنسبة للحاكم البريطاني، وأن لا تتعارض ولا تتطابق سلطاتهم فكل واحد مكمل للآخر . كما طلب من المفتشين أن يشرحوا مشاريع الحكومة ونواياها نحو تقدم البلد، ليكسبوا عطفهم وتعاونهم. وأن ينفذوا واجباتهم بطريقة مقبولة للمجتمع وأن يبتعدوا عن استعمال اساليب القهر والاضطهاد. وان يعي المفتشون أن المطالبة

(١) المرأة التي تلد توأمين يعتبر الادوك والكوما أنها مسكونة بالسحر Evil Eye ولذا فهي منبوذة عندهم ونذير سوء وهي والحالة هذه عندما تشعر بالمخاض تتخذ لها مكاناً قصياً، داخل الغابة، وإذا ولدت توأمين فرت بجلدتها من تلك المكان خوفاً من البطش بها. هكذا تركتهم علي عاداتهم اللئيمة هذه وأنا اغادولكنها تختفي بالقوانين لا تفلح في استئصال العادات السيئة ولكنها تختفي بانتشار العلم والوعي.

بالمستوى العالي مطلوبه ولكن لا بد ان نتذكر ان التدرج هو الطريق الصحيح، وان العجلة لا مبرر لها، فهناك قرون تفصل بيننا وبينهم في التطور، لا يمكن ان تختصر في جيل . وأن التجاوزات وسوء استعمال السلطات لا مناص منه، وعليه يجب ان يكون الاشراف لصيقا ويجب تطبيق سلطات الاشراف الممنوحة للمفتشين، وأن تفتح مكاتبهم لسماع شكاوي الأهالي وأن تكون المأموريات متلاحقة لتوقف أي تجاوز عند حده وفي حينه. كل ذلك من شأنه ان وجود ويوطد اداء الادارة الأهلية ويضعها في المسار القويم .

توالت المنشورات علي هذا المنوال توجه وتنبه، ومن بينها منشور يبين المعاملة التي يعامل بها النظار والسلاطين عندما تقتضي الظروف ايداع أحدهم السجن، فلا يجب أن يودع في السجن العام كعامة المواطنين، وإذا توقع المفتش أن وقف وحبس الناظر أو السلطان يخلق مشكلة سياسية أو يثير مشاعر أتباعه، فإنه من الاضرب أن يرسل لرئاسة المديرية، وإذا ارتكب الناظر مخالفة أو جريمة تعرضه للمحاكمة فليس هناك ما يحول دون ذلك ، ولكن يتم الاجراء بموافقة مدير المديرية، فمثل هذه الحصانات أمر عادي يتمتع به كبار الموظفين والقضاة وأعضاء المجالس التشريعية، وهو مبدأ معمول به وذلك حتى لا يتعرض مثل هؤلاء الاشخاص للأهانة أو الاذلال قبل الادانة وكقاعدة عامة يترك المجال للنظار اتخاذ الاجراءات ضد أعوانهم من رجال الادارة الأهلية ولكن يتم ذلك كله بموافقة مدير المديرية ووفقا لتوجيهاته ونصيحته والاهم من ذلك كله ان يكون المفتش يقظا فيقدم الارشاد والتوجيه في الوقت المناسب حتى لا يقع هؤلاء الاشخاص في المحذور فيتعرضوا لمحاكمات من شأنها أن تحط من قدر الادارة الأهلية . ومن جهة أخرى طلب من مديري المصالح ان يكون اتصالهم برجال الادارة الأهلية عبر مدير المديرية أو مفتش المركز في غير المسائل الفنية . أما في المسائل الفنية فيجوز الاتصال بهم مباشرة علي أن

يترك لهم أسلوب التنفيذ مثال ذلك بناء الكرتينات للإنسان أو التبليغ عن الأمراض الوبائية.

وفي اتجاه آخر طلب السكرتير الإداري من قادة البوليس الا يرسلوا البوليس لمناطق الادارة الأهلية إلا بموافقة المفتش، والا في حالة إستحالة الحصول علي تلك الموافقة .

إن الهدف من إصدار تلك المنشورات كما يري القارئ وكما يبدو لنا هو توضيح المبادئ والأسس التي تحكم التعامل مع الادارة الأهلية، لخلق جهاز فعال منها وتمهيد الطريق لنجاحها وحمايتها من الانزلاق في المحاذير . يبدو لي ان تلك المنشورات قد نجحت في تشجيع المتحمسين من الاداريين البريطانيين في السير قدما في مخططاتهم بضوابط، وحث اولئك المتكئين الذين ترددوا في التنازل عن سلطاتهم للادارة الأهلية أن يفعلوا ذلك، فقد وفرت لهم المنشورات الضمانات المناسبة لنقل السلطة بيسر وحذر .

لقد سارت الادارة الأهلية في الطريق السليم الذي رسم لها، وفي هذا الصدد علق سير هارولد ماكمايل السكرتير الإداري بأن ^(١) زعماء القبائل ساروا علي الطريق القويم وان تصرفاتهم جيدة ومأمونة الجوانب ويكون التقدير للحكومة لما منحتهم من سلطات، وكلما يخشاه الانسان ان يظنوا ان تلك السلطات حق من حقوقهم، وانها، والحالة هذه، ليست منحة من الحكومة، وهنا يكمن الخطر، في رأيه. أما سير جون مفي فقد ترك السودان عام ١٩٣٣م وقد شهد مزيذا من السلطات الادارية والقضائية تمنح لرجال الادارة الأهلية كما منحت ثلاث سلطات ادارية وقضائية واسعة هي ادارة دار مساليت و ادارة الزريقات وادارة الجوامعة، فكان مقتنعا بأن سياسته قد صادفت نجاحا منقطع النظير ففارق البلاد مرتاحا لما تم .

(١) وفاقع اجتماع مديري المديرية الشمالية بالسكرتير الإداري من ٢ - ٥ ديسمبر ١٩٣٠م

الفصل الخامس

الإدارة والقضاء الأهلي

لقد تحدثنا عن القبائل وتعيين النظار واستعرضنا المنشورات الموجهة لتطبيق الإدارة الأهلية والآن نتحدث عن كيف مارس النظام الجديد السلطات التي منحت له في القضاء، الإدارة المالية، الأمن والنظام .

اتخذت الإدارة البريطانية خطوات تكفل تقنين العرف والتقاليد بدأت تمارسها قبل دعوة الحاكم العام، مفي، وتقلده منصب الحاكم العام سنة ١٩٢٧م وتبنيه للحكم غير المباشر اذ صدر ما بين ١٩٢٢ - ١٩٢٧م قانون سلطات محاكم الشيوخ والقبائل الرحل وقانون المحاكم القروية ١٩٢٥م وقانون سلطات الشيوخ عام ١٩٢٨م وقانون المحاكم الأهلية ١٩٣٢م وقانون محاكم السلاطين عام ١٩٣١م للمديرية الجنوبية التي كان أكثر سكانها من الوثنيين، ففيها يعتبر العرف المصدر الاساسي للاحكام وان كانت محاكم السلاطين تطبق بعض مواد قانون العقوبات التي نص عليها في أوامر تأسيس تلك المحاكم. ولما كانت هذه المحاكم كلها تمارس العرف، فما هو قول علماء القانون في العرف ويقول العلامة هنري رياض قاضي المحكمة العليا سابقا : " العرف تشريع أجماعي ولكنه لا يصدر من سلطة تشريعية بل من ضمير ووجدان الجماعة" (١).

ويقول ايضا :-

" يعتبر العرف مصدرا من مصادر القانون، شأنه في ذلك شأن التشريع، أي القانون العادي" (٢) " كذلك كانت الجماعة السودانية كغيرها من الجماعات الانسانية

(١) موجز تاريخ السلطة التشريعية في السودان لمولانا هنري رياض قاضي المحكمة العليا سابقا.

(٢) موجز تاريخ السلطة التشريعية في السودان لمولانا هنري رياض قاضي المحكمة العليا سابقا.

الاولي، تخضع لما درج عليه الناس في تنظيم شؤون دنياهم، وما توارثوه من أعراف وعادات عن آبائهم واجدادهم" .

لقد صور شارلن دواتي مجالس العرف، في الممارسة في كلمات قليلة وبسيطة تحتاج الي فنان ليرسم منها لوحة رائعة حيث قال :- (٣)

" This is the council of elders and the public tribunal : hither tribesmen bring their causes at all time. And it is pleaded by the maintainers of both sides with busy clamour : and every one will say his word that will . the sheykh meanwhile takes council with shkys. eldermen and more conciderable persons; and judgement is given commonly without partiality and always without bribes. This sentence is final"

ونورد في ما يلي ترجمتنا لها :-

(هذا هو مجلس الكبار، والمحكمة العامة، واليه يحتكم رجال القبيلة، فيما شجر بينهم، يدلي كل من الطرفين بحجته بحماس شديد، كل يقول كلمته التي تسند حجته، بينما يتبادل المشائخ الرأي ويتشاورون مع بعضهم البعض، ومع كبار السن المتعمرين، ومن ثم يصدر الحكم بأجماع الراي، بدون تحيز، وفي كل الاحوال دونما رشوة ، ويكون عندها الحكم نهائيا) .

(٣) Administrator Ethnology – collection of Sir Douglas Newbold



الشيخ طيفور محمد شريف - شيخ خط العاليلاب

كما هو واضح من قانون عام ١٩٢٢ فإن البداية كانت متواضعة، اذ بدأت بمحاكم الرحل، وقد صدرت أوامر تأسيسها بموجب القانون أعلاه موضحا بها السلطات التي تمارسها، فاصبحت تحاكم بالسجن والغرامة والجلد . فأزاحت عن كاهل المفتش كثيرا مما كان يعانيه في نظر هذه القضايا البسيطة، التي كانت تشغل كثيرا من وقته، كما وفرت على الناس كثيرا من الوقت والمشقة في الذهاب للمراكز. فضلا عن ذلك ان القانون الجنائي غريب عليهم فالأفضل لهم ان يتعاملوا مع شخص يعرفهم ويعرفونه، ويشملهم بأبوته ومن جانب آخر فإن المفتش يشرف على هذه المحاكم ويراجع احكامها اثناء الماموريات واثناء تفتيش السجن حتى لا تتعارض مع العدالة والاخلاقيات.

في عام ١٩٢٥ م باشرت هذه المحاكم القروية عملها وكانت تسير وفق قانون الاجراءات الجنائية لحد كبير الشئ الذي مكن الهيئة القضائية، فيما بعد ان تحل محلها مجالس القضاة بأوامر تأسيس تصدر من رئيس القضاء في حين ان المحاكم الأهلية الاخرى غير مقيدة باتباع قانون الاجراءات الجنائية ولا قانونو الاثبات لا في سماع الشهود ولا في اصدار أحكامها وعن مدى نجاح هذه المحاكم القروية كتب مدير مديرية بربر في تقريره السنوي لعام ١٩٢٧م:- (في هذه السنة أسست خمس من المحاكم القروية بسلطات محدودة ولمناطق معينة لتقضي محليا في القضايا الجنائية والمدنية البسيطة وقد حققت هذه المحاكم نجاحا كبيرا فقد حاكت ٢٤٨ قضية مدنية و ٨٠ قضية جنائية مما اكد لي ان هذه الفكرة جيدة . لقد أبدى الاهالي قبولهم وارتياحهم لها، مما حدا بعدد من القرى ان تطلب ضمهم لاقرب محكمة قرية، لم يكونوا قد ضموها لها من قبل . ان السياسة التي تمنح المشائخ سلطات ادارية هي الاخرى تسير بنجاح ملحوظ) .

وكتب مدير النيل الارزق في تقريره السنوي (ان تقدما واضحا ومبشرا قد تم في تحويل السلطات القضائية للمحاكم القروية . ومبدأ التدرج في منحها السلطات برهن علي نجاحه وفعاليتها فقد اصدرت هذه المحاكم ١١٠٠ حكما) . وأكد كل من مدير دارفور وكسلا والفونج نجاح السياسة ^(١) وفي عام ١٩٢٧م أنشأت محكمة المشائخ التي يرأسها اكبر المشائخ شأنا يجلس معه أعضاء من المشائخ، يحدد أمر تأسيسها اختصاصها، ورئيس المحكمة وأعضائها. فقد تتكون قائمة الاعضاء من خمسة وعشرين او اكثر لتتيح الفرصة لأكبر عدد من الناس في الاشتراك فيها علي ان يحدد دوريا عدد من يجلسون في جلسة انعقاد المحكمة وكثرة العددية الغرض منه سد أي ثغرة في الغياب وامر التأسيس يحدد الحكم بالسجن لمدة ستة اشهر والغرامة ٢٠ جنيتها . ومن ميزات اوامر التأسيس منح المرونة اللازمة للتعديل في البنود التي

(١) ملف الادارة الاهلية المري - بمديرية كسلا سابقا.

تحتويها وقد جرى لهذا القانون تعديل عام ١٩٢٨م ثم عدل القانون عام ١٩٢٨م نفسه
واخيرا صدر قانون المحاكم الأهلية عام ١٩٣٢م وهو قانون شامل ضمنت فيه كل
القوانين التي سبق ذكرها وغطى جميع انحاء السودان فيما عدا المديريات الجنوبية
وفي هذا الصدد قال سير هارولد ماكمايل " قانون عام ١٩٣٢م للمحاكم الأهلية القصد
منه ان يلغى شتات القوانين السابقة له لتجمع في قانون واحد " .

بموجب هذا القانون صنفتم المحاكم كالآتي :-

١. محكمة المشايخ يرأسها شيخ ومعه مشايخ أعضاء .

٢. محكمة شيخ معه الكبار في مجلس .

٣. المحكمة القروية .

٤. محكمة شيخ يجلس بمفرده .

٥. محكمة خاصة .

في ذلك الحين بلغ عدد المحاكم في شمال السودان ٦٢٠ محكمة تكونت بأوامر تأسيس
من الحاكم العام وليس من رئيس القضاء ولهذا مغذى خاص وتاكيدا لمكانتها
وأهميتها، ماعدا المحاكم القروية والمحاكم الخاصة فأن أوامر تأسيسها تصدر من
مدير المديرية بموافقة الحاكم العام ودوائر اختصاص هذه المحاكم، أعضاؤها،
النصاب القانوني، وسلطاتها، تبين بوضوح في أوامر تكوينها ، ويذكر الأعضاء
باسمائهم في قائمة مرافقة لأمر التكوين. ولقد حددت أقصى سلطة لأعلى محكمة بـ
(٦) سنين سجنًا ومائة جنيه غرامة .

أما في الجنوب فقد صدر قانون محاكم السلاطين عام ١٩٣١م، بيد أن هذه
المحاكم ظلت تباشر عملها منذ ١٩٢٣م كتجربة في مديرية بحر الغزال وكانت

معروفة باسم " الليكوكو " وتشمل ثلاثة أنواع من المحاكم : محكمة السلطان، محاكم نواب السلاطين والمحكمة المركزية التي تغطي المركز كله، أو القبيلة وتباشر عملها حسب القانون الأهلي والعادات السارية في المنطقة وقد صنفت هذه المحاكم علي النحو التالي :-

١. محكمة سلطان منفردا.

٢. محكمة يرأسها السلطان ومعه أعضاء.

٣. محكمة يصدر أوامرها الحاكم العام مبينا سلطاتها ومناطقها ويعين الاعضاء مدير المديرية .

كان مجموع المحاكم الأهلية في الشمال ٦٢٠ محكمة كما قلنا أما محاكم السلاطين فكان عددها ٣٢٠ وانتشرت هكذا المحاكم في جميع انحاء السودان وكانت تبت في أغلب القضايا. وحصر قانون العقوبات بالسجن والغرامة والجلد وأبطل بعض العقوبات التي كانت تمارسها بعض القبائل وعلي الاخص القبائل الجنوبية اذ كانت تقطع الاطراف عند الزاندي في حالة الزنا والتعامل مع السحر وأبقى علي دفع الغرامة بالحرايب عند الزاندي وبعض القبائل الاخرى والابقار للدينكا والنوير وغيرهم في وقت لم يكن التعامل بالنقد معروفا لديهم .

ولقد لاحظت أبان عملي بجنوب دارفور ان الاستئنافات قليلة الشئ الذي جعل المفتش يراجع القضايا يوم تفتيش السجن فقد كان يعتقد ان الناس يتهيبون أن يرفعوا استئنافا ضد حكم الناظر خوفا من أن يجلب لهم بعض المتاعب أو تأديبا من الطعن في حكم أصدره كبير القبيلة. ولكن بعضهم كان مناكفا وجريئا، ففي اثناء مرورنا علي سجن نيالا استوقف المفتش صوت عال ينادي (مظلوم جنابك من " الباش") فتساءل المفتش (الباش دي شنو) فرد عليه بأنه مظلوم من حكم صدر ضده من محكمة

الضعين برئاسة مادبو موسى مادبو في قضية تعدي وقضت عليه بالسجن ثلاثة سنوات. كان التأثير والاندهاش بادياً علي وجه المفتش لسببين فالقضية كما رواها المستأنف لا تستحق هذا الحكم القاسي ثم سلطة مادبو في الحكم بالسجن لا تصل لهذا الحد فأمر ضابط السجن بطلب اوراق القضية فوراً. وعند مراجعة الاوراق كانت المفاجئة مدة السجن ثلاثة شهور وليس ثلاثة سنوات. وجد المفتش ان الادانة صحيحة حسب البيانات وان الحكم مناسب فأيدهما. وكان جزاء الكاتب الرقت جزاءاً علي إهماله الفاضح والجسيم.

وفي قضية اخرى كان المحكوم عليه احد شباب الجلاية، شاب عصامي يمتلئ حيوية وذكاء، اصبح من تجار المواشي المعروفين معتز بنفسه لا تعجبه الاوضاع ولا سلوك الجلاية نحو السلطة فيعتبرها استكانة وكان يعبر عن رايه في مجتمعاتهم وغاليا ما يصل حديثه محرفا بقصد الكيد له مع اهل الشأن الذين لا يجدون في ذلك مايدعو لمحاسبته ولكن لسوء حظه ضبط يعاقر الخمر وهو شئ يحرمه الدين وبأباه مجتمع البقارة الذي لا يدخن ولا يغامر ولا يتعاطي الخمر (ربما تكون هذه القيم قد اختفت وحلت محلها قيم اخرى) . قبض عليه، وادع السجن، أدين وحكم عليه بستتين سجنا أستاذ للمفتش وطلب اوراق القضية وتأخرت زمنا ليس بالقصير. فأمر الشاب مكتب السكرتير الاداري والمدير بوابل من الاستئنافات، كنا نتعاطف معه واخيرا وبعد نظر استئنافه أقر المفتش الادانة للبيانات الكافية وخفض السجن للمدة التي قضاه بالسجن واطلق سراحه .

أما القضية الثالثة التي رأيت ان اسجلها تتعلق بنائب رئيس المحكمة ونرمز اليه "بسمي جده" كما كانوا ينادونه. كان يداوم شرب الخمر بنهم شديد ، في احدى الليالي شرب كمية كبيرة من الخمر، ولعبت برأسه فاقتحم احد البيوت بملابسه الداخلية ، وكان سلوكه داخل المنزل منافيا للاداب، ففتح صاحب المنزل ضده بلاغا بالتعدي، والاساءة له ولزوجته. وافق المفتش علي فتح البلاغ واوكل لي امر التحقيق

لاعتبارات قدرها هو أي المفتش. رفعت له التحقيق، وقرر عقد المحكمة لمحاكمته، بعد ان اخذ موافقة المدير، وحكم عليه بستة أشهر سجنًا. والي هنا سار الأمر في مجراه الطبيعي الا ان المفتش أرسله بعد المحاكمة مباشرة الي سجن الابيض، حرصا منه علي تنفيذ المنشور الخاص بمحاكمة العمد والنظار، ولكنه لم يطلب موافقة مدير كردفان، فاحتج الثاني، وثار الاول (مستّر د. هندرسن) الذي يتصيد أخطاء رؤسياه ليس لتصويب الأخطاء، وللفت نظرهم فقط، بل ليتخذها نقطة سوداء في التقارير السرية عنهم. انتهى الامر بإيداعه سجن الفاشر. سقت هذه الامثلة الثلاثة للتدليل علي ان المحاكم تراجع احكامها بضوابط وبمراقبة لصيقة للتأكد ان المحاكم تتوخى العدالة في احكامها كما وتطبق المنشورات التي تصدر اليها تباعا .

أما في الجنية (دار المساليت) التي قضيت فيها مدة نّقل عن خمسة أشهر كمأمور، فالأمور من حيث القضاء الأهلي تختلف كليا اذ أن سلطنة دار مساليت تحكمها اتفاقية بين حكومة السودان وسلطان دار مساليت ^(١) وبموجبها فأن دائرة اختصاص المعتمد (بريطاني آنذاك) القضائية تتحصر في أردمتا (ارض متعة) مدينة صغيرة في رئاسة المعتمدية وضواحيها وفي دائرة قطرها ٦ كيلومترات بها المعتمدية والطابية وكذلك تتحصر سلطاته في رئاسة المحاكم الكبرى والصغرى أما بقية دار مساليت فكلها تقع في دائرة اختصاص السلطان الذي يصدر احكامه في مجلسه يعاونه في ذلك قاضي السلطان وهو شخصية متفقة في الدين ويساعده ايضا الدينمقاوي ما يعادل العمدة أو الشرناي .

ومن السلطات التي منحت للادارة الأهلية محاكمة الذين يخالفون الاوامر الادارية الصادرة منها كمكافحة الآفات ودرء الكوارث وهنا يحدث الجمع بين السلطات الادارية والقضائية ولقد تم توجيه النظر ان يحيلوا من يخالف أوامرهم الي

(١) هذه الاتفاقية موجودة بدار الوثائق.

محكمة شيخ الخط لمحاولة الفصل بين السلطات الادارية والقضائية ولكن هذا لا يروق لبعضهم فيحصررون الأمر بالمحاكمة أمامهم حتى يكون لها وقعها الفوري ولردع الآخرين وهذه نقطة تؤخذ ضدهم فتصحح .

المحاكم الأهلية تختصر تسجيل الوقائع والاثبات والحيثيات والادانة والحكم بطريقة يمكن لكاتب المحكمة خريج الخلوة أو الكتاب أن يستوعبها، ومن خلال الممارسة يجيدها، ويتقنها، ولتبسيط الأمور يشمل سجل المحكمة القضايا الجنائية والمدنية وفي الجنوب يقوم بالمهام خريجو المدارس التبشيرية بنفس الطريقة ويتقادون تسجيل الحوار الذي يسهم به المتفرجون وهو حوار ربما طال .

ترسل طلبات المثل امام المحاكم مع الخفراء او البوليس الراكب. أما شفاهة أو مكتوبة، وتسلم للمشائخ في القرى أو الفرقان وبياشر الشيخ حسب تلك الأوامر اعلان المتخاصمين، والقبض على المتهمين، وعلان الشهود للمثل امام المحاكم، والعملية في اغلب الاحيان تتم بسهولة ويسر، فاماكن تواجد الناس المطلوب إعلانهم معروفة لديه . والناس يدركون ان القبض عليهم سيتم طال الزمن او قصر ولذا فإن التهرب لا يحدث كثيراً. ويواجه الشخص عندما يمثل امام رئيس المحكمة بوضعه في الحبس التابع للنقطة ان وجد، او يبقى تحت حراسة الخفراء او يطلق سراحه بضمانة بعد ان يتم استجوابه .

ووقفة مع القضاء الأهلي في المراكز والمديريات التي عملت بها فمن دارفور، التي قصصت تجاربي مع الإدارة عنها في الفصل الأول. تم نقلي الي مديرية النيل الأزرق القديمة ^(١) والي مركز بحري الجزيرة (الحصاحيصا) علي وجه التحديد، وجدت وضعاً مختلفاً للقضاء ، ففي خطوة جريئة قام البريطانيون بفصل القضاء الأهلي، عن الإدارة لاسباب كثيرة منها ان الاعباء الادارية للإدارة الأهلية قد

(١) الآن ثلاث ولايات - الجزيرة - النيل الأبيض - النيل الأزرق

تقلصت فبالمرکز خمسة مجالس تنتخب انتخاباً مباشراً فيما عدا الاعضاء المعينين كما أن رؤسائها ينتخبون انتخاباً مباشراً، ايضاً وقامت في الثفائش^(٢) مجالس تناقش شؤون المزارعين. إضافة الى ذلك انشأ قسم التنمية، فريق بقيادة الاستاذ مكي عباس، ويقوم القسم باعباء أخرى، منها تعليم الكبار ونوادي المزارعين، ونشر التربية الوطنية، مما جعل المنطقة المروية تتمتع بخدمات مؤسسية، وقدر من الوعي العام وديمقراطية في القاعدة كان لابد ان يواكبها تطور في وضع رجل الإدارة الأهلية الذي يجمع بين السلطتين القضائية والإدارية فكانت فكرة فصل القضاء عن الإدارة كتجربة يعمل بها، أن نجحت في مناطق الوعي. ولم يشمل هذا الفصل الضفة الشرقية من المركز، الذي يقع تحت نفوذ نظارة الشكرية. وهكذا أصبح للمحكمة رئيس، غير شيخ الخط، الذي يقوم بخدمات للمركز وللمجلس وكلاهما يتبع لمفتش المركز الذي مازال هو الإداري والقاضي. اعجبتني الفكرة وقد تمت بتدرج وحرص شديد وضوابط حتى لا تختل الاوضاع فمثلاً لا يتم الفصل بين القضاء والإدارة الا عندما يختفي من كان يحتل المنصبين لأي سبب من الاسباب. فمثلاً عندما خلا منصب شيخ خط المسلمية للإستغناء عن خدماته وعند وفاة شيخ خط الكاملين وفي الحالة الاخيرة وبعد التشاور مع الأهالي والعمد والمشائخ تم تعيين شيخ خط ورئيس المحكمة من بيت النعيم قال لي شيخ الخط مازحا وساخرًا سلموني مركب بدون مقاديف وبندفية بدون ذخيرة وصدق فسكانته كقاضي كانت تساعد في تنفيذ الاحكام، ولم يطبق الفصل علي نظارة الحلاويين، فقد كان الناظر علي قيد الحياة وظل في مكانه الي ان نقلت الي الاستوائية عام ١٩٥٩م، ومهما يكن فان الجمع بين السلطتين يساعد في تنفيذ السياسات الادارية، ولكنه لا يتمشى مع فصل السلطات، وبالتالي تحقيق العدالة.

والسحاكم الأهلية ببحري الجزيرة جل قضاياها تنحصر في الشغب بين الوافدين^(١) من العمال من جانب، والمزارعين من جانب آخر، وفي قضايا الحيازة

(١) الوحدات الزراعية في مشروع الجزيرة.

(٢) الوافدين من نيجريا - الفلانة البرنو وغيرهم وكذلك الذين جاءوا من غرب السودان للعمل بالمنطقة.

والتعدى من الرعاة على المزارع، سرقات القطن، وفي مشاكل الخليط من القبائل التي تتصادم مع بعضها البعض، وتعدى اصحاب الماشية علي حقول القطن ليلا بالرغم من الدوريات المخصصة لهذا الغرض. ويحضرني بهذه المناسبة ذلك الحادث الذي كاد ان يحدث خللاً كبيراً في الامن . كان مدير القسم الشمالي بمشروع الجزيرة رجلاً غيوراً علي عمله يمر ليلاً علي الحقول، رابطاً علي راسه بطارية كشافة، لاكتشاف قطعان الماشية من علي البعد، كما انه يطلب من الصمودة ^(١) (وهم لهم مسئولية اخرى) ان يفعلوا مثله كما انه يضغط علي المزارعين ويتهمم بالتواطؤ والتعاطف مع اصحاب البهائم، يعاملهم بغلظة وصراف، فعقدوا امرهم وحاصروه في المكتب وطوقوه، فهااتفنا مستعينا بنا، فأعدنا قوة من البوليس لنجده، بعد أن أخطرنا مدير المديرية ورئاسته ببركات، وعند وصولنا وجدنا ان شيخ الخط وكبار الشخصيات فكوا الاشتباك . تحدثنا للمواطنين بأن عملهم غير قانوني ويجب الا يكرر وتركنا لهم المجال للحديث لينفوسوا عن انفسهم، وقد عقدت لهم محكمة اهلية فورية فحاكمتهم، ونقل المدير للرئاسة ببركات في وظيفة تختص بالتخطيط .

وفي قضية اخرى تمثل قضايا المجتمع المركب بالجزيرة، حيث يقيم المزارعون والرعاة واهل الغرب والفلاتة والبرنو، وغيرهم من الوافدين، جنبا الي جنب كل يأتي بعاداته وتقاليده، التي قد تتصهر في عادات وتقاليده اخرى. ففي قضية قدمت لمحكمة الخط اشتكى الأب وهو من قبيلة تاما الشادية، بأن الجاني وهو من تاما ايضا، طلب زواج ابنته فرفض طلبه، فهرب بها الاول وعاشرها وكان نتاج ذلك ولدا، فجاء يطلب عقد الزواج كعادتهم في مثل هذه الحالات ولكن والدها رفض للمرة الثانية فهو لا يقر ذلك بعد ان غير عاداته وقيمه بعد طول اقامة، بين اناس يرفضون

(١) الصمد مسئول عن الإشراف علي عدد من المزارعين لمفتش التفتيش.

مثل هذا السلوك ويتنافى مع تعاليمهم الدينية. الشهود من تاما امنوا علي هذه العادة وقالوا انها متعارفة بينهم في بلدهم الأم . ولكن المحكمة احوالت الأمر للبوليس للتحري ورفع للمحكمة الشرعية، التي بعد ان استمعت للشهود، وفشل الزوج المزعوم في تقديم قسيمة زواج، بأنها علاقة غير شرعية فحوكم بالزنا امام محكمة جنائية .

واتابع الحديث عن القضاء الأهلي فاقدم تجربتي في مركز الزاندي حيث عملت مفتشا له لفترة امتدت سنوات ما بين ١٩٥٩م-١٩٦٣م . قد تبدو للقارئ فترة طويلة ولكنها مدة قصيرة اذا ما قارنتها بتلك التي مكثها ميجر لاركن ^(١) للزاندي ما بين ١٩١١م-١٩٣١م (عشرين سنة) وتلك التي قضاها ميجر وايلد ^(٢) (١٩٣١م-١٩٥٠م) ١٩ عاما ومن بعدهما تعاقب علي المركز خمسة مفتشين: مستر قلب - مستر دانييل - أحمد افندي حسن - أبو بكر افندي العوض - وبرنابا افندي كنسقا ، بمتوسط سنتين لكل منهم ما عدا أبوبكر افندي العوض فقد مكث شهورا معدودات لمرضه.

تواصل الحديث عن القضاء الأهلي، فاول محكمة أنشئت في مركز الزاندي كانت عام ١٩٢٢م بطمبرا وكان لها تأثير بالغ اذ ازاحت عن كاهل المفتش اعباء كثيرة . طبق فيها القانون القبلي الذي يجهل المفتش الكثير عنه . ومن ثم انتظم المركز عقد من المحاكم فقد صدق بثلاث محاكم(ب) في كل من يامبيو وطمبرا وازو و ١١ محكمة (١) سبعة منها بمنطقة يامبيو و ٢ بمنطقة طمبرا تحت قانون محاكم السلاطين لعام ١٩٣١وقد صادف ذلك ضم مركزي طمبرا ويامبيو في مركز واحد

(١) قائد تجريده واحتل ارض الزاندي ثم عين مفتش لها واول من اتخذ الاحتياطات للسيطرة علي مرض النوم. كان نصا عندما خصصت له عربة عام ١٩٢٧ فقل متحسرا: كنت أجوب المركز علي رجلي يرفقني الحمالون واحي الزاندي فردا فردا اما الآن فأنوح لهم من داخل العربة بيدي وهم يلوحون لي باغصان الأشجار.

(٢) ميجر وايلد عمل مفتشا للزاندي وخطط ونفذ إعادة اسكان الزاندي بدأ عام ١٩٤٥م وكان د. توتهل قد خطط للمشروع عندما كان مديرا للزراعة، وصار مديرا لكلية غردون فيما بعد.

عاصمته ياميبو شملت أوامر تأسيس المحاكم السلطات المخولة لكل محكمة أما فيما يتعلق بالطلاق والاحوال الشخصية والقضايا المماثلة فيبت فيها حسب العادات والتقاليد وتستأنف احكام (١) الي (ب) ومن (ب) الي مفتش المركز .

قام ميجر وايلد بتدوين القانون العرفي واصدره في هيئة أوامر مستديمة (لم يضاف له شيئا من عنده وحذف منه الاشياء الشاذة والنايبة مثل صب الماء الساخن يعقبه ماء بارد علي ارجل المتهم ليقول الحقيقة او تعذيب الزاني بضربه علي اجهزته) وترجمت الاوامر المستديمة للغة الزاندي لتعمل المحاكم بموجبها .

رئاسة المحكمة (ب) دورية بين السلاطين يتبادلها السلاطين فيما بينهم لمدة شهر لكل وفي حالة الغياب (و عندما يحين دوره) يرأسها نائبه وتتعدد دورة المحاكم لتسعة شهور أما (ب) فتتمتد دورتها لاثنتي عشر شهرا . أما في طمبرا فيرأس المحكمة كبير السلاطين وكبير السلاطين علي ايامنا هو السلطان جيمز طمبرا (١) .

يحتفظ المفتش بقوائم اعضاء المحاكم وتحتفظ كل محكمة بصورة من قائمة اعضائها . تصدر المحاكم احكاما بالسجن والغرامة والتعويض وقديما كانت تدفع الغرامة بالحراپ أما الآن فاصبحت تدفع نقدا بعد ان عرف الناس التعامل بالنقد .

ومن الجرائم الشائعة ايضا ما يحدث اثناء اجتماعات بعض الجمعيات المحظورة التي لها طقوسها مثل تدخين الحشيش وشرب الخمر وممارسة الجنس الجماعي . وحصرت هذه الجمعيات في ستة هي: سورايبا، وانقا، مين، رورو، أما تانقي وموبوري، عضوية بعضها مختلطة والآخرى تضم الرجال فقط . وبالرغم من انها محظورة بالقانون الا انها لم تختف تماما . فضلا عن ذلك نجد قضايا السحر

(١) جيمز طمبرا رجل متعلم ومعتدل كان باشكاتب رئاسة المديرية الاستوائية له مصاهرة مع الشماليين، تزوج علي القلب، من عائلات المسبد، أخت السلطان جيمز طمبرا وابنه اسماعيل كانت له مواقف بطولية ضد التمرد عام ١٩٥٥م وهو رجل كريم شهم.

والشعوذة والبينج^(١) والزاندي مسكونون بالسحر والسحرة وهناك السحر الابيض وهو بمثابة (الاستخارة) أما السحر الاسود فيقصد منه ايداء الغير وتخويفهم ونشر الهلع بينهم والاخير يعاقب عليه القانون عقابا صارما .



السلطان جيمز ديكو - احد سلاطين الزاندي

وجه الزاندي غير معبر ولهذا فمن الصعب ان تستنتج او تقرأ منه اي ردود فعل او حقيقة ولكن عندما يكون الشخص كاذبا ترتجف رجليه ارتجافا شديدا وهذا يؤخذ برهانا علي كذبه، والشاهد او المتهم عندما يحلف يحثم علي ركبتيه أمام رئيس

(١) البينج هو سحر لايداء الغير.

المحكمة ويحلف علي الحربة ويلثمها . اغلب القضايا الصغيرة تعرض علي السلطان منفردا وقد يحاكم في يوم واحد ما بين ١٠-٢٠ قضية .

في قضية أمام المحكمة تتعلق بجمعية ماسيورابيا، احدى الجمعيات المحظورة، وهي جمعية مختلطة بين النساء والرجال قبض علي بعضهم وهم يعاقرون الخمر ويمارسون الجنس بجانب طقوسهم الاخرى ، تعاطي الحشيش وغيره . كما انها تخيف الناس وتجذبهم اليها مدعية بانها تستطيع ان تقتل بالسحر ، وتشفي المرض. والسلاطين يقفون ضدها بشدة لانها تقوض سلطاتهم، وتقلل من هيبة الحكومة، فيصدرون ضدها احكاما رادعة وقاسية مما جعلها تختفي شيئا فشيئا. قبضوا عليهم متلبسين بجريمتهم ولكنهم انكروا انهم يمارسون طقوس الجمعية وانهم في حفل عادي اثبت الشهود انهم يمارسون طقوس الجمعية ولم يكن هناك مناسبة للحفل، حكمت المحكمة عليهم بالسجن ولم يستأنفوا الحكم ولكن عند مروري الاسبوعي بالسجن وجدناهم في حالة بائسة ، شرود ذهن ، خمول وفقدان المناعة ، فادمانهم علي تدخين الحشيش والخمر يقودهم لمثل هذه الحالة عند حرمانهم منها. ونظر الي الدكتور قائلا : " ان حرمانهم من الحشيش فجأة يورثهم فقدان الذاكرة فالجنون، ولو لم يكن الحشيش يحظره القانون لعالجتهم بجرعات صغيرة منه الي ان نحرّمهم نائيا منه، ضحكنا وقلت له يكفي ان يستنشقوا، من علي البعد، رائحة الحشيش الذي يحرقه ضابط السجن كمضبوطات محظورة، ربما يبعث فيهم ذلك، الروح والأمل !!".

في قضية مشاجرة بين الدينكا، الذين جاءوا بابقارهم لبيعها الجزارين، وبين الزاندي بسوق يامبيو والدينكا لهم عداا وثار قديم، اعتدى الدينكا علي الزاندي واوسعوه طعنا بالحرايب، حكمت المحكمة علي الدينكا بالسجن، كانت احكاما متفاوتة بعضها مبالغ فيه . وكان وليم دينج مساعدا للمفتش، ولكنه اسر الي ان بين الدينكا والزاندي ثار كبير وقديم وحقد ، وضعينة وقص علي هذه القصة التي رواها ميجر لاركن ايضا، في مذكراته، والقصة الطريفة تتلخص في الاتي :

قاد الزاندي^(١) حرباً شرسة مع الدينكا لطردهم شمالاً لاحتلال أرضهم وفي إحدى المناوشات قاد سلاطين الزاندي، الانفقرا اتباعهم لطرد الدينكا شمالاً واجلأنهم عن أراضيهم ليستقروا بها وتسليح الزاندي بالحرايب والنشاب بينما تسليح الدينكا بالحرايب والعصي الغليظة (العكاز) . تقدم جيش الزاندي نحو معسكر كبير للدينكا به قطع كبير من الأبقار . ولما كانت حرب القوس والنشاب غريبة على الدينكا ولما كان الزاندي يتفوقون عليهم عدداً استعمل الدينكا تكتيكهم الخاص، أحرقوا أكواخهم

(١) هاجر الزاندي إلى السودان كغزاة، من الجنوب الغربي من نهر الامبيري بالنقو البلجيكي، انتشروا أولاً في أفريقيا الاستوائية (الآن الوسطى) ومن هناك اتحدوا إلى الشمال الشرقي واستقروا بالسودان حوالي عام ١٨٥٠م تحكمهم سلالة الانفقرا (العائلة المالكة) يدعون أنهم النقي من الزاندي العامة، يتحدثون بلغة خاصة بهم. ويحتفظون بها (هناك شك في أن لهم لغة خاصة بجانب لغة التخاطب وهي الزاندي، أول حاكم لهم بالسودان بازنقي وقد اشتهر بقوة الخرقه. لا يزوجون بناتهم إلى العامة وهم يتزوجون منهم) في عام ١٨٥٠م أكملوا غزوهم لطمبرا ولم يجدوا مقاومة من القبائل المستوطنة أياماً، يوري ياسري، البيلندا، وقاومهم المادي ولكنهم أي الزاندي تغلبوا عليهم وقتلوا ابن سلطنتهم بزيكيا. ثم قتلوا سلطان رينزي نفسه. وبعد فترة مات السلطان الزاندي بازنقي، قائد حملة الزاندي وخلفه بدوي "يامبيو". في عام ١٨٦٠-١٨٧٠م التحم الزاندي مع القبائل النيلية في معارك غير فاصلة في عام ١٩١١م دخل جيش الإنجليز كغزاة بقيادة ميجر لاركن، من الشمال واحتل مدينة طمبرة، وفي هذه الأثناء بدأ التبشير يزحف نحو هذه الأماكن وجاءت جمعية الكنيسة التبشيرية الإنجليزية C.M.S (Church Missionary Society) وفي غضون ذلك مات السلطان طمبرة وتولي الحكم بعده سلطان ماتجي اكتشف الأطباء العسكريون اترافقون لهذه التجربة و ٦٢٠ حالة من مرض النوم وفي عام ١٩١٨م وطد لاركن نفوذه في كل من طمبرا ويامبيو وكون بلكين ٣ جي و ٤ جي . قوات الاستوائية . الرجل الزاندي قصير القامة في الأعم، مقتل العضل، يسرع في مشيته على نغمات الربابة، التي لا تفارقه، لمسافات طويلة، يتجاذب الحديث مع صديقه كل في اتجاه عكسي ولمسافة، يستعمل الدراجة في ترحاله ويحملها حملاً ثقيلاً. وما أكثر الدراجات في هذه المنطقة.

وهو لطيف ضحوك يتبادل النكتة إذ ركن إليك، لا يكاد يراك إلا ينتحي جانباً من الطريق ويرفع قبعة محبياً. موهوب يجيد النحت على سن الفيل والأبنوس ويصنع اثاثاً جميلة من الخيزران، حسب الطلب ومن جلود الحيوانات البرية يصنع أشكالاً جميلة رائعة تزين بيوتهم وللهدايا، مقلد وممثل ممتاز، لأي شيء يراد ويصنع حسب الطلب (ويصنع من الفسيفساء شربيات) كما يقولون فهو ماهر في صنع الآلات وصيانة الساعات والدراجات مهبوس بالسحر والسحر، وعمل المشعوذين والعرافة، الذين يجرون له الاستخارة، وخرافي بالدرجة الأولى يؤمن بالعين الحارة. يدفنون سلاطينهم داخل الغابة بأشجارهم بعيداً عن أعين الناس. أما العامة فيدفنون موتاهم في بيوتهم ويستمر الحداد ولمدة يومين وتحلق أرووس (جنبه).

ياكلون وجبة واحدة ريسية في جماعة يشربون المكيفات ويرقصون على نغمات النقارة حتى الصباح خصوصاً عندما يموت أحد أفراد الأسرة وهكذا هم يحتفلون بالميت ويحتفلون بختان الرجال دون النساء، فالأخيرات لا يمارس عليهن الخلع ولا يحتفلون بالزواج أبداً ويكتفون بدفع المهر خراباً (٢٠ حبة قديماً. أما الآن فيدفعون ما يعادل قيمتها نقداً لوأد الفتاة طقس المنطقة استوائي، غاباتها عالية وكثيفة وظليلة وفي شهر أغسطس، اعلي معدل للأمطر ٢٠٣ ملمبتر، يبلغ طول الأعشاب ٦ أقدام، أرضها خضراء نضرة تسر الناظرين وتملأ النفس بهجة، أشجار المنفح على جانبي الطريق تتخللها أشجار زيت النخيل البلسقة تزين المكان وتضفي عليه جمالا، أشجار المهورتي والتك وفيها قنطرة كثيرة، الأناس، الموز، البرتقال، اليوسفي، الجوافة تختلط رائحتها الطيبة برائحة الأزهار البرية فتعطر الجو وتنعش النفس.

وملتاعهم واستحبوا آثارهم وراعيهم إلههم ، بقى إلل الذي في المعسكر حتى الساعة
 الرابعة مساء فلم يظهر أحد من الدينكا ، ولما كان إلل الذي لا يعرفون التعامل مع
 الإلغار لانعدامها في ديارهم ، بسبب ذرية " السبي السبي " كان الأول على الإلوانه
 قرروا أن يرجعوا وبمعينهم الإلغار ، بسكر وحزر شديدون لأربعهم الدينكا ، أرسل
 إلل الذي واتبعوا واستحبوا منهم من معاناة يوم طويل ، لم يستطيعوا الوصول إلى
 معسكرهم وأصبح من الصعب عليهم السيطرة على الإلغار حتى الصباح ، لما كان
 منهم إلا أن قرروا ، بعد أن فشل فيما بينهم ، أن يرتبط كل واحد منهم لورا أو بقرة على
 رجلاه وناسك الرقر بجانب استجابها الجدد من الإلغار والسير الطويل في منتصف
 الليل هجم الدينكا في هياج شديد وانطلقوا بصراخات مخيفات ، أصبح المعسكر في هرج
 ومرج فاستجاب الرقر و إلل الذي الخوف والفرح ، فركب الرقر آخر وراعيه إلل الذي
 تكسرت أرجل ورقات رؤوس إلل الذي والشاوا في كل مكان ، الذين انطلقوا من
 قريضة الرقر القاصي عليهم الدينكا وذبحهم واكلاوا بهم ورجعوا بصراخهم فاصبح حقا
 يتكلم الإلغار من الإلغار نظرا إلى الاستائات ، وخلفه الحكم وأنها أن تكون النهاية
 لاصطفية الحسابات مستمرة .

في قضية المال نوعا من القضاة الشائعات ، المدعى ذكر أن رجلا غريزا قاضي
 ليلة مع زوجته وفي الصباح مرض عايله والد الزوج فبلغه أنه ثلاثة جاريات استأجرها
 عنهم مهرانا المراهقة (المرأة التي مهرانا ثلاث جاريات) ، ومن جات المحكمة بالمدعى أن
 تعرف زوج رجل بأنه رجل وجده فاعلم معها وهي مثلا وجلة أما والد المراهقة فأنه أن
 المراهقة الذي دفعه عنهم هو عبارة عن أمور من يدعي في ذلك بأنه المراهقة الزوج
 المراهقة ، المراهقة المراهقة والقول والدعا أن لا يقال أن يقول والدعا أن رجلا وهي
 مراهقة فاعلم أنه أن تكذب معها جريسة إلل ، خوفا من السجن والغرامة .

ومن مذكر إلل الذي (باصدره) الثالث مذكرها الثالث من المحاكم عام ١٩٩٧م ، لم
 يدفع غير مخرج ، فالرجل الثاني في أي موقع ما لا رجعة القريضة الجارية مذكرها

الذين فرئيسه يكون له بمثابة (الفرملة)، هو صاحب الكلمة الاخيرة في كل شئ بجانب انه أي الرئيس يحصر ك فيما يعهد هوبه اليك، شئون الموظفين من إداريين وغيرهم، ومهمات هنا وهناك، ولعل الموقع مقصود منه التدريب علي مسئولية وظيفة أعلى ، ربما لصفات كامة تجعل من النائب محافظا بالمراقبة، في المستقبل، ولهذا لم تكن لي الصلة اللصيقة بالمحاكم الأهلية، فضلا عن اختلاف الظروف في المديريات الشمالية عنها في المديريات الجنوبية، ففي الاولى قاضي المديرية والقاضي المقيم هما المدير والمفتش . والاخير يشرف اشرفا مباشرا فنيا واداريا علي المحاكم الأهلية في دائرة اختصاصه . كما استحدثت فيما بعد وظيفة مفتش المحاكم الأهلية وهو بدرجة قاضي مديرية ، في رئاسة الهيئة القضائية ، يقوم بتفتيشها اداريا، واول من شغل هذا المنصب مولانا أبو رنات، خلفه فيه مولانا عيد الرحمن النور . وبالرغم من هذه الفجوة التي تفصل بيني وبين الادارة الأهلية كان الحس الإداري والحنين يرغمانني ان ائتو منها، فلم ابتعد عن أهلها وكنت قريبا منها فاهلها يبادلوننا، نحن الإداريين، العشق والود. ومينا يكن هذه معلومات عامة عنها، ففي مديرية الخرطوم . القيت محاكم العمد في كل من الخرطوم وأم درمان والخرطوم بحري وحلت محلها مجالس القضاة وبقيت ثلاث محاكم رئيسية هي محكمة أبو دليق البطاحين، يرأسها الشيخ محمد صديق طلحة ، شيخ خط البطاحين، ومحكمة ود رملي ويرأسها الشيخ سرور محمد رملي ومحكمة الجموعية ويرأسها المك محمد ناصر، رحم الله المك محمد ناصر ومحمد صديق طلحة ، وامتد الله في عمر سرور محمد رملي، كلها تطبق اعرافا مشتركة وتحاكم قضايا متشابهة .

بعد بضعة أشهر في مديرية الخرطوم، نقلت الي مديرية كسلا نائبا للمحافظ ١٩٦٣-١٩٦٦م لم تكن لي صلة مباشرة بالمحاكم لنفس الاسباب التي اوضحتها عز مديرية الخرطوم ولكن احتكاكي بالنظار ومشائخ العرب من الناحية الإدارية ولترة طويلة قادني للتعرف علي محاكمهم ونوعية القضايا التي كانت تعرض عليها والتعامل معها .

في المديرية عشرة قبائل رئيسية هي: الشكرية - اللحويين - البرنو (مركز القصارف) الهندوة (مركز اروما) البني عامر (طوكر وكسلا) الرشيدة (كسلا) الحنقة (كسلا) الامرار والبشاريين (البحر الاحمر). تغطي المنطقة ٩ محاكم رئيسية، فمثلا الرشيدة لهم ثلاثة محاكم للعمد ، وتنتظر هذه المحاكم قضايا متنوعة : المشاجرات - السرقات - التعدي علي المراعي لضمها للأراضي الزراعية ، والاغنام ، مشاكل القبائل المجاورة التي تقدم من اجل المراعي وما تسببه من احتكاكات تخل بالامن ، قضايا ضمانات الماشية، قضايا الاختلاسات والرشوة وتتحصر اغلبها في جنوب القصارف - قضايا الاحتكاكات بين قبائل دار بكر المتعدد الاعراق، مزارع الصمغ الثأر وغيرها .

ونقلت من كسلا مترقيا، محافظا الي اعالي النيل ١٩٦٦-١٩٧٠م وسيكون حديثي محصورا في القضاء الأهلي ، لان هذا الفصل يختص به .

في مديرية اعالي النيل ستة قبائل رئيسية النوير (في مراكز الناصر، اكوبو، فنجاك، بانتيو) الدينكا (في مركزي بور والرنك) الشلك (مركز كدوك) ، المورلي (مركز البيبور)، الانواك (مركز البيبور) والبرون (مركز الرنك منطقة المابان) قليل من النوير باثيوبيا وثلاثي قبيلة الانواك بداخل اثيوبيا، ومحاكم السلاطين كثيرة بعدد فروع القبيلة، ونسبة لظروف التمرد اصبحت تباشر المحاكم اعمالها في المدن الكبيرة وتظهر استئنافاتها بواسطة مفتش المركز الذي تعينه الهيئة القضائية قاضيا مقيما (النظر في جميع القضايا واستئناف المحاكم الاهلية) .

تتظر هذه المحكم في قضايا متنوعة مثل المشاجرات وقضايا الشفقة الوافدين من اثيوبيا واغارات القبائل على بعضها البعض وما ينتج عنها من اذى ومن نهب للممتلكات مثل ما يحدث بين المورلي والدينكا - الدينكا والنوير ، قبيلة تر (كوستي) ، دينكا الرنك . السرقات قضايا المهور واي قضايا للاذى ما عدا القتل .

خاتمة:

هذه تجربتي العملية مع القضاء الأهلي ولقد استعرضت لك أمثلة من جنوب دارفور.(نيالا) ومركز بحري الجزيرة (الحصاحيصا) ومركز الزاندي (يامبو) وملاح من القضاء الأهلي بمديرتي الخرطوم وكسلا ومديرية اعالي النيل وسقت لك امثلة من القضايا التي ينظرها القضاء الأهلي التي تمس شئون وامور الناس الحياتية في بيئات وثقافات مختلفة. وان رؤساء المحاكم يجلسون أعضاء في المحاكم الصغرى والكبرى (محلفين) فيساعدون في الوصول الى العدالة . ان سرعة البت هي طابع المحاكم ذات التكاليف الزهيدة قضيية بيت فيها سويغات، بدون إخلال للعدالة ، ويمكن ان تأخذ من وقت الحاكم الاجنبي اياما لعدم المامه بدقائق العادات والاعراف ونحن في حالة الاستنفات ، كنا نحرص ان نجلس معهم ، ومحكمتهم في حالة انعقاد ، حتى نعرف على وجه نظرهم في الإدانة والحكم فيناك ظروف وامور قد تكون شائبة عنا وفي مثل هذا الجو يشعر الجميع بالارتياح ويصل الجميع في النهاية الى توافق تام بين وجهات النظر ونستخلص من وجودنا معهم اثناء المحاكمات ، قواعده تنفيذ وترشد في قضايا مماثلة فتكون "سوابق". وهكذا البت السريع والناقد في القضايا يجنب السلطة مشاكل ينجم عنها اخلال بالامن .

إجراءات المحاكم الاهلية إجراءات بسيطة وسريعة ، في غير إخلال بالعدالة كما سبق وذكرنا ، اذ انها لا تتقيد بقانون الاجراءات الجنائية الخاص بمحاكم الدولة التي تخضع وقت المتخاصمين بتأجيلات لا مبرر لها في بعض الاحيان. فقد هنتي وكنت تابع قضية جنائية ضد أحد اقاربي ، استمرت لتسع سنوات ، مات خلالها ثلاثة من المتخاصمين الخمسة ، ولحق بهم رابع كان يقوم بضمانتهم، جميعا رحيم رحمة رحمة واسعة . ولم تحسم الا في الشهر الماضي. ولنا ان نتصور مدى الضرر الذي لحق بالمتخاصمين مادياً وادبياً .

لعل الغاية من تطبيق القانون، في أى مجتمع، هي نشر العدالة والطمأنينة والاستقرار، بدون المساس بحرية الآخرين، فإن كانت تلك المحاكم قد وفرت ذلك فهي حسنة ونافعة . وفي تقديرى وحسب معرفتى وتجاربى معها فقد حققت الكثير من ذلك ويكفى ان ندلل على ذلك بانها فى سنة ١٩٤٣ م حاکمت المحاکم الاهلية (٩٣٢٧) (١) قضية جنائية (١٤٠٨٤) قضية مدنية مقارنة بـ ٢٥٤٩٢ قضية جنائية ٤٠٤٩ قضية جنائية حاکمتها محاکم الدولة. وفى سنة ١٩٤٦ م حکمت ٥١٩٦٥ قضية جنائية وفى ١٩٤٧ حکمت ٥٥٥٩٨ قضية وكانت الادانة فى الاولى ٧٠٠٤ وفى الثانية ٧١٣٧٨ وكان مجموع الاستئنافات التى قدمت ضد هذه الاحكام ٢٠٧٩ وفى عام ١٩٦٣ حاکمت المحاکم الاهلية ١٣٠٠٠٠ قضية جنائية (٢) . نسبة الاستئنافات للقضايا التى صدر فيها حكم ، تبين معقولة الاحكام وتمشيها مع العرف وهذا يدل على ان الاهالى كانوا مقتنعين بها ، والمحكمة الاهلية فى كل اعمالها تتوخى، ان ينتهى الامر فى عدالة وود ووثام ،عقب اصدار الحكم ،حتى لا تكون له اثار ضارة وردود فعل سلبية ،بين افراد القبيلة ، وبعض هذه المحاكم قد تحيد عن العدالة وتصدر احكاما غير مبرأة من العيوب والهوى وقد لا يستطيع بعضها التمييز بين المصالح الخاصة لان هناك اشخاص من رؤسائها اتوا مصادفة للموقع ولم يدقق فى اختيارهم، ولكن الضوابط، التى وضحنها فى غير هذا المكان ،كفيلة بصويب الاخطا ايا كان نوعيا وحجسيا .

ومن الاشياء الطريفة، والمفيدة اجتماعيا فى نفس الوقت، ان هذه المحاكم ، بالنسبة للتزوير والدينكا والشك والزاندي، هي بمثابة منتدى يؤمه الجميع، تحت تلك

(١) صفحة ٧٢ من كتاب Sudan R republic B Y:D:D HENERSON

(٢) صفحة ٧٠ من نفس المصدر

الأشجار الكبيرة الضليلة، يدلي كل برأيه، ويسمع اليه بصبر وصمت عميق ، دونما مقاطعة وفي حرية تامة، هي بلا شك ديمقراطية الرعاة والبسطاء، يجدون فيها متعة في الحوار والاستماع، والخلاصة فإن القانون الأهلي، هو مجموعة، من التقاليد والعادات والعرف والسوالف والمفاهيم السائدة والقانون العام المكتوب، كما يحدثنا فقياؤه، لإخراج عن هذه القاعدة مع تذيب وتشذيب واضافات، وتنقيح تتمشى مع المجتمع المتقدم والمتحضر. كما ان مما يسهل الامر، ان مجموعة هذه القواعد معلومه ومستوعبه لدى افراد المجتمع القبلي، فمثلا الزاندي حسب عاداته ان الزواج الذي لاينفع ميره فورا فهو باطل والمحكمة عندما تحكم ببطلانه فيذا عين العدالة. فضلا عن ذلك فان هذه المحاكم قامت بمجهودات جبارة، وكانت إنجازاتها واضحة وعظيمة، تتجلى في عدد القضايا التي تبت فيها، والتي تدل عليها تلك الاحصائيات التي أثبتناها هنا، وبذلك ساهمت مساهمة فعالة ومشهودة في تحقيق العدالة والأمن والاستقرار.



الوقوف من اليمين: محمد إبراهيم عبد الحفيظ (مفتش بالرئاسة في جوبا) - عبد الله علي جاد
الله (مفتش الزاندي) - السيد مكاوي (مفتش ياي) - محمد أحمد الأمين
(مفتش توريت)

الجالسون من اليمين (الصف الأول): برنابا كسنتا (مساعد المدير) - علي بلو (مدير
المديرية) - الطيب الطاهر (نائب المدير)

الجالسون الصف الثاني : جون ويجال (م مفتش جوبا) محمد الحسن عوض الكريم (مساعد
مفتش بالرئاسة) - جيمس (ضابط مجلس جوبا)

الفصل السادس

رجال الإدارة الأهلية والشئون الإدارية

كان مشايخ العرب بحكم وضعهم القبلي يمارسون سلطات إدارية، وأهمها جمع الضرائب، وهي مهمة اتقنوها، ولما اقتنع الإداريون البريطانيون بكفاءة أدائهم في هذا المجال، اسندوا لهم الجانب الآخر منه، وهو الأهم، وذلك تقديرها تحت إشرافهم، وقد كان أن احتفظ المفتش لنفسه، في بادئ الأمر بتقديرها، بمعاونتهم، واستشارتهم . ومما اهل رجال الإدارة الأهلية لتولي هذا الدور، هو معرفتهم التامة بأهلهم، ونزاعاتهم وأماكن تواجدهم، ومساراتهم، وثروتهم الحيوانية، والزراعية، فشيخ العرب يعرف أن "أولاد عاكفين" لهم كذا قطيع من الضأن والأغنام، وأن ليست لهم أبقاراً، إلا ما يحتفظون به لحاجتهم اليومية ، وأن بشير حمد يملك كذا فدان أو عوداً " بالجزيرة النية" ويزرعها فاصولياً شتاءً وذرةً شامي في الصيف . يمسكون بزمام الأجهزة الإدارية التي تؤدي هذه الخدمة من عمد ومشايخ، وخفراء، ومن المعلومات المتيسرة لهم ، يقومون بتقدير الضرائب بطريقة مرنة ومريحة ، لا ترهق كاهل دافع الضريبة فلا يضطر لتفاديها بالهروب منها أو بأي أساليب أخرى، وبذلك لا يضيع على الدولة مورداً مناسباً . وفي أغلب الحالات لا ينجو الهارب من الضرائب، فهناك تعاون وثيق بين العمد والمشايخ في تتبع المنتهزين من الضرائب والتأكد من الوصول إليهم .

ومن هذه الأعمال الإدارية التي أوكلت إليهم، تجنيد الناس لصيانة الطرق، وإطفاء الحرائق ، والسيطرة عليها، وتنظيم مناطق الرعي والزراعة، وتحديد الحدود بين العموديات والمشايخ، وبين القبائل ، وجمع الماشية للتطعيم ، والرقابة على مرض النوم، وعمي الجور، وجمع الناس للفحص عنها في تاريخ محدد . وإعادة السكن، والمحافظة عليه، كما هو الحال في منطقة الزاندي .

وفي جانب آخر يقوم بحسم مشاكل الحقوق الزراعية والحيازات و "الترقيد" والسقاي . وتحديد حرم القرية . كل هذا يبت فيه محليا فلا يلجأ الناس الي المركز وفي هذا الصدد ذكر مستر كين ^(١)، بأن نظام الادارة الأهلية أغناهم عن كثير من المكاتبات المتبادلة في اشياء صغيرة وربما تافهة، وذات طبيعة محلية بحتة . كما نوه المستر كروفورد ^(٢) بأنهم تفرغوا، بعد هذه التفويضات لرجال الادارة الأهلية، الي امور التنمية المحلية : " صرت اوفر وقتي لنشر البستنة وتطويرها في المديرية الشمالية فأدخلنا زراعة المنقا والحمضيات وجلبنا لهذا الغرض خبير مصري في البستنة اسمه "حسن مرعي". وفي المشاريع الكبيرة اشتركوا في توزيع الحواشات، في مشروع الجزيرة، وساعدوا في حل مشاكل الحقوق المكتسبة لبعض فروع القبائل . كما اشتركوا في تسويات الاراضي مع لجان التسوية وحل المنازعات ، وتوضيح الحقوق التي تنجم عن التسوية وتثبيتها .

هذا ولعله مما يثير الاعجاب تلك الجهود المضنية التي يبذلها هؤلاء في التحضير والاعداد للمؤتمرات القبلية، او الحكرات، كما يسمونها في بعض المناطق المجاورة انها اسلوب فعال في تسوية الأمور ادارياً وودياً بين فروع القبيلة ويتعامل مع الازمات التي تنشب في الساحات القبلية ويحاول ان يتعامل مع اسباب المشاكل، فالمنازعات غالبا ما تأتي نتيجة للمرعي، او التعدي علي الزراعة، أو في أمور تؤثر علي علاقات القبائل، وتوضع أثناء ذلك خطة المسارات السابقة، ولها سمات أخرى بجانب ذلك فهي منتدى يجمع بين الحاكم والمحكوم، وبين أفراد القبائل ، يسمرون ويتبادلون الاجتماعيات، فأنهم قل ان يلتقوا الا في مناسبة مثل هذه، انها مناسبة اجتماعية عظيمة تمتن الوشائج وتقوي الترابط، وتتيح الفرصة لتبادل الخبرات والتجارب .

(١) مفتش مركز

(٢) مفتش مركز

درج الحكام البريطانيين ومن بعدهم السودانيين علي استشارة الزعماء واخذ رأيهم في القرارات الكبيرة التي يصدرونها، وتترتب عليها آثار بالغة الأهمية، ولولا حنكة هؤلاء المشائخ، في بعض الاحيان ، لحصلت احتكاكات خطيرة. اذكر انه بعد مشاورات بين الحكومة المركزية، وبين المدير والمفتش، اقتنع الجميع بوقف جمع الزكوات لجهة معينة وكان علي المفتش تنفيذ القرار، عندها جمع شيوخ القبائل الذين اشاروا عليه بالتدرج في منعها وكخطوة اولى اشاروا عليه ان لا يتدخل مناديب النظار في جمعها، وان يترك أمرها للناس، ان يفعلوا ذلك ان شاءوا ، وبدون أي ضغط، ثم تأتي الخطوة الثانية بالتوعية في الاجتماعات القبلية، بأن يذكر للأهالي أن الحكومة لا ترغب في ذلك ، وهكذا الي ان يتوقف الناس عن دفعها . قبلت الحكومة هذا الرأي وقد هبط حماس الناس، وتلاشت واختفت من نفسها. وقد ذكر مستر بنفري مفتش مركز جنوب دارفور آنذاك ان المقدوم عبد الرحمن آدم رجال مده باراء جعلته يعدل في كثير من الاحيان عن قراراته الادارية، ويقول انه لو لم يأخذ برأيه ، لوقع في اخطاء جسيمة . وقد كان يصفه "My Angel" أي ملهمي .

ومن الاساليب التي اجادها رجال الادارة، بصفة خاصة، هو اسلوب "الجودية" حيث يجتمع الاجاويد فيفصلون في كثير من الاعمال الادارية، فعندما احتدم النزاع بين قبيلة الرزيقات والمعالية في امور الماء والمرعي وكاد النزاع ان يقود الي عواقب وخيمة ، تدخل رجال الادارة الأهلية ، من القبائل المجاورة ، وحل النزاع بطريقة ودية، ثم وضعوا اسس يراعيها المشائخ في تحركاتهم وصاغها المفتش في اوامر ادارية حفظ لكل ذي حق حقه ، فصلت فيها مواقيت المسارات التي يجب ان تتبع وهكذا هدأت الأمور في ذلك الوقت .

خول الناظر سلطة إصدار اوامر إدارية، تساعد في درء الكوارث مثل مكافحة الجراد، واطار الفيضانات والحرائق التي تأتي علي المراعي وفي اغلب

الاحيان يحاكم مخالفيها وتصدر فيها جزاءات فورية، تتماشى وطبيعة هذه الخدمات التي لا تحتمل التأجيل، ولتصل الرسالة لكل من يتردد في تلبية النداء .

هكذا باشر رجال الادارة الامور الادارية، وبرزت من بينهم قيادات متمرسه وتجمعت لهم خبرات واسعة، وساعدهم في ذلك تميزهم بسعة الصدر والصبر، مما يحتاجه العمل الجماعي والعمل العام ، ولما قامت المجالس المحلية استطاعوا ان يطوعوا مقدراتهم وتجاربهم هذه ويشتركوا فيها بثقة فتولوا نيابة الرئيس ، بالتعيين في مجالس الحكم المحلي في أطوارها الاولى ثم رئاستها بالتعيين والانتخابات في طور لاحق . هذا بالرغم من انهم كانوا يجهلون الكثير من الخدمات الفنية التي تؤديها هذه المجالس . ونشير هنا، كأمثلة، الي ان الناظر محمد احمد أبو سن تولى رئاسة مجلس الشكرية (رفاعة) بالتعيين ثم بالانتخاب لدورات كثيرة كما تبادل كل من محمد صديق وسرور محمد رملي رئاسة مجلس ريفي الخرطوم بحري لدورات ورأس الناظر إبراهيم حاج محمد مجلس ريفي شندي بالانتخاب والسلطان جيميز طمبرا رئيسا للمجلس حتى وفاته. هؤلاء الرجال سدوا جزءاً من الفراغ الذي تركه المأمير المصريون بعد ثورة ١٩٢٤م الذي سبقت الإشارة اليه. أيضا ساهموا فيما نسميه الان بـ (تقصير الظل الاداري) حيث ان كثير من الامور الادارية تحسم في محلها ولا تأتي الي المركز .

ينظر الناس الي الاعمال التي يتنادي لها المواطنين مثل الكوارث علي انها نوع من " السخرة" ربما تكون كذلك في مفاهيم كثير من الناس ولكن حتى يومنا هذا يكافح الناس الفيضانات بتشجيع من الادارة الأهلية، بدون اجر علي طريقة النفير ولقائده الجميع ، ولذا فان تفسير هذه الاعمال بالسخرة فيه اجتهاد خاطئ، واجحاف من قبل دعاة حقوق الانسان ، فالانسان السوداني عرف النفير والتعاون والنجدة منذ نشأته، وان المحاكمات التي تعقد فوراً لعدم الاستجابة ، قد تثير الغضب والاشمئزاز، ولكن ينبغي ان ننظر اليها بمقاييس ذلك الوقت وبالاحتياجات الطارئة وليس بالمقاييس

المثالية التي تسود العالم اليوم. وكم تمنيت ان لا تلجأ الإدارة الأهلية لذلك الاسلوب من المحاكمات، ولكن في بعض الاحيان يكون هنالك شواذ، يطيب لهم ان يشجعوا الناس ويحرضونهم علي عدم التعاون، ومثل هؤلاء لا يردعهم الا القانون وعندما عم الوعي النسبي ادرك الناس اهمية هذا العمل وكونوا له الجمعيات الطوعية والتعاونية المقننة .

الفصل السابع

الإدارة الأهلية والأمن القبلي

في بلد شاسع، قاري، يتمتع بمناخ متنوع، تكسو الغابات والأحراش جزء كبيراً منه، طرقه وعرة، نتعدم فيه سبل الاتصالات ناهيك عن أساليب التكنولوجيا الحديثة وكثيراً من مناطق لا تزال تعيش حياة بدائية، كل هذه الظروف وغيرها تجعل من العسير على حكومة مركزية السيطرة على الأمن والنظام والاستقرار في أرجائه حتى لو تيسر لها اضعاف ما وفر لها من قوات البوليس، وإذا لابد من الاستعانة بأداة تعيش وسط الناس وتتغلغل بينهم، فكانت هذه الاداة هي شيخ القبيلة الذي يحافظ على الأمن بحكم موقعه بين القبيلة،^(١) بتفويض من السلطة العليا، وبسند اكيد وقوي منها، ويتحمل الشيخ المسؤولية تساعد على حملها شخصيته النافذة القوية ومسؤولية القبيلة الجماعية في حفظ الأمن، وتعاونونه شبكة محكمة من العمد والمشائخ ومناذيب الناظر الذين ينتشرون في مناطق الرحل ويراقبون الرحل ويراقبون ويرصدون كل كبيرة وصغيرة، انقاء الانفلات، وينقلون حصيلة ملاحظاتهم للناظر الذي يتعامل معها بما يتناسب مع الموقف وفوراً.

ويلاحظ ان الطريقة التي يتبعها الزعماء في الحكم تتطوي على الشورى والحوار والاستماع الي الكبار في الشؤون المختلفة، ونجد من جهة اخرى ان الزعيم هو راعي الاقليات، المنضوية تحت لواء قبيلته وحاميها، ومن شأن ذلك ان يمنع الاحتكاكات المخلة بالاستقرار كما ان الاسلوب الودي في فض المنازعات يساعد على الحفاظ على الوفاق أضف الي ذلك انه من الصعب على أي سلطة اختراق أمن القبيلة لما لها من طقوس واساليب خاصة بها، في حماية نفسها، الي ذلك ان زعيم القبيلة هو الاعلم بالأمور. فالبجاوي والفوراوي قل ان يدلا الغريب على موقع الجريمة لكنهما يعلنان ذلك اذا ما طلب منهما الشيخ.

^(١) لما به قيام الادارة الاهلية فان المشايخ يباشرون هذه الاعمال

هؤلاء الزعماء والعمد والمشائخ نما عندهم الحس الامني، مما يجعلهم يتلافون الاحداث قبل وقوعها، وقيل ان تتفاقم، وهم علي علم تام بالاساليب التي تستعمل للإثارة، وفي السرقة والنهب، وفي تخصصات بعض القبائل والفروع في سرقات الابل والماشية والسلاح . جاء جماعة لسوق تنبول وكان الناظر عوض الكريم أبو سن يجلس تحت شجرة بالسوق وبعد قضاء حوائجهم، هموا بالانصراف، ابدى احدثهم رغبة أكيدة للسلام علي الناظر فحذره اصحابه من مغبة ذلك وقالوا له " يازول اختاد ولكنك لم ينصع وذهب للناظر وسلم عليه فسأله الناظر " إت ود منو" فأجابه . فقال له الناظر " الحرامي إت ولا اخوك" فأجاب " اخوي ولكن لعن الشيطان وتاب" فقال له الناظر " الله يلعنك ويلعن اخوك ويلعن ابوك كل شئ تسوه في الشيطان" فرجع الي أخوانه وسألوه وقص عليهم القصة وشمئوا عليه وقالوا له حذرناك ولم تستجب فرد عليهم صاحبهم " والله الناظر رغم للشيطان تقول ود أعمر ليه" . قصة طريفة تبرهن علي معرفة الناظر لافراد القبيلة ونهجهم في الجريمة . أما الثانية فقد جاء ضابط بوليس (١) لمنطقة جنوب شندي وكان اليوم يوم سوق وقد قضى الضابط يوما مليئا بالعمل المضني في قضية كان يحقق فيها ثم جاء وطاف بالسوق، وكان هناك شخص يراقبه بدقة، ومن علي البعد، وهو لا يدري يطيل النظر في مسدس كان يحمله الضابط فاعجب به واضمر في نفسه شيئا ما . رجع الضابط الي منزلته واخذ منه الاعياء ماخذاً كثيراً فتناول وجبة العشاء واستغرق في نوم عميق وظل ذلك الشخص يراقبه حتى الساعات الاولى من الليل تاكد عندها ان صاحبه نام نومة لا يستطيع ان يفيق منها تناول المسدس بطريقة حريفة وهرب ، فقد نال ضالته ، وصحا الضابط واقتد مسدسه فما كان منه الا ان ابلغ ناظر المنطقة وهنا تنبه شيخ العرب علي ان اليوم يوم السوق ويومه بعض عرب القرىات فما كان منه، وهو يعرف ان القرىات مغرمون بالسلاح وسرقاته الا ان نادي خفيره الكندو " وهو قرياتي وقال له" منو الكان في السوق من اهلك القرىات فقال له اولاد فلان فقال لهم " الحقوا اولاد فلان ديل

(١) الضابط لواء شرطة (م) صديق مخبر

حرامية سلاح". وفعلا لحقوا بهم ووجدوا السلاح في حوزتهم وحاكمهم الشيخ بسنتين سجن ورجع المسدس لصاحبه .

في مركز سنار، وبه مكثت مدة قصيرة، تعرفت علي السلطان محمد طاهر مايرنو،^(١) شخصية يحيطها الغموض الشديد، وتحفه طقوس توحى لك بأنه شخصية اسطورية، وظاهرة رهيبة مخيفة وسط العامة، الذين يعتقدون في الشعوذة والفلاحة وطلاسمهم وسحرهم وهكذا مجتمع مايرنو، مجتمع مقفول لا يدرك خباياه وكواليسه الا السلطان نفسه والمتحدث الرسمي باسمه، الامين كاغو ولا يستطيع اختراق أمنهم هذا رجال البوليس مهما اوتو من اساليب بوليسية . حدثت سرقة كبيرة وكان اصعب الاتهام يشير الي جماعة من مايرنو، استعمل البوليس كل الاساليب المتاحة له، ولم يتوصل الي شئ . فاحيل الأمر لي، فاجتمعت بالسلطان وتحدثنا في الأمر، وفي اليوم الثاني جاءني بالمكتب ومعه المتهمين والمسروقات، وهكذا سلموا للبوليس ليكمل اجراءته معهم .

في بعض المناطق نجد ان المك وهو رئيس علماني، والكجور وهو زعيم ديني يعتقد اتباعه ان له قدرات خارقة للطبيعة، هما الدعامة التي ارتكز عليها في حفظ الأمن، ومنع الاضطرابات في جبال النوبة، وكم من مرة استعين بالمشايخ في القبض علي المسلحين . ويسترسل قوين^(٢) فيحدثنا حديثا شيقا طيبا عن شيخ راضي كميال ، شيخ الاحامدة، ويصفه وصفا دقيقا، ويستمر يحدثنا عن فضله، فهو معلمه في الادارة وساعده الايمن في حفظ الأمن، وأشاعة العدل، ويقول ما كان لنا من سبيل لبلوغ تلك الاهداف الا بتوفير اسباب التعاون معه

^(١) طويل لقامة ضخم يلبس لبس الفلاحة القومي يثلثم بعمامته التي يلفها حول رأسه ودقته فلا يظهر الأجزاء من وجهه وعينه.

^(٢) كتاب سير قوين بل بروي فيه ذكريته حل محل السكرتير الإداري واصبح وكيلا للداخلية لفترة قصيرة ابلن الحكم لذاتي. ندرج في السلم الإداري من مساعد مفتش عام ١٩٢٣م (إلى ان شغل وظيفة الوكيل).

وفي مركز زالنجي بدارفور قام احد المشعوذين المتعصبين بحركة، وهو رجل دين عرف بالفكي المهاجر ومن عائلة تنتمي للفور والداجو . سمي نفسه بالميدي واستعان باتباعه المتعصبين من القبيلتين ومن التاما وزحف نحو زالنجي . احد المشائخ كان يقظا مواليا وشجاعا، خف الي المركز وأخطر المفتش بتحركات المهدي الجديد، من مكان يبعد ٧٠ ميلا غرب زالنجي ، فما كان من المفتش الا ان استجد بقوة من الهجانة من فرقة العرب الغربية، فسحقته قبل وصوله زالنجي .

لقد احكم رجال الادارة الأهلية قبضتهم علي الأمن بفضل منحهم تلك الاجراءات التي خولت لهم بموجب قانون الاجراءات الجنائية وتتحصر هذه السلطات في :

١. سلطات الاعلانات واوامر القبض .

٢. سلطات اتخاذ الاجراءات الابتدائية .

٣. سلطة التحري .

٤. سلطة التصديق بالحبس رهن التحقيق لمدة لا تزيد في مجموعها عن خمسة عشر يوما.

٥. سلطة إصدار اوامر التفتيش .

٦. سلطة تدوين الاعترافات .

في هذا الجانب، جانب الأمن، وفرت الادارة الأهلية للحكومة جهدا ومالا كثيرا، كان لابد ان تصرفه علي حفظ الأمن. كما أنها حصلت علي آلية لاكتشاف الجريمة وملاحقتها فقد كان رجال الادارة الأهلية بمثابة مباحث مدنية، ووفرت أيضا ما كان يصرف علي التجريدات لاطفاء حركات المشعوذين ومدعي المهدي ، وتعقب

المجرمين ولم يكن دور الحكومة المركزية كبيراً في هذا المجال ، كل ما فعلته ان مدتهم بعدد كاف من الخفراء والحرس، بتكاليف يسيره . وزودتهم بأسلحة نارية أقل مستوى من تلك التي يحملها البوليس، حتى لا يماثلونه أو يتفوقون عليه تسليحاً، وذلك لأسباب لا تفوت علي فطنة القارئ وكانت من واجبات الحرس أيضاً مرافقة الزعماء في تحركاتهم واحضار من ترغب السلطة في احضاره .

سارت الأمور علي هذا المنوال في انضباط تام وأمن ونظام حتى تصفية الإدارة الأهلية، بتلك الطريقة المفاجئة، وبدون بديل يحل محلها، وحتى لم تحفل الحكومة، في مثل هذه الحالة ، بنشر قوات من الجيش والبوليس لسد الفراغ الذي نتج عن التصفية ولذا فقد سادت حالة من الفوضى ، فانفرط زمام الأمن، فكلول مرة نسمع بحوادث نهب مسلح بين شندي والخرطوم . ولم تمض مدة طويلة حتى عم النهب المسلح والقتل والسلب غرب السودان بطريقة اضاعته هبة الدولة، وسلطانها، ولجأ السكان الي المناطق الآمنة فامتلات المدن بالوافدين، مما خلق كثيراً من المشاكل الامنية والحياتية . تهكم الناظر محمد احمد أبو سن علي مساعد الضابط الإداري الذي وصلته برقية تطلب منه (كان مرسل البرقية وزير لحكومة المحلية المرحوم د. جعفر محمد بخيت) القيام فوراً لود حامد (منطقة جنوب شندي) " ليرى الرئيس بعينه ان البديل قد وجد" (البديل لشيخ الخط) وكان وقتها الرئيس يقوم برحلة برا، بالسيارات، يجوب فيها المديرية الشمالية . وعندما رجع مساعد الضابط لرفاعة (وهنا موضع التهكم والسخرية) ساله الناظر محمد أحمد أبو سن اين سكنت فرد (مع شيخ الخط) وكيف ترحلت ؟ (بسيارة شيخ الخط) وكيف تعرفت علي المنطقة والناس (بواسطة شيخ الخط) فقال له اقرأ برقيتك ، فقرأها ، فعلق أبو سن "هسنع انت البديل؟ ولا دي تمثيلية ساكت !" ومهما يكن فإن رجال الإدارة الأهلية كانوا حفظة علي الأمن والسلام ، مهما كانت ، تجاوزاتهم في هذا المجال فإن حفظ الأمن والنظام والانضباط لا يقدر بثمن كان يكفي أن ننظر الي ما نحن فيه من سلب ونهب وهتك عروض

تجاوزت الحدود . وأصبح انفلات الأمن شيئاً مألوفاً بغياب الإدارة الأهلية وبالرغم من أننا ندرك أن هناك عوامل كثيرة أدت الي هذه الاضطرابات والانفلات في الأمن، بأسلحة حديثة، ولذلك لا اعتقد أن يعود حال الأمن الي ما كان عليه لو أعيدت الإدارة بكل فعاليتها . وفي هذا النطاق تجد ان المعارض القبلية والحكرات تجمع رجال الإدارة الأهلية من مناطق مختلفة ومن المراكز المجاورة فيحلون مشاكل المسارات والمشاكل التي تسبب فيها المراعي في مناطق التماس بطريقة ودية وجودية فلا تتفاقم الامور وتتعدد المشاكل وهكذا يهرع المشايخ لبعضهم البعض عند بداية أي خصومات بين قبائلهم فيفصلون فيها بالتشاور والحوار قبل فوات الأوان فيتم الصلح ويعود الود والوئام .

الفصل الثامن

الإدارة الأهلية والموارد المالية

تتكون الموارد المالية من العشور وتجبي من الأراضي الزراعيه المطرية على اساس عشر المحصول، ضريبة الأرض وتقدر وتحصل من الأراضي التي تروى بالفيضان، كالأحواض مثلاً، وتؤخذ على اساس قيمة المحصول، ضريبة النخيل، محصورة في المديرية الشمالية بفئة محدودة على كل شجرة نخيل مثمرة، ضريبة القطعان في مديرية الخرطوم، النيل الأزرق دارفور وكانت فنتها ٥% من قيمة الحيوان، الضريبة الشخصية وتقدر على الأفراد، عن كل ذكر بالغ، وتتحصر في دارفور والزاندى، اما الجزية فتقدر على القبائل في الجنوب، وتمثل ضريبة إجمالية على الافراد. وفي كسلا تقدر ضريبة إجمالية بجانب ضريبة موحدة في دارفور تشمل القطعان، وهذه الضرائب قد سبق لنا شرح طريقة تقديرها وجمعها في الفصل الخاص بالسلطات الادارية وقد طرأت تغيرات كبيرة علي هذه الضرائب وتم إلغاء بعضها وحلت محلها ضرائب جديدة وعوائد ورسوم لا حصر لها حتى تندر أحدهم وقال لم يبق لهم الا ان يفرضوا رسوماً علي نومنا وصحونا .

كانت تجبي هذه الضرائب وتورد في خزينة المركز، وتدفع منها مرتبات المشايخ والعمد والنظار والخفراء والحرس، وفي تطور لاحق اصبحت تورد لخبزينة خاصة بالادارات الأهلية ، وبعد ان تدفع المرتبات وغيرها يورد الفائض لخبزينة المركز. وفي هذا الاطار فان أول ادارة منحت ميزانية خاصة بها هي سلطنة دار مساليت وتجدر الإشارة الي أن السلطنة قد ضمت للسودان ١٩١٩م بموجب اتفاقية بين الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية . وأبان وجودي بالجنينة كان المراقب المالي أبو محمد بن السلطان بحر الدين، يساعده محاسب صراف وعدد من الكتبة، ونجحت التجربة بدرجة كبيرة مما شجع علي تعميمها في ادارات أخرى، وهكذا بدأت الإدارة الأهلية تأخذ شكلها ، سلطات قضائية وأمنية وإدارية ومالية، وفي هذا الاثناء

سمح ليم بتقديم خدمات يسيرة بالانابة عن الحكومة المركزية، وهي لا تشمل الخدمات الفنية، التي أصبحت تقوم بها المجالس المحلية .

وفي إطار السلطات المالية حصل تقدم ملحوظ ، فقد منحت هذه الادارات ميزانيات تتكون من الايرادات من الضرائب في جانب و المصروفات في جانب آخر. وتشمل البنود التي ذكرناها ، وما سمح به للصرف علي خدمات محدودة مثل صيانة الطرق، ومن اوائل هذه الادارات التي منحت ميزانية خاصة بها، بعد سلطنة المساليت، ادارة الجوامعة وادارة الرزيقات وفي الاخيرة تم تعيين عبد الحميد موسى ماديو، أخ الناظر، مراقباً مالياً، يساعده بعض الموظفين المحليين، وكانت إدارات كثيرة تتوق الي منحيا هذه السلطة المالية فكان لها ذلك بعد ان نجحت التجربة فشلت كل الادارات الأهلية تقريبا وسارت بطريقة مرضية .

لعلنا ندرك تماما ان جل هذه الضرائب تعتمد علي الطقس ومن الصعب ان يتبأ المرء بحصيلتها فهي تتغير وتتكيف حسب الظروف . أضف الي ذلك ان التقدير لا يعتمد علي الوسائل العلمية والإحصائيات الموثوقة بها ولذلك نجد المفارقات بين الحد الأدنى والأعلى الذي تحدده الحكومة المركزية في داخل القبيلة، وبين القبائل بعضها البعض، وفيما تجد تشددا وملاحقة كما وصفها بعض الاعراب وهو ينشد أثناء نشله الدلو من البئر " البقرة في خلاها . ترضع في جنبهاها . صالح ود توم علب كدوسة وجاها" كناية عن ملاحقة شيخ العرب صالح ود توم لهم في إحصاء الماشية، ومتابعتها، وهو شيخ عرب معروف للعرب الذين يقيمون في ضواحي المنمة .



الناظر/ محمد الأمين ترك - ناظر الهدندوة

أبان الضائقة المالية التي اجتاحت البلاد في الثلاثينات ، وقعت الإدارة الأهلية برداً وسلاماً علي الحكومة المكزية ، التي تمكنت من إحلالها مكان الموظفين، الذين استغنى عن خدماتهم، فوفرت علي الدولة جزءا كبيرا من المرتبات التي كانت تدفع لأولئك الموظفين . كما سدت الفراغ الذي أحدثه قفل المراكز، فتولوا كثيراً من مهام تلك المراكز رجال الإدارة الأهلية، بمرتبات ضئيلة، وكما هو معروف فإن زعماء العشائر وموظفيهم من كتبه وخفراء وحراس .. الخ ليست لهم شروط خدمة ، ولم

تكن لهم عقود عمل، وليست لهم خدمة معاشية، فضلا عن ذلك فان نظام الادارة الأهلية ليس فيه مجال للنقل، وليست لهم اجازات، علي عكس ما كان يتمتع به موظفو الحكومة المركزية مما وفر تكاليف النقل وما يتبع ذلك من مصروفات ولم تكن لهم مدة خدمة محددة تستدعي دفع مكافأة بعد انتهاءها (فوائد ما بعد الخدمة) فالفرصة متاحة لهم للاستمرار في عملهم، طالما كانت لهم المقدرة علي ذلك ولكن بعد قيام المجالس أصبحت هذه المجالس تمنحهم مكافآت ما بعد الخدمة نظير خدماتهم لها .

ساهمت الإدارة الأهلية بما قدمته من مجهودات في حفظ الأمن تقليل تكاليف كانت تدفع للبوليس من مرتبات وترحيل وسكن، وبدل سفريات والي غير ذلك من مصروفات غير مرئية . وينسحب ذلك علي تكاليف كان يمكن ان تصرف علي قضاء تولت مهامها الادارة الأهلية، مما يخفف كثيرا من المصروفات ايضا ان مرتبات رجال الإدارة الأهلية تقم بقدر ما يؤدونه من عمل أي اننا توازي اجورهم في السوق المحلية السائدة في المنطقة .

والخلاصة أن الإدارة الأهلية اعتمدت علي تمويل نفسها بجزء من الضرائب المحلية المباشرة وهي ضرائب متأرجحة يتحكم فيها الطقس والطقس لا سلطان لاحد عليه، فهي ضرائب غير مرنة ومنكمشة، وتضع الحكومة المركزية الحد الاعلى لفنائها. من جهة اخرى ساهمت الادارة الأهلية في تخفيف الازمة المالية بسدها الفراغ الذي نتج عن الاستغناء عن خدمات عدد كبير من الموظفين وبمرتبات زهيدة.

الفصل التاسع

الإدارة الأهلية والحكومة المحلية

دار نقاش مثير ومفيد، بين البريطانيين في المستعمرات وشاركت فيه حكومة السودان، دولة الحكم الثنائي^(١)، قبل تطبيق نظام الحكومة المحلية في المستعمرات في إفريقيا، تناول تكوين المجالس المحلية، أتكون خلطة من القدماء والمعاصرين؟ متعلمين وأمينين؟، أم للمتعلين فحسب؟ مما جعل احد البريطانيين يعلق "نشأت في مجتمع لا يفرق بين حقوق الافراد، ولذلك لا أهضم هذه التفرقة ووجدت نفسى في مجتمع بين أناس شعارهم الذى طبقوه، رجل واحد صوت واحد، ولم يصنفوا الناس بدرجة تعليمهم. وجدت في إفريقيا أناس بسطاء، يأكل غنيهم ويملك الاف من الماشية، مع فقيرهم الذى لا يمتلك أكثر من عشرة بقرات او اقل، ويشتركون كلهم مع السلطان فى حوار، ويبدون أرائهم بدون تحفظ أمامه تحت ظل الشجرة . بصراحه أننى انفر من هذه التفرقة ، دعوهم جميعا يشتركون فى إدارة شئونهم المحلية، كما يجب أن يشترك الزعماء (السلاطين) فى هذا النظام فان اشتراكهم يثرى التجربة ويقويها". انتهى تيار آخر فضل المتعلمين، وهم الأقل، مدعين ان ذلك يقود المتعلمين لفهم افضل لدور المجالس . وفي النهاية تغلب التيار الذي دعا للخلطة، وايد استيعاب زعماء العشائر تحت مظلة المجالس ، (مع احتفاظهم بالسلطات القضائية والأمنية) فاستثنأوهم ، كما يقول اصحاب الرأي الأخير . ينشأ عنه سوء فهم وعدم رضا وبالتالي عدم تعاون ليس في صالح نظام مبتدئ، فضلا عن ذلك فإن نأوا بانفسهم عن خوض الانتخابات فلنكن لهم مقاعد بالتعيين لتكسيهم المجالس لجانبها وهي احوج ما تكون لذلك، في فترة التأسيس، وهكذا انتظم رجال الادارة الاهلية فى المجالس ووجدوا انفسهم جنبا الى جنب مع المتعلمين المعاصرين وكانوا يكونون الجانب الاغلب حتى قال مستر ك.د . هندرسون مدير مديرية دار فور آنذاك معلقا على تكوين المجالس المحلية (أن الادارة الأهلية لحمتها وسداها) .

^(١) Journal of African Administration April 1946

لا اعتقد أن الإدارة الأهلية كانت سعيدة بمقدم الحكومة المحلية فإلا لخير نظام متقدم وحديث، وقابل للتطور له المقدرة على تقديم الخدمات المتقدمة، ويهيئ الفرصة لاشتراك المواطنين بجميع طبقاتهم في نظام ديمقراطي، مؤسس من القاعدة ولإلها السبب ولأنها انتزعت منهم الخدمات المحدودة التي كانوا يقومون بها فلا اعتقد أن ترحيبهم كان حاراً بمقدم المولود الجديد ولكن بمرور الزمن واندماجهم في التجربة اعتادوا عليها وأصبحت قريبة منهم، والفوها والفتيم وأصبح ضباط المجالس أصدقاء لهم يبادلونهم الاحترام وأصبح أبنائهم من الاعضاء الموظفين الفنيين في حالة انسجام معهم وتقاربت وجهات النظر وحل التفاهم والتعاون، محل الجفاء بعد أن كاد يكون محدوداً ولا أقول مفقوداً .

من المفارقات أن قانوناً صدر عام ١٩٠١ أعطى الحاكم العام سلطة إنشاء مجالس بلدية في جميع أنحاء السودان ولكن لم يقد أي مجلس بلدى بموجب هذا القانون فتم الغاء عام ١٩٢٦ وقد صدر لاحقاً قانون في عام ١٩٣٧، قسم البلاد إلى بلديات ومدن، أرياف ولم يتم تطبيقه إلا عام ١٩٤٢ بإنشاء بعض المجالس بأوامر تأسيس^(١).

إن من بين ما قدمته الإدارة الأهلية للحكومة المحلية، هو انتظام الثانيه في وحدات كانت تسمى الدار (دار حامد ، دار مساليت ، دار بكر) وهذه الوحدات والقبائل استوعبت القبائل الصغيرة الموجودة بمناطقها، بالانتماء، أصبحت هذه الوحدات ذات الميزانيات نواة لوحدات الحكومة المحلية. وكان هناك شيخ القبيلة

(١) بموجب هذا القانون تم إنشاء أربعة مجالس بلدية بكل من الخرطوم وأم درمان والخرطوم بحري وبورتسودان كما أنشئت بجلب ذلك ستة مجالس مدن في شندي وكوستي وبربر ومندلي والابيض وكسلا إضافة إلى ذلك تم تكوين أربعة وعشرين مجلساً ريفياً ثم صدر قانون ١٩٥١ وبموجبه انتظمت لبلاد كلها مجالس بلديات مدن وأرياف. صدر هذا القانون بموجب توصية قدمها د. مارشال في تقريره الذي قدمه لحكومة السودان عام ١٩٤٩ على نمط الحكم المحلي في إنجلترا (المودى الإنجليزي) مع تحديثات حسبها ظروف السودان المحلية ومستوى الوعي العلم

وأعوانه يعملون مع ضابط المجلس، يقدمون له المشورة ويمسندون قراراته وقرارات المجلس وطالما أنها صدرت باشتراكهم فإنهم يحتكمونهم، ويشتركونها لأهلهم، كما كان العمد والمشاخ يقومون نيابة عن ضابط المجلس بجميع الضررائب، ويساعدونه في تقديرها، ويسدونه بالاحصائيات والمعلومات، ويسدونه عن تحركات الرجل.

لقد خطط لتطبيق الحكم المحلي بحيث تمر المجالس على مراحل، وتدخل لها السلطات المختلفة تدريجيا. وبهنا في هذا السياق التكوين. ففي المرحلة الأولى كان أغلب أعضاء المجلس بالتعيين، أغلبيتهم من رجال الإدارة الأهلية، لكنهم تأريدهم للنظام الجديد، واتقاء الحساسيات، ففي بادئ الأمر كانت الانتخابات غير مباشرة، وهم من عليها رجال الإدارة الأهلية ومن يساندونهم، وعززت بتعريفات تضم أهل الكفاءة والخبرة لحفظ التوازن، وحتى بعد أن طبقت الانتخابات كانوا هم الفئة الأكثر، ومن هذه الفئة الأقل، أي المعنيين، مفتش المركز، رئيس المجلس، وضابط المجلس، استقى رجال الإدارة الأهلية خبرتهم في أعمال المجالس. فمضوا عن ذلك ساعد رجال الإدارة الأهلية بخبرتهم في ترسيم حدود المجالس الجديدة، حتى أن تسميات المجالس، في بادئ الأمر، أخذت أسماء القبائل، ريفي الشكرية (رفاعة)، ريفي البديرية، ريفي الجوامعة، ولما ثبتت أقدام المجالس ونمت، أصبحت هذه الأسماء القبلية لتشمل القبائل الصغيرة، التي تضمها تلك القبائل الكبيرة، واستقر الرأي على أن تكون التسمية جغرافية شمال القضايف، ريفي شندي، ريفي يامبو، ريفي انكورو، وهكذا.

هذه المجالس قربت بين رجال الإدارة الأهلية والمتعلمين، باشتراكهم في مؤسسة واحدة، يلعبون دورا واحدا، مهد ذلك لتفاهم الفضل، وزال الحاجز الذي كان يفصل بينهما والذي قاد لعدم التفاهة. أما الآن فقد أصبح لنا دعاء بجمع بين أهل الكفاءة والمقدرة، وبين أهل الخبرة والتقاليد والعرف، وهذا بدوره قاد إلى تطوير الحكومة المحلية بخلي ثابتة. وعرف المتعلمون أهلهم في البادية عن كثب، فكثرت الاستاذة

وأعوانه يعملون مع ضابط المجلس. يقدمون له المشورة ويسندون قراراته وقرارات المجلس وطالما أنها صدرت باشتراكهم فانهم يحترمونها، ويشرحونها لأهلهم، كما كان العمدة والمشايخ يقومون نيابة عن ضابط المجلس بجمع الضرائب ، ويساعدونه في تقديرها ، ويمدونه بالاحصائيات والمعلومات ، ويرشدونه عن تحركات الرحل .

لقد خطط لتطبيق الحكم المحلي بحيث تمر المجالس علي مراحل ، وتدخل لها السلطات المختلفة تدريجيا . وبهنا في هذا السياق التكوين . ففي المرحلة الاولى كان اغلب اعضاء المجلس بالتعيين ، اغلبيتهم من رجال الإدارة الأهلية ، لكسب تأييدهم للنظام الجديد، واتقاء الحساسيات، ففي بادئ الأمر كانت الانتخابات غير مباشرة، وهيمن عليها رجال الإدارة الأهلية ومن يساندونهم، وعززت بتعينات تضم اهل الكفاءة والخبرة لحفظ التوازن، وحتى بعد أن طبقت الانتخابات كانوا هم الفئة الأكثر. ومن هذه الفئة الأقل، أي المعنيين، مفتش المركز، رئيس المجلس، وضابط المجلس، استقى رجال الإدارة الأهلية خبرتهم في أعمال المجالس. فضلا عن ذلك ساعد رجال الإدارة الأهلية بخبرتهم في ترسيم حدود المجالس الجديدة، حتى ان تسميات المجالس، في بادئ الأمر، اخذت اسماء القبائل، ريفي الشكرية (رفاعة)، ريفي البديرية، ريفي الجوامعة، ولما ثبتت اقدام المجالس ونمت، اصبحت هذه الاسماء القبلية لتشمل القبائل الصغيرة، التي تضمها تلك القبائل الكبيرة، واستقر الرأي على ان تكون التسمية جغرافية شمال القضايف، ريفي شندي، ريفي يامبيو، ريفي اكوبو، وهكذا.

هذه المجالس قربت بين رجال الادارة الاهلية والمتعلمين، باشتراكهم في مؤسسة واحدة، يلعبون دورا واحدا، مهد ذلك لتفاهم افضل، وزال الحاجز الذي كان يفصل بينهما والذي قاد لعدم الثقة. اما الان فقد اصبحت لنا وعاء يجمع بين اهل الكفاءة والمقدرة، وبين اهل الخبرة والتقاليد والعرف، وهذا بدوره قاد الي تطوير الحكومة المحلية بخطى ثابتة . وعرف المتعلمون اهلهم في البادية عن كثب، فكتب الأستاذ

حسن نجيلة عن السير علي التوم (رحم الله الشيخ علي فقد كان شيخ عرب، بكل ما تحمله هذه العبارة ، عند ،أبائنا واجدادنا من فضائل) .

والحكم المحلي كما خطط له، لم يكن له دور في حفظ الأمن والنظام والقضاء والشئون القبلية ، البحتة، واستمر رجال الإدارة الأهلية يؤدون دوراً مزدوجاً، بدون تضارب، فهم أعضاء المجالس ومحضلي الضرائب وقضاة ورجال أمن .

وأما مشايخ القرى والعمد فقد كانوا موظفين للمجالس تدفع لهم مرتباتهم من تلك المجالس أما تعيينهم فيتم علي يد مفتش المركز، أما النظار والسلاطين والمكوك وإياً كانت التسمية، فتعينهم وتدفع مرتباتهم الحكومة المركزية حفاظاً علي مكانتهم الرفيعة بين اهلهم، ولما يؤدون من دور كبير في حفظ الأمن ومن خدمات هامة للحكومة المركزية، عبر وزارة الداخلية. وسار الأمر علي هذا النحو بين تساول الكثيرين عما سيكون عليه الشأن في المستقبل وكان الجواب أن يترك ذلك لتطور الامور لان التطبيق لا النظرية هو الذي يحسم الامور في النهاية. وهكذا بدأت المجالس تسير علي هدى ديمقراطية القاعدة وبخطى ثابتة نحو اهدافها ودونما أي تصادم مع الإدارة الأهلية .

ومهما يكن من أمر فقد نمت علاقة حميمة بين الزعماء والمجالس ازلت التخوف والشكوك والحساسيات التي كانت تراودهم نحو النظام الجديد وحطمت حاجز عدم الثقة والجفوة بين الزعماء والمتعلمين (الافندية) وحل محل ذلك تفاهم وعلاقة طيبة عبر عنها الناظر إبراهيم موسى مادبو " أولادنا الافندية زينين وطيبين، كريميين، كانوا بعيدين منا ، نَوا (الآن) عرفناهم وعرفونا، كما علمونا كلام الفلهم، أحبذ، اقترح، واثنى، ونقطة نظام، كَو ما في عوجة ". استفادت المجالس من خبرات المشايخ في كثير من الجوانب وهي بدورها مكنتهم من الاشتراك في تقديم خدمات جديدة وحديثة لمناطقهم ودربتهم علي النظم البرلمانية فعندما اشتركوا في المجالس

الدستورية لم تكن إجراءاتها غريبة عنهم وانسجموا فيها بارتياح وكانت المجالس اداة لبث الوعي والتربية الوطنية بين جميع الفئات . ومما كان يحسب علي نظام الإدارة الأهلية انه لا يستطيع الخلق والابداع ولا يمكنه توفير كفاءات لها المقدرة علي تقديم خدمات تحتاج الي البرمجة والتطور وهذا كان حقيقةً وماهي المجالس تقوم بهذا الدور المفقود .

الفصل العاشر

الإدارة الأهلية والعمل العام الوطني

تصدت الحركة الوطنية للحكم البريطاني، وكانت تهدف لجمع السودانيين في وحدة وطنية ولهذا فقد شنت حملة علي القبيلة والعشائرية، بحسبان انهما يجهضان هذا التحرك الوطني. ولقد كان لهذا التخوف ما يبرره فقد كانت الإدارة الأهلية قريبة من الحكام البريطانيين، ولكن برهنت الحوادث انهم تجاوبوا مع الحركة الوطنية وتفاعلوا مع ما يجري في الوطن من أحداث وطنية علي قدر عزمهم وعلي قدر ما سمحت به ظروفهم البالغة الحساسية فقد كان بعض البريطانيين، يعتقدون أن وجود الإدارة الأهلية ما هو الا مهدية جديدة كما سبق وذكرنا وما هو الا سلب بعض سلطاتهم وكانوا يخافون من انحرافها نحو الحركة الوطنية فراقبوا تحركات زعمائها عن كثب وبالرغم من ذلك كان لهم دورهم في دعم الحركة الوطنية كما سنرى .

والتاريخ يحدثنا عن الناظر أحمد حلمي أبو سن وعبد الله بكر اللذين كانا عضوين في جمعية اللواء الأبيض، وكان البريطانيون يتخوفون ان عينوا نظارا ربما يجرفون أهلهم نحو الحركة الوطنية ورغم هذه المحاذير لم يخف المرحوم الناظر عبد الله بكر ميوله فقد وقف مع السيد عبد الرحمن في نضاله نحو الاستقلال ثم كان عضوا فاعلا في حزب الامة وكان صاحبه قد سلك نفس الطريق مع السيد علي الميرغني ولم تكن وقفات هؤلاء الرجال وغيرهم بخافية علي رواد الحركة الوطنية وكانوا يدركون ايضا ان البعض ، يجدون له العذر، لم يكن في موقف يجعله يستوعب أهداف الحركة الوطنية ، لاسباب كثيرة منها مستوى وعيهم السياسي ، وعدم انفتاح قنوات الاتصال بينهم وبين الحركة الوطنية التي كانت محصورة في المدن والفارق في مستوى التعليم كل ذلك باعد بين الفئتين ولما أتاحت فرص اللقاءات اخيرا، لم يتوانوا في دعم مجهودات المتعلمين في هذه المجالات وقد ذكر أحد رواد وزعماء

الحركة الوطنية في هذا الصدد " هذه الأشياء لا يجب ان نثيرها بعد ان تلاشت ولم يعد لها وجود " .

وقد ذكر المرحوم الاستاذ حسن نجيلة في كتابه ذكرياتي في البادية ^(١) عن موقف اولاد المرحوم السير علي التوم " فقد كان اولئك الابناء في مقدمة المناضلين عن حرية بلادهم واستقلالها ولم يترددوا قط في مناصرة الحركة الوطنية جهرة والوقوف بجانبها والانجليز مازالوا بسلطانهم في داخل البلاد يشهدون بأعينهم مصرع عهدهم وزوال استعمارهم " .

هذا وكان عدد من أبناء السير علي التوم قد تولوا مناصب كبيرة، نوابا في البرلمانات المتعاقبة وكان السيد حمد علي التوم نائبا لرئيس الجمعية التأسيسية كما تولى الوزارة من بعد .

موقف ذكره لنا المرحوم حسن نجيلة ^(٢) عن تبرع المرحوم الناظر الحاج محمد إبراهيم قرح ناظر الجعليين الذي اعلن تبرعه للمؤتمر بمبلغ مائة جنيه وكانت المائة جنيه تعادل بحساب اليوم ملايين الجنيهات وليس المهم كم كان المبلغ ولكن المهم الدلالة التي يحملها التبرع عن مؤازرة الإدارة الأهلية ودعمها للحركة الوطنية ومرت الحادثة دونما تحرك من الحكام البريطانيين، كدأبهم في كبت الأمور وحصرها في اضيق نطاق خوف انتشارها وسريان عدواها (لغيره من رصفائه)، ولكن شاعر المؤتمر علي نور لم يفوت الفرصة فكتب قصيدته التي اوردناها سابقا . فعل الناظر ذلك بالرغم من ان الحكومة حددت سياستها بوجوب ابتعاد النظار والعمد من المساهمة أو المشاركة في أي نشاط لمؤتمر الخريجين .

(١) صفحة ٢٨. كتب ذكرياتي في البادية للاستاذ حسن نجيلة.

(٢) ذكرياتي في البادية صفحة ٥٩.

وانتهز هذه السانحة ايضا واسوق مثالا آخر لاستجابتهم لتأييد كفاح مواطنيهم
 ففي عام ١٩٥٧م كنت مفتشا لمركز بحري الجزيرة (الحصاحيصا) وكان زائري
 رجلا مناضلاً جسوراً لا يخشى في الحق لومة لائم ظل طوال حياته في كفاح مستمر
 ضد الحاكم الاجنبي وضد كل ما يراه ظلماً وطغياناً ، هو من ثوار ١٩٢٤م . حشى
 حديثاً كله وطنية وجهاد وتجرد، كان غايته ان يفال شرف تحرير الوطن، ذلكم هو
 العم المكافح المرحوم الطيب بابكر والد المهندس احمد الطيب بابكر والاستاذ التجاني
 الطيب السياسي المعروف، والسيد مختار المحافظ سابقاً كان منصفاً في حديثه عن
 رجال الإدارة الأهلية فذكر لي انهم ساعدوه في تحركاته وحفظ لهم ذلك في سرية تامة
 خشية عليهم وعلي موقفهم الحساس وخوفاً من أن يلحق ذلك الضرر بسرية الحركة
 الوطنية . وفي وقت لاحق كتب العم المرحوم الطيب بابكر عن جمعية اللواء الابيض
 بشندي، في عدد الرأي العام الأسبوعي الغراء ، العدد السادس بتاريخ يناير ١٩٧١م
 كتب :-

" فاتني ان اذكر انني عندما عدت من العاصمة بعد انضمامي لجمعية
 اللواء الابيض قمت في شندي المدينة وضواحيها جنوباً وشمالاً اجمع
 توقيعات المواطنين في مقابل سفر اللواء المعروف وقد استطعت ان
 اجمع الآف الامضاءات وارسلتها الي المركز العام للجمعية
 بالخرطوم كطلبه وممن جمعت توقيعاتهم رجل من المئمة المتكف
 الفاضل الذي يحمل علي عاتقه قرابة قرن ونصف من الزمان ويتمتع
 مع ذلك ببديهة حاضرة وذهن متقد وخاطر لماح ومجلس لذيق متم
 ذلك هو المرحوم عبد الله بك حمزة ووقع لي من رجال الإدارة
 الأهلية المواطن الغيور علي جاد الله " .

ولقد طاف المرحوم بابكر بدري رائد التعليم الأهلي وتعليم البنات علي جميع انحاء البلاد لجمع التبرعات للاحفاد فجاد له رجال الإدارة الأهلية بتبرعات مشهودة يضيق المكان عن ذكرها . راجع كتاب (حياتي) لبابكر بدري .

وقد لاقى أبو اليسر مدني شيخ خط المسلمية والشيخ المرحوم يوسف العجب ناظر رفاة الشرق لاقى في سبيل وقوفهم مع الحركات الوطنية رفضا ونفيا . وفي هذا الاطار لابد ان نذكر حدثا آخر وهو موقف السلاطين في جنوب السودان ذلك الموقف الرائع في مؤتمر جوبا عام ١٩٤٧م والذي انحازوا فيه للوحدة الوطنية ضد دعوة الانفصال التي اوجج اوارها وقادها مديرو المديرية الثلاث الجنوبية ضاغطين علي السلاطين ان لا يقبلوا الوحدة . من هؤلاء الذين انحازوا للوحدة استيانسلوس، عبد الله بياساما و سيرسيو أيرو واندريا قوري وسورو موبوي وجيميز طمبرا وغيرهم ، وقفوا ذلك الموقف وكانوا يعلمون ما يجره عليهم ذلك من ويلات .

أما المرحوم عبد الرحمن إبراهيم دبكة احد ابناء الناظر إبراهيم دبكة ناظر بني هلبة وأخ الناظر عيسى إبراهيم دبكة فقد كانت السلطات الانجليزية ترصد نشاطاته واتصالاته برجال الحركة الوطنية في الاربعينات والخمسينات فاقصى من أي موقع في الإدارة الأهلية .

أشترك رجال الإدارة الأهلية في توطيد دعائم التعليم فقد حكي لي الأخ عامر جمال الدين ان مدرسة شندي الأهلية الوسطى قام بتشيدها أربعة من المواطنين هم المرحوم احمد جمال الدين (تاجر) والشيخ علي جاد الله (إدارة أهلية) السيد المرحوم عبد الكريم السيد (تاجر) الشيخ محمد النور جمال الدين (إدارة أهلية) ، كانت تكلفة بنائها بينهم متساوية (وكان ذلك أبان الحكم البريطاني) .

كتب ناظر مدرسة الضعيفين الوسطى عن طرحهم لمشروع مدرسة وسطى أهلية تستوعب الفائض من القبول للمدرسة الوسطى الحكومية . في مجلة المستقبل الغراء ، العدد السابع ، بتاريخ ١٠ مايو ١٩٩٣م ، كتب يقول :-

" عقدنا أول اجتماع بمنزل عبد الحميد موسى مادبو الذي وجدنا منه ترحيبا حارا بالفكرة واستعدادا بدعمها بكل ما يملك " واستمر يقول : وحاز المشروع علي كل التشجيع من الإدارة الأهلية بالمنطقة هذه الإدارة كنا في ماضي من الايام نسمع احاديث نظرية نقول بمعاداتها للتعليم . "

وسأهموا في المؤسسات الدستورية المتعاقبة فقد عين الناظر محمد احمد أبو سن (الشكرية رفاعة) في المجلس الذي كان يرأسه الحاكم العام وعين وزيراً بلا أعباء فكان عضوا مؤثرا في توجيه السياسة . كتب عنه أحد الإداريين البريطانيين يقول : " متقد الذكاء فصيح ، يعارضنا في كثير من السياسات وله آراء وطنية قوية لا يخفيها" (١) . وكثيرا غيره لعبوا دوراً في المؤسسات الدستورية، سرور محمد رملي، المجذوب إبراهيم فرح، وكيل برلماني وطيفور محمد شريف علي سبيل المثال لا الحصر وغيرهم كثير .

ومن جانب آخر كانت لهم مساهمات وبصمات في ترجيح كفة الأحزاب السياسية . فاز بعضهم بالتركية في اول انتخابات في عهد الانجليز، في انتخابات الحكم الذاتي عام ١٩٥٣م فقد فاز فضل الله علي التوم، مترشحا وطني اتحادي، وفاز عبد الحميد موسى مادبو جمهوري اشتراكي علي منافسه مرشح حزب الامة بالرغم من ان المنطقة تحسب لحزب الامة. ولقد سالت حينها احد الرزيقات " فوزتم الجمهوري علي مرشح حزب الامة وانتم انصار " . كان رده "جدادة الخلا ما بتلك

(١) بانغريول مفتش بحري الجزيرة (لحسابها) في سيرة الناظر الذاتية.

جدادة البيت" وقد كان مرشح حزب الامة من خارج المنطقة فهو والحالة هذه من خارج البيت . وفاز يوسف العجب، جمهوري اشتراكي، ويضيق المجال علي الحصر، كل هؤلاء وغيرهم ، ترشحوا علي مبادئ أحزاب ، لم تكن لتحوذ علي رضا الحكام وهم في اوج سلطتهم وعلي مشهد بينهم .

قام بعض النظار بدعوة من المرحوم إبراهيم بدري، إداري سابق، بتأسيس حزب بسكرتاريته، سمي الحزب الاشتراكي الجمهوري كان من بين اعضائه الناظر موسى مادبو ويوسف العجب، وسرور محمد رملي وغيرهم . لم يكتب له النجاح (أي الحزب) فقد كان الاعتقاد بأنه صنيعه من البريطانيين كترياق ضد حزب الامة ولكن البريطانيين تبرءوا من ذلك إذ ذكر سير قوين بل ، وقد كان رئيسا للقسم السياسي بمكتب السكرتير الإداري آنذاك "أنه لم يكن لنا دور في قيام الحزب واشهد الله علي ذلك" ^(١). الا ان المستر هكت ویرث رئيس المكتب السياسي من قبله ومدير كسلا لاحقا كان يفتخر بأنه شجع علي قيام الحزب . ومهما يكن فإن بعض النظار أنضموا اليه باغراء من المرحوم إبراهيم بدري ، بأن يكون لهم كيان خاص بهم .

كان جهدهم مشهودا في ترجيح كفة الاستقلال فوقوا في مسيرته مؤيدين ومؤازرين حتى تم ذلك من داخل البرلمان وكان تكريم اثنين منهما بتقديم الاقتراح للبرلمان وتثنيته (الشيخ عبد الرحمن إبراهيم دبكة ومشاور جمعة سهل) موقفا مشرفا للإدارة الأهلية واعترافا بدورها في الحركة الوطنية .

أما الناظر بابو نمر فقد اشترك في كل المجالس التشريعية والبرلمانات ثم كان امينا عاما للرعاة بالسودان ومثل هذا ينطبق علي المرحوم محمد صديق طلحة وكان فوزه دائما باغلبية مطلقة في كل انتخابات تقدم لها "وطني اتحادي" .

^(١) Shadows on Sands, Sir G. Bell

جدادة البيت" وقد كان مرشح حزب الامة من خارج المنطقة فهو والحالة هذه من خارج البيت . وفاز يوسف العجب، جمهوري اشتراكي، ويضيق المجال على الحصر، كل هؤلاء وغيرهم ، ترشحوا علي مبادئ أحزاب ، لم تكن لتحوذ علي رضا الحكام وهم في اوج سلطتهم وعلي مشهد بينهم .

قام بعض النظار بدعوة من المرحوم إبراهيم بدري، إداري سابق، بتأسيس حزب بسكرتاريته، سمي الحزب الاشتراكي الجمهوري كان من بين اعضائه الناظر موسى مادبو ويوسف العجب، وسرور محمد رملي وغيرهم . لم يكتب له النجاح (أي الحزب) فقد كان الاعتقاد بأنه صنيعة من البريطانيين كترياق ضد حزب الامة ولكن البريطانيين تبرءوا من ذلك إذ ذكر سير قوين بل ، وقد كان رئيسا للقسم السياسي بمكتب السكرتير الإداري آنذاك "انه لم يكن لنا دور في قيام الحزب واشهد الله علي ذلك" ^(١). الا ان المستر هكت ويزث رئيس المكتب السياسي من قبله ومدير كسلا لاحقا كان يفتخر بأنه شجع علي قيام الحزب . ومهما يكن فإن بعض النظار أنضموا اليه باغراء من المرحوم إبراهيم بدري ، بأن يكون لهم كيان خاص بهم .

كان جهدهم مشهودا في ترجيح كفة الاستقلال فوقوا في مسيرته مؤيدين ومؤازرين حتى تم ذلك من داخل البرلمان وكان تكريم اثنين منهما بتقديم الاقتراح للبرلمان وتثنيته (الشيخ عبد الرحمن إبراهيم دبكة ومشاور جمعة سهل) موقفا مشرفا للادارة الأهلية واعترافا بدورها في الحركة الوطنية .

أما الناظر بابو نمر فقد اشترك في كل المجالس التشريعية والبرلمانات ثم كان امينا عاما للرعاة بالسودان ومثل هذا ينطبق علي المرحوم محمد صديق طلحة وكان فوزه دائما باغلبية مطلقة في كل انتخابات تقدم لها "وطني اتحادي" .

(١) Shadows on Sands, Sir G. Bell

وفي استقبال الرزيقات الكبير للرئيس عبد الناصر والرئيس عبود في الميزجان الذي اقاموه في سيبدو، مستودع للمياه بدار الرزيقات، كان مهرجانا ضخما أمته الالوف من الناس، أعلن الناظر محمود موسى تبرع القبيلة بالف ثور لدعم ثورة عبد الناصر. وهكذا فلم تقف جهودهم لمناصرة الحركات الوطنية في الداخل بل تعدتها لخارج الحدود وهكذا فعل محمد صديق طلحة في استقبال ضيوف البلاد من الرؤساء في أكثر من زيارة بأدلاً الكثير في سبيل الوطن .

هذا وقد اشترك كثير من النظائر والمشائخ في الوفود التي ذهبت لمصر وانكلترا لشرح قضية السودان وحقه في الاستقلال .

ومن هذه الصور التي اوردناها علي سبيل المثال لا الحصر يتضح لنا انهم لم يكونوا سلبيين تجاه ما يجري في الوطن من أحداث وتطورات ، ولاسباب ذكرناها في صدر هذا الفصل ، لم يكن لآخرين منهم فضل الاسهام .



المؤلف في استقبال زوج الملكة دوق أدنبرة في مطار ملكال

الفصل الحادي عشر

خواطر وملاح وانطباعات حول الإدارة الأهلية

خواطر وملاح وانطباعات حول الإدارة الأهلية

- أ. الفساد والتسلط.
- ب. المصاهرة والتمازج والتحالف.
- ج. مكائدات والمؤامرات.
- د. أهل عقيدة وسلطة.
- هـ. الملح والطرائف والسخرية.

(أ) الفساد والتسلط :

قال لي صديق متحامل علي الإدارة الأهلية لا تنسى وأنت تكتب عنها، لا تنس التسلط والفساد. قلت له هذا حكم عام. دعني أقول لك أن الفساد ظاهرة اجتماعية قديمة قدم الإنسان وفي كل بلاد العالم وهي مسألة نسبية لا تقتصر علي فئة دون الأخرى وهي سلوك شخصي لا يجب علينا أن نصم به كل الناس عامة أو فئة بكاملها، فإن جردناها أي (الإدارة الأهلية) من سلوك الأشخاص الفاسدين نكون قد أخطأنا وإن علقنا بها الفساد عامة نكون قد ارتكبنا نفس الخطأ. فمثلا في إنجلترا وفي حكومة العمال التي تحكم اليوم استقلال ماندرسون وزير التجارة واستقال مستر براون وزير الخزانة لانهما اشتركا فيما سمي بفساد ولا بد أن يكون لذلك أثره علي الحكومة ولكن هل يصح أن نقول أن حكومة العمال كلها فاسدة لو كانت كذلك لاضطرت هي الأخرى للاستقالة.

هناك أسباب كثيرة تجر الإنسان للفساد، نفس مريضة ، ظروف اقتصادية ، عدم (العقب) ^(١) والواعز الديني لأخر القائمة وإذا ما طبقنا هذه القواعد علي رجال الإدارة الأهلية ، نجد أن ظروفًا تهيأت لهم جعلتهم أفضل من غيرهم لتفادي الفساد فهناك تدقيق في الاختبار، لهؤلاء عادة ما يكون من ذوي الأخلاق الفاضلة ومن البيوت الموسرة، ذات السمعة الطيبة ، فمثل ما كان البريطانيون يحسنون اختيار أبنائهم الذين عملوا في السودان ، كانوا ينقبون عن العناصر الطيبة، والبيوت العريقة، ذات التاريخ، ليتولى أهلها مناصب الإدارة الأهلية، ومن بعد يكون الاختيار باستشارة أهلهم، ليقولوا كلمتهم فيهم، لأنهم هم عنوان القبيلة، ولأعطي بعض الأمثلة عن بعض من جمعتني بهم ظروف العمل: فالناظر إبراهيم دقل، ناظر البني عامر، لا يفارقه مصحفه ليل نهار تقي ونقي كذلك جمعتني ظروف عملي بنظار البقارة بجنوب دارفور فلم اسمع عن فساد إداري أو مالي عنهم وكان الناظر منعم منصور رجلاً عادلاً ويحفظ القرآن . بني مسجداً بالنهود. والسير علي التوم يتفقد أحوال أهله ويطلب من الأغنياء الأخذ بيد الفقراء وكان يبذل من أمواله الكثير علي قبيلته وكان يكرم القادمين إليه من الموظفين وغيرهم بسخاء لا يفرق بين الأفندي والمراسلة. وكما قال أحد الباحثين " ولا يرى أحد من الموظفين في هذا العطاء معنى من معاني الرشوة بل يرونه من معاني الأبوة النبيلة."

ولقد رثا الشيخ محمد سعيد العباسي السير علي التوم بقصيدة جاء فيها :-

قف بمثوى السماح قبر علي

زين أهل الندى وزين الندى

حدث ضمنوه حلو السجايا

ومحيا كبارق الوسمي

(١) الأهل فهم يحاسبونه على أخطائه.

ضل من يعشَق البقاء
يشقى بها كل حي
يا كريم الجود لقيت بشرى
جنة الخلد في جوار النبي

ناقشت الموضوع مع الأخ الطيب الخليل، وقد كان مفتشا لسنجة، في السنين فلم ييضم كلمة فساد هذه فضرِب مثلا بمنصور العجب، ناظر رفاعة الشرق، الذي كان ينفق علي فقراء طلبة مدرسة سنجة الوسطي وهم عشرات ويمر علي المستشفى فيتفقد المرضى وينفق عليهم وأعطاني أمثلة كثيرة غير هذا وقال لي مثل هؤلاء الرجال لا يمكن أن يوصموا بالفساد. وعلي أي حال لم تمر عليه حالة فساد خاصة برجال الإدارة الأهلية إلا حقق فيها وكانت كلها تتسم بالكيدية وأختتم حديثه بقوله: " هذه شهادة مني بذلك ". وأما شهادتي أنا فقد عملت حوالي أكثر من ٢٥ سنة في الإدارة وخلصت إن هذه المفاهيم ناتجة عن سوء فهم. صحيح إن قبائلهم تدعمهم ماديا وأديا وتتعاون معهم في تنمية ثروتهم بالنفیر وبالأساليب المشروعة لأنهم معتلوا وفي النهاية لا يمكن أن نعمم ولا نجزم بعدم وجود حالات فردية هنا وهناك. وكتب احدهم في جريدة التاريخ السياسي العدد ٧٤٦ بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٩٢م.

"الذي اضر بالإدارة الأهلية هو إننا تعودنا علي الأحكام المعممة فإذا كان هنالك خلل في الجسم نعممه علي الجسم كله.. للحقيقة والتاريخ فأن الحديث عن الفساد في الإدارة الأهلية لم يكن صحيحا في كل مناطق السودان ولا علي كل رجال الإدارة الأهلية لذلك اتخذنا قرارات معممة فأزلنا جهازا إداريا قويا دون تكاليف وكانت النتيجة أن انعكس هذا الفراغ سلبا علي مختلف الأنشطة واضطربنا إلي إعادة النظر في هذا الأمر".

أما الحديث عن التسلط فانه ناتج عن تجميع سلطات كثيرة في أيدي النظار فقد خولت لهم كثير من السلطات المركزية قضائية، أمنية، صارت أوامر يعاقب علي

مخالفتها القانون ويحاكم مخالفيها الناظر نفسه، وقد اشرنا إلى ذلك من قبل يصدق فيها قول المتنبي " فيك الخصام وأنت الخصم والحكم " وفي الديمقراطية وبسط الحريات، نجد من الصعب أن تجمع كل هذه السلطات عند شخص مفردا، ولهذا يحسبه الناس في خانة التسلط.

قال مستر ريجنالد ديفيز في كتابه "على ظهر جمل" وهو يتحدث عن احد المشايخ" بالرغم من أن محاكمات شيخ القبيلة قاسية إلا انه لم تصدر ضده أي شكوى، فان القبيلة تعتز به اعتزازا شديدا وتدين له بالولاء".

وحفظ الأمن والنظام والانضباط والسلام في البادية وبين القبائل الرعوية وفي المناطق النائية يحتاج إلى قبضة وحزم وخشونة بدونها قد تتحول الأمور إلى فوضى ومشاجرات تقود إلى فتن كبرى. وما نراه اليوم من انفلات في الأمن وانتشار النيب المسلح ما هو إلا نتاج لغياب تلك السلطة القادرة القوية والمؤثرة، وهذا أيضا ما يحسبه الناس في دائرة التسلط، ولكن إذا علمنا أن هؤلاء الزعماء يتعاملون مع أهلهم وعشيرتهم والزعماء احرص ما يكونون على الحفاظ علي كرامة أهلهم واحترامهم ولا تسمح لهم أنفسهم في فرض سلطتهم عليهم لدرجة الإذلال، فيفقدون بذلك ولاءهم واحترامهم، كما أن الضوابط التي اشرنا إليها في الفصل الثالث تجعل من العسير عليهم أن يكونوا طغاة ومتسلطين بلا حدود.

أما عن المحسوبية فهؤلاء الناس ضعفاء أمام ضغوط أهلهم مما يجعل تحقيق العدالة أمرا عسيرا علي نقيض المفتش البريطاني الذي لا تربطه بالأهلين صلة القربى، وهو الذي يختلف عنهم في الثقافة والتقدم والعادات والتقاليد، ومن ضمن هموم المفتش الإنجليزي ^(١) أن يوفر الضمانات ضد السلبات، المحسوبية والمجاملة والمحاباة وهي سمة من سمات القبيلة التي لم ينج منها حتى المتعلمين في الخدمة المدنية، وحتى إذا تخلصنا من آثار القبيلة تدريجيا فكيف لنا أن نتخلص من مؤثرات

^(١) لما الإدريين السودانيين فقد أخرجت العادة أن ينقلوا إلى مناطق بعيدة عن موطنهم وذلك تفاديا لوقوعهم في مثل هذه شبهات.

القبيلة السياسية والانتماءات السياسية، في الأحزاب العقائدية، والحزبية، أليست هذه قبيلة جديدة، أينما كنت يدركم.

غريب أمر هؤلاء يتحدثون عن السلطة والطغيان في الإدارة الأهلية ولم يعايشوها، شيادتهم سماعية، وينسون من عجب، طغيانا أشد قسوة وضراوة ونعسفا وبطشا وإذلالا في عهود عسكرية ثلاثة مرت عليهم وهم شاهدون عليها. معذرة فالحديث ذو شجون.

يعيبون علي الإدارة الأهلية أن فيها وراثة، بكل ما في الوراثة، من عيوب، ومساوي، كحرمان الآخرين من المنافسة، كما أن فيها نوع من الاحتكارية والأنانية، تخفف من أثارها تلك الضوابط، التي تحدثنا عنها سابقا. ومن المؤسف أن الوراثة تحيط بالسودان من جميع الجوانب. ففي الطرق الصوفية والطوائف الدينية، والسلطات، كلها، فيها وراثة، وامتدت العدوى لرئاسة الجمهورية فأصبحت نتجه نحو الوراثة، ومن يدافعون عنها يجدون لها المبررات، كأسلوب للتدريب علي فنون الإدارة والحكم في داخل المؤسسة، لينال أهلها الخبرة والدراية، في معاملة الناس، فيألفونهم، وللحفاظ علي استمرارية المؤسسة، وتراثها وأدبياتها، ومفاهيمها، ورموزها، ومهما يكن فقد حدثت الحكومة المحلية والمجالس النيابية من أثار هذه الظاهرة.

(ب) المصاهرة والتمازج والتحالف:

حدثنا التاريخ عن مصاهرات كثيرة بين العوائل المالكة والحاكمة في أوربا وغيرها، البوربون مثلا. والخليفة المأمون عندما أراد أن يوحد بين المسلمين زوج ابنته إمام من الشيعة، علي الرضا، وأعلنه ولي عهده، والإمام المهدي تزوج من المحس والجوابرة، ومن أسرة السلطان محمد الفضل وأسرة الشيخ القرشي، من الحلاويين وتزوج الناظر عبد الله ود جاد الله، ناظر الكواهلة، أم سلمة بنت الإمام

المهدي وتزوج السيد عبد الرحمن المهدي من الكواهلة بنت الفاظر عبد الله ود جاد الله وفعل مثله ابنه السيد الصديق.

ليس من أغراض الخوض في موضوع المصاهرات عامة فأمر ذلك متروك للباحثين المتخصصين في هذا المجال ولكن أردت الإشارة إليه فيما يتعلق بالإدارة الأهلية، فقد يتم الزواج بين أسرة ناظر وناظر أو ناظر وقبيلة أخرى لغرض توثيق العلاقات التمازج والاندماج من أجل التحالف للحماية والمصالحات والدفاع ولتوطيد السلطة ولإرضاء القبائل الصغيرة التي تعيش داخل القبيلة الكبيرة من البيوت ذات النفوذ الديني وكبح جماح ذوي الطموحات والتطلعات.

ومن بين هذه المصاهرات ما تم بين التعايشة والبنى هلبة لحماية بعضهم البعض من تغول القبائل الكبيرة عليهما، كذلك تصاهر الحسانية والجموعية بعد مناوشات عديدة، تزوج مك الجموعية بنت شلعي زعيم الحسانية فتحسنت علي أثر ذلك العلاقات وقويت الروابط وخمدت نار الفتنة. وصاهرت قبيلة سليم الجمع والاحامدة فتوطد مركزها وقوي.

وعندما حل الكواهلة بدار البجا تصاهروا معهم فضمنوا بقاءهم، وذلك من قبل أن ينتشروا في النيل الأزرق وفي كردفان. ونعرف إن تمت مصاهرات بين الحوازمة والمسيرية من جهة والدينكا من الطرف الآخر وحصل نفس الشيء بين الرزيقات والدينكا، فأنت تسمع في دار البقارة فلان ود الجنقاوي أي الدينكاوي وهذه المصاهرات بين عرب البقارة والدينكا باعثها الحفاظ علي العلاقات الطيبة، بين أناس يتقاسمون المرعى والماء فقد أفلحت هذه المصاهرات في الحد من التحرشات والمناوشات، وصداقة بابو نمر والناظر دينق ماجكوك ناظر الدينكا حسنت كثيرا من المشاكل والفتن ومنها فتنة عام ١٩٦٤م التي أشعل نارها المتمردون إذ أوعزوا للدينكا بأن المسيرية يعدون لغزوهم ونهبهم. كما وتحالف مشايخ الادوك والكوما، بمركز الكرمك ضد غزو القبائل الأخرى.

المهدي وتزوج السيد عبد الرحمن المهدي من الكواهلة بنت الناظر عبد الله ود جاد الله وفعل مثله ابنه السيد الصديق.

ليس من أغراضني الخوض في موضوع المصاهرات عامة فأمر ذلك متروك للباحثين المتخصصين في هذا المجال ولكن أردت الإشارة إليه فيما يتعلق بالإدارة الأهلية، فقد يتم الزواج بين أسرة ناظر وناظر أو ناظر وقبيلة أخرى لغرض توثيق العلاقات التمازج والاندماج من أجل التحالف للحماية والمصالحات والدفاع ولتوطيد السلطة ولإرضاء القبائل الصغيرة التي تعيش داخل القبيلة الكبيرة من البيوت ذات النفوذ الديني وكبح جماح ذوي الطموحات والتطلعات.

ومن بين هذه المصاهرات ما تم بين التعايشة والبنى هلبة لحماية بعضهم البعض من تغول القبائل الكبيرة عليهما، كذلك تصاهر الحسانية والجموعية بعد مناوشات عديدة، تزوج مك الجموعية بنت شلعي زعيم الحسانية فتحسنت علي اثر ذلك العلاقات وقويت الروابط وخمدت نار الفتنة. وصاهرت قبيلة سليم الجمع والاحامدة فنوطد مركزها وقوي.

وعندما حل الكواهلة بدار البجا تصاهروا معهم فضمنوا بقاءهم، وذلك من قبل أن ينتشروا في النيل الأزرق وفي كردفان. ونعرف إن تمت مصاهرات بين الحوازمة والمسيرية من جهة والدينكا من الطرف الآخر وحصل نفس الشيء بين الرزيقات والدينكا، فأنت تسمع في دار البقارة فلان ود الجنقاوي أي الدينكاوي وهذه المصاهرات بين عرب البقارة والدينكا باعثها الحفاظ علي العلاقات الطيبة، بين أناس يتقاسمون المرعى والماء فقد أفلحت هذه المصاهرات في الحد من التحرشات والمناوشات، وصداقة بابو نمر والناظر دينق ماجكوك ناظر الدينكا حسمت كثيرا من المشاكل والفتن ومنها فتنة عام ١٩٦٤م التي أشعل نارها المتمردون إذ أعزوا للدينكا بان المسييرية يعدون لغزوهم ونهبهم. كما وتحالف مشايخ الادوك والكوما، بمركز الكرمك ضد غزو القبائل الأخرى.

ومن بين هذه الزيجات المشهورة، فقد تزوج الناظر بابو نمر من آل المهدي وتزوج السنا ب من بيت العكريين وهم أهل نفوذ ديني كما تزوج الملوك بدنقلا(عائلة الزبير حمد المك) من الادارسة وهم ذوي نفوذ ديني كما تزوج الشيخ طلحة شيخ البطاحين (رجل دين ودولة) تزوج بنت ناظر الجعليين إبراهيم بك فرح وتزوج الناظر إبراهيم موسى من عائلة السناري وهي عائلة لها صلة بالجعليين.

ونخلص من هذا السرد إن المصاهرة كانت ضرورية للحفاظ علي مكانة العائلة وعلاقاتها وتوفير الحماية وتذويب العداوات وتبديلها بعلاقات طيبة وتمتين وتقوية للسلطة وإرضاء الأقليات داخل القبيلة.

(ج) المكائدات والمؤامرات:

زعماء القبائل عامة ورجال الإدارة الأهلية ونظراؤهم وأتباعهم من أكثر الناس تعرضا للمكائدات والمؤامرات ولا غرابة في ذلك فأهل السلطة في مواضع حساسة وربما محسودة، مستهدفين من الأعداء ومن ذوي الطموحات والتطلعات يرصدون تحركاتهم ويلتقطون سلبياتهم فيكيدون لهم كيда.

في كردفان دبر بعض الناس مكيدة لزعيم الكبابيش التوم زعيم الكبابيش في عهد المهدي للنيل منه ساعدهم في تنفيذها كاتبه ويدعى (فجونة) فقد كتب خطابا أساء فيه للمهدي وللخليفة عبد الله وذيله بإمضاء وختم التوم، الذي كان يحتفظ به (فجونة). وعند مجابهة التوم بذلك نفى الزعيم انه ذيل الخطاب بإمضائه ولكن نفيه هذا لم يشفع له، فأحيل أمره علي الياس باشا ود أم بربر حاكم الأبيض الذي قبض عليه وقتله. ولعل هذا وغيره من الأسباب التي أفسدت العلاقة بين الأنصار وهذه القبيلة وزعمائها.

ومثل هذه الدسائس والمؤامرات قد تطال الأسرة الواحدة فاذا ذكر عندما كنت اعمل في دارفور ساءت العلاقات بين الناظر ووكيله وهو شقيقه ووصلت حد فقدان الثقة المفرطة، جعل الأول يعتمد علي مساعديه من إخوانه الآخرين. والعلاقات

المتوترة بين المعاليا والرزيقات كانت أرضا خصبة للدس بين القبيلتين مما زاد في تفاقم المشاكل بينهما والتي لم تخدم ناراها إلي يومنا هذا وهي تشتعل بين الفينة والأخرى.

في بداية الحكم الوطني تقلد المرحوم ميرغني حمزة وزارات الزراعة والري والتربية، فكون لجنة من شخصيات كبيرة للتحقيق مع الناظر ترك في الاراضي التي يمتلكها في مشروع القاش وكانت تضم اللجنة كلا من السيدين علي حسن عبد الله وكيل وزارة الحكومة المحلية ومأمون بحيري وكيل وزارة المالية وآخرين. ومعلوم أن الناظر ترك قد انضم لحزب الأمة تحت قيادة السيد عبد الرحمن ومعروف أهل نظارته يتبعون للطائفة الختمية وبالرغم من انه يعرف من أين جاءت المكيدة تغابي (وسيد قومه المتغابي) وقال لهم في اجتماع معه في دهاء معما غير مخصص جهة "كثيرة أراضي أنا ولا أراضي السيد علي والسيد عبد الرحمن عينكم في الفيل تطعنوا في ضله".

ونجد إن الطائفية لها مكائدها مع الزعماء الذين يخرجون عن طاعتها وينضمون تحت لواء حزب لا يواليها فقد حرصوا أتباعهم لإسقاط كثير من أبناء الزعماء الذين خرجوا عن طاعتهم ونجد إن هذه الظاهرة كانت متفشية في المديرية الشمالية. وأسرة الزعيم الزبير حمد المك تعرضت لكثير من المكائده في منطقة دنقلا من سكان المدينة ومن الطائفية.

وتسبب الأقليات ذات الأصول المختلفة في داخل المنطقة مصدرا كبيرا لهذه المكائده واذكر في أثناء عملي بالحصاحيصا ان قدمت لي عريضة ضد احد مشايخ الخطوط متهمه إياه بالتحيز لأهله في قضية أراضي وتم تقصي الحقائق والتحقيق في الشكوى فثبت لنا ان شيخ الخط لم يكن طرفا في الموضوع ولم تعرض القضية أمامه وكان الهدف من ذلك كله ان هنالك أشخاص يودون تعكير العلاقات بين شيخ الخط وهذه الأقلية ليستفيدوا من ورائها في تحقيق طموحات لهم.

الأمثلة التي تحضرني في هذا المجال كثيرة ولكن المجال لا يسمح بذكر
الوقائع وأسماء الأشخاص وقد مرت عليها السنين فاندثرت وقد اضطررت للحديث
عن بعضها لإكمال الصورة.

(د) أهل عقيدة وسلطة:

جمع كثير من الزعماء بين العقيدة والسلطة وهذا عزز من سلطاتهم ووطدها.
واتصف هؤلاء الزعماء من البيوت الدينية، بدمائة الخلق والرقّة والتعاطف مع
أتباعهم ومن هذه الأسر، أسرة الشيخ طلحة بابو دليق وأسرة اليعقوباب بسنار وأسرة
الشيخ عبد المحمود بطابت وأسرة المكاشفي وأسرة البادراب في شرق وغرب مركز
الحصاحيصا وأسرة الشيخ العباسي بشندي وسلطات دار مساليت.

وفي الجنوب نجد الكجور والناظر مكملين لبعضهما البعض كما ان رث
الشك له مكانته الدينية مع الحاكمية ويستمد سلطاته كزعيم للقبيلة من هذه الخلفية
وعند الزاندي يجمع السلاطين بين السحر والشعوذة والسلطة وهم العائلة الحاكمة من
الافقرا، عائلة لها طقوس لا يدركها العامة.

هذا موضوع طويل وشيق، يحتاج منا لبحث قائم بذاته، وقد أردت ان أنبه إليه
لعل احد القراء يتناوله بشئ من التفصيل والاستقصاء. فهو يصلح لموضوع أطروحة.

(هـ) الملح والطرائف والسخرية:

حياة المشايخ والزعماء لا تخلو من الطرائف والسخرية والحكمة. والشيخ
عوض الكريم أبو سن كان رائدا في هذا المجال. رحمه الله فهو يتمتع بالذكاء وسرعة
البيهة والسخرية. ومما يحكى عن جدتهم وهي تتحدر من مشايخ "العكرين"
والعكريون أهل تقوى ودين وصلاح لا يحتاجون مني لتقديم فالفراء يعرفونهم. روت
لهم جدتهم إنها عندما دخلت علي والدها وجدته يجلس علي الكرسي ابتدراها قائلة
(دخلت علي وأنا اجلس علي الكرسي أولادك بيجو حكام أما لو وجدتي علي الفرقة

فأولادك كانوا ييجو فقرا) وهكذا تواصلت شياختهم علي الشكرية فقال لها ولدها (عافي عليك يا بت الشيخ عرفت تمشي لأبوك متين أكان لقيته في الفروة كان سبخنا "جمع سبخة" كشكش). وحكى عن الشيخ عوض الكريم ان احدهم دس له بأن أحد المشائخ وصفه "بابو القدح" وكان شيخ عوض الكريم قصيرا ممتلي الجسم مستديرة فقال له الشيخ عوض الكريم قوله " والله أبو القدح لو انكفا فوقك مابتقوم لك قائمة".

كان لمفتش القضارف البريطاني صديقة بديم خشم القرية. وكان عندما يأتي في مأمورية لخشم القرية في مكان معين (يضرب البوري) لتخرج الصديقة وعندما تخرج يكون ذلك إشارة لوجودها، وعلمها، وفي مرة والمفتش يمارس عادته هذه، لم تخرج الصديقة كعادتها، فترجل المفتش من عربته وفتح مقدمة العربة (الكبوت) كأنما أراد ان يصلح عطبا في السيارة أملا في طلعتها ولم يلاحظ ان الشيخ عوض الكريم كان يرقبه من علي البعد، ويرصد حركاته، وهو يجلس علي عنقريب، تحت ظل شجرة، فتقدم المفتش نحو الشيخ عوض الكريم صافحه وقال له (العربة وقفت فجأة) فرد عليه الشيخ عوض الكريم (عربيتك بتعرف محل تقيف يا جناب المفتش).

سألت احد سلاطين النوير عن الحالة عامة، عندما كنت محافظا لأعالي النيل آنذاك، فرد علي قائلا " بطلاي ما في كويس ما في" فانبرى له احد السلاطين قائلا " أنت ما كلبموا لمديري كويس" فرد عليه " أنا كان كلم مديري بطلاي في هو ييجي زعلان وكان أقول كويسني في أكون أنا ما كلمه تمام" وهكذا أراد ان يتخلص من الموقف الحرج بطريقته. ووصلتني الإشارة بأن الموقف غير مرضي بسبب عدم استقرار الأحوال في المنطقة فقد كانت مستهدفة من جانب المتمردين.

السلطان سورو موبى سلطان منطقة موبى بالزاندى سمع ان المدير يطلب من السلاطين ان يغيروا أسماءهم بأسماء عربية سألني (هو مديري دا بدورو سلاطين إعملوا اسم عربي هو اسم مديري دا بتاع مسلمين هو ما يعملوا واحد بعدين إحنا ييجي كان اسم المدير غير متداول بين الناس قلت " خليك علي كده وإذا سالك هو أنت تقول: أنت تقولو سورو دي بالعربي يكون سرور وتكون ما غيرت اسمك".

وسأل احد مشائخ البطاحين ولده عن موضوع كيف أتمه، وكان يعتقد انه صعب. فشرح له ولده كيف أتمه فقال له والده " ولد النقارة ما تَقْلِبُوا البصارة ".

حكاية الناظر أيوبيه مع شخص أراد ان يشي له بشخص آخر فقال: " فلان سب أمك وسب أمي " فرد عليه أيوبيه " سب أمي خليه سب أمك أنت سويت فيه شنو ". اجتمع احد كبار التجار وهو من أتباع الطريقة التجانية بصديقه الناظر، وهو الآخر تجاني، في زاوية التجانية، فبادره قائلا: أنت يا فلان تجاني ومالك كثير وورع داير بالحكم دا شنو؟ فرد عليه " بخاخي بيه الطير ".

وكان احد مشائخ الهبانية البقارة يستوجب احد رعاياه عن أمر فما كان من الرجل إلا ان قال لشيخه حرم.... فقاطعه الشيخ " بيتك حلال ليك، تندس تمرق، نجاك الله " فقد كان يعرف انه كاذب.

كان احد المحامين يدافع عن متهم في قضية قتل أمام محكمة كبرى وكان احد المشائخ (من قبيلة المسيرية) وهو احد عضوي المحكمة يرقبه بدهشة فسأله ولم يكن قد النقي بمحاميين من قبل " أنت كنت معاهم وحاضر الدؤاس " فرد عليه بالنفي فما كان من الشيخ إلا ان مشط ذقنه بيده فتعجب وقال له " شغلك دا ملاقي حجج ساكت ".

كان الشيخ ود نواي نائب الناظر عساكر بكوستي عضوا في محكمة كبرى رأسها القاضي بودلي وبينما كان احد الشهود يدلي بشهادته ذكر بأن المتهم شتره بطرمباش فقال له " شتره شنو " فرد عليه " يعني زقلة زقلين " فزاد المسألة غموضا بحديث الفلهمة فحل اللغز المترجم (الطرمباش عصاة محدود به يرمي بها الشخص من علي البعد).

في إبان عملي ببحري الجزيرة كان هناك اثنان من مشائخ الخط في مشاكل مع بعضها البعض فاجتمعت بهما واستمعت لشكوى كل منهما ثم قلت لهما إذا استمریتما تتناطحان هكذا فمنطقتكما لن تتقدم فما كان من احدهما إلا ان قال لي

عليك بالثور الهائج النطاح ياجنابه كتفة" ومهما كان فقد انتهى الأمر بالصلح والتراضي بدون ان اكتف الثور النطاح.

هناك ملح وطرائف وحكم وسخرية يتداولها عنهم الناس، وهي معروفة لكثيرين منا فأثرت ان لا أكررها هنا. ومنها ما يجده القارئ في الكتب. خصوصا في كتاب فرانسيس دينج مانجوك، الدبلوماسي، الذي حوى حوار الطريف مع الناظر بابو نمر فلا داعي ان نكرر هنا أيضا ما هو موجود في الكتب الأخرى.

(و) الإدارة الأهلية والتعليم:

يتحدث الناس الساخظون علي الإدارة الأهلية عن الجهل والتخلف في الإدارة الأهلية وينسبون ان عدداً كبيراً من رجال الإدارة الأهلية المعاصرين والقدماء نالوا تعليماً بمستوى رصفائهم في المجالات الأخرى. فمنهم من تخرج من المدرسة الحربية، الناظر عبد الله بكر والناظر حلمي أبو سن ومنهم من تخرج من كلية غردون التذكارية، الناظر الزبير حمد الملك، سرور محمد رملي، طيفور محمد شريف ونال إبراهيم حاج محمد تعليماً عالياً (خريج حقوق بمصر) عبد الله أبو سن وكيل ناظر الشكرية (كلية الزراعة) محمد احمد أبوسن ناظر الشكرية (كلية الطب) الناظر سهل جمعة المجانين (تعلم بالأزهر) إبراهيم فضل الله علي التوم (وسطى ثانوي) عبد القادر منعم منصور (ثانوي) موسى إبراهيم موسى مادبو (ثانوي) الناظر الطبيب آدم جيلي (ثانوية زراعية صغرى)، العمدة إدريس الزبيق (ثانوية صغرى زراعية) العمدة حماد أبو سدر (ثانوية صغرى زراعية) الناظر محمد محمد الأمين ترك (جامعي) العمدة خليل تيمة بكر (ثانوية صغرى زراعية) الناظر يوسف المك حسن عدلان (الكلية الحربية) العمدة حسن محمود (ثانوية صغرى زراعية) وهناك عدد كبير من خريجي الثانوي والوسطى يصعب عليّ حصرهم، من الأجيال التي عاصرناها والتي أنتت بعدنا ومهما يكن فتجد كثيراً من هذه الأسماء مضمنة في الملحق الثاني.

وفي اهتمام الإدارة البريطانية بتعليم أبناء الإدارة الأهلية حثت أباهم على إرسالهم للمدارس وكانت المدرسة الريفية الوسطى (بالدويم) مدرسة أولاد (أولاد النظار) كما كانوا يطلقون عليها تستقبل عددا منهم كل سنة ومن ينجح في امتحان الدخول إلى الثانوي يواصل تعليمه إلى أقصى مستوى متاح. أما لماذا المدرسة الريفية الوسطى؟ فهذه قصة طويلة مرتبطة ببخت الرضا فقد قامت بخت الرضا على أكتاف رجل من رجال التربية المرموقين، ويمتاز بسعة أفق وثقافة وحنكة نادرة ذلكم هو المستر قريفت وكان له أعوان يعتبرون أعمدة في التربية والمقدرة والكفاءة أمثال عبد الرحمن على طه^(١) وحمزة حسين وعثمان محجوب ومكي عباس ومحمد الحسن عبد الله والتجاني على وسر الختم الخليفة والشيخ إبراهيم قررة العين والشيخ حسن بشنة من كبار رجال التربية وعلى ذات النهج خطى مستر قريفت بمدرسة الدويم الريفية الوسطى أي على نفس أسس بخت الرضا. في التربية الريفية والتدريب والسلوك مع اختلاف في المحتويات الدراسية.

ومن أهم أهدافها تدريب الطالب على الاعتماد على نفسه كاملا يعيش في نفس ظروف البيئة الريفية التي نشأ فيها حتى لا يحصل له انفصام، والمناهج الموضوعة تهدف لتخرج الطالب ناضجا ومسؤولا يستطيع أن يعيش في أي بيئة في السودان وكان يختار لها ابرز المتفوقين من التلاميذ خريجي المدارس الأولية ويقوم باختيارهم بإشقتش التعليم بالمديرية المعنية.

مباني بخت الرضا من الطوب الأخضر المطلي (بالزبالة) وكذلك الداخلات تماثل مباني الريف. وخططت سياسة داخلات المدرسة الريفية بحيث يعتمد الطالب الداخلي على نفسه فهو يقوم بنظافة العنابر (علي نظام النبطشية) واستلام لبن الصباح وتقليم الشاي لزملائه في العنبر وهم سبعة ويحضر لهم الأكل بعد أن تعده الخدامات (الكسرة والملاح) واذكر أن خدامتنا اسمها بتول وكان "أبو" داخليتنا الأستاذ احمد ميرشني

(١) نائب عميد بخت الرضا وزير المعارف إبان الحكم الذاتي ووزير الحكومة المحلية في الديموقراطية الأولى.

شكاك ومن المدرسين الأستاذ جمال محمد احمد والأستاذ الباقر السيد محمد السفير سابقا والأستاذ عبد الرازق عبد الغفار (دوديني) شيخ عبد العزيز عبد المجيد شيخ الزين ولفترة الأستاذ حسن عبد اللطيف أول أخصائي أسنان في السودان ومحجوب مكايي (السفير فيما بعد) وأسائذة زائرين من بخت الرضا. وكان مفتش المركز المستر هوكت وريث (مدير كردفان فيما بعد) يأتي مساء، مرتين في الأسبوع لتدريس اللغة الإنجليزية للفصل النهائي. وكانت هناك بحوث يشرف عليها الأستاذ جمال محمد احمد والأستاذ د. عبد العزيز أمين عبد المجيد (المصري) ^(١) ولأول مرة ادخل تدريس العلوم في المدرسة الوسطى وكان ذلك في مدرسة الدويم الريفية الوسطى. كما تشمل البرامج الليلية مفاجآت القبة الليلية (الهاتنايت) والمناظرات والليالي الشعرية والمحاضرات. وبجانب ذلك كانت هناك نشاطات عديدة لتوسيع المدارك - وللاعتناء الذاتي كما ان الطالب عليه ان يقوم بزراعة "انقاية" من القطن تخصص له في مشروع الدويم وكان دخلها يعود للطالب، بعد خصم المصروفات بالحساب المشترك، يتراوح الدخل الصافي بين ٣ و ٥ جنيهات وهو مبلغ جد كبير.

كان عدد المقبولين محدودا ٢٥ للفصل وكانت دفعتنا تضم من أبناء الإدارة

الأهلية هؤلاء:-

(١) مؤلف كتاب تاريخ التربية العربية في السودان من ٣ اجزاء.

المديرية الشمالية:

١. إبراهيم حاج محمد
٢. عبد الله علي جاد الله
٣. حسن محمود
- ابن ناظر الجعليين
- ابن وكيل ناظر الجعليين
- ابن عمدة الخندق

مديرية النيل الأزرق:

١. شلعي إدريس هباني
٢. عبد العظيم قمر الدولة عبد المحمود
- ابن ناظر الحسانية
- ابن ناظر خط طابت

مديرية كردفان:

١. الطيب آدم جيلي
٢. إدريس الزبيق
٣. حماد أبو سدر
- ابن مك نقلي والعباسية
- ابن عمدة نقلي
- ابن عمدة من نقلي

مديرية كسلا :

١. خليل تيمة بكر
- ابن شيخ خط النظارة

وكان بقية التلاميذ من الدويم اذكر منهم احمد عبد القادر كريم الدين، محمود سيد احمد والريح الشيخ وغيرهم. وكان احد دفعتنا من المديرية الشمالية وهو الاستاذ الكبير البروفسير محمد عمر بشير والدكتور صلاح عبد الرحمن علي طه. ومن هذا العدد الذي امتحن لمدرسة أم درمان الثانوية قبل أربعة هم محمد عمر بشير ود. صلاح عبد الرحمن علي طه أخصائي الباطني وإبراهيم حاج محمد وعبد الله علي جاد الله أما البقية فلم يسعفهم الحظ فبدأت بهم مدرسة الدويم الزراعية الثانوية الصغرى (Dueim agricultural Junior Secondary school) كانت الدفعة التي سبقتنا تضم أولاد السير علي التوم، إبراهيم وفضل الله ومجنوب أيوب بيه وغيرهم من الإدارة الأهلية. هذه قصة مدرسة أولاد النظار كما يسمونها.

أما السيد الهادي وكان مؤتلفاً مع الاتحادي الديمقراطي فقال لهم دون تردد وفي حديث قاطع إذا أصروا علي الاقتراح سأفرض الائتلاف ربما كان يعتقد ان الاقتراح مقصود به حزب الأمة وقد كان الأخير يحظى بنصيب الأسد من تأييد زعماء الإدارة الأهلية. وللحقيقة فلم تختزن ذاكرتي أحداثاً ما بعد الاقتراح، لكنه سقط، إلا أنه في عام ١٩٦٦ عينت لجنة برئاسة السيد يحيى عمران حكمدار البوليس سابقاً وقاضي محكمة الأحداث بعد المعاش وعضوية الإداري صلاح قرشي المفتش الإداري برئاسة وزارة الداخلية وآخرين للنظر في موضوع الإدارة الأهلية ولم يَزح السّار عن مداولاتها وقراراتها ولعلها تكون موجودة في دار الوثائق ولعلها كانت لصب ماء بارد علي حماس السيد الشفيع احمد الشيخ، وزير شئون رئاسة الوزراء في ذلك الوقت الذي كان مندفعاً نحو تصفيتها، وكما يقولون ان أردت ان تقتل فكرة كون لها لجنة.

وجاءت ثورة مايو فانقضت عليها بصورة دراماتيكية صفتها تصفية كاملة ويقولون ان وراء القرار الشيوعيون الذين كان لهم نفوذ في أيام الثورة الأولى وتلقف الأمر وبحماس السيد د. جعفر محمد يخيت فنفذه بدون بديل ، رغم حماسه السابق ودفاعه عنها ، عندما كان برئاسة وزارة الداخلية ولكن د. جعفر نفسه يقول لنا إذا كلفك رئيسك بمهمة فليس لك الخيار الا تنفيذها ودون نقاش (ويؤمن بمبدأ الطاعة المطلقة للرئيس وهكذا كان يريد لأعوانه ان يكونوا).

جاء انقلاب هاشم العطا مبشراً بإعادتها وقد ذكرت سببه لذلك في موضع سابق. وأما مايو هي الأخرى راجعت قرارها في ضوء مبادئ " تراجع ولا تتراجع" فأعادتها في بعض المناطق كمناطق الرحل، والمناطق الواقعة علي الحدود وأما الآن فقد سموها بأسماء فضفاضة فالناظر سموه أميراً، ألقاب في غير موضعها فلا هو أمير جيش أو سلطة.

بعد هذا التمهيد أحاول هنا أجيب علي سؤالي الذي طرحته هل من دور بقي للإدارة الأهلية ؟ والإجابة تتطلب مني شرح المواقف والظروف التي طرأت في المحاور السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية في البلد، حيث اخذ النخب

المسلح، وقد كان من أسبابه الفراغ الذي نجم عن تصفية الإدارة الأهلية، بدون بديل، مسلحا متقدما، متسلحا بأحدث الأسلحة مما يجعل من العسير علي الإدارة الأهلية بأسلحتها التقليدية أو بغيرها، ان تمسك بيدها علي زمام الأمور مرة أخرى، وقد خرج من اليد حتى، بالنسبة للحكومة، هذا وبالرغم من نفوذ السلاطين القوي في الجنوب، لم يستطيعوا الوقوف ضد التمرد بأسلحته المتفوقة، وبأسلوب دعايته القوية وسط الأهليين.

وإذا نظرنا للجانب السياسي نجد ان أهل الوعي في ازدياد، لن يقبلوا ان يكون لهم نظام ديمقراطي في القمة، ونظام تقليدي في القاعدة. ففي الأردن نجد الأثر العشائري طاغي ومؤثر في توجيه السياسة عن طريق الانتخابات وليس عن طريق الحكم والإدارة المباشرة كما كان للإدارة عندنا. ومهما يكن فيستمر الزعماء في ان يكون لهم مثل هذا الأثر كما في الأردن، ولكن ان يستعيدوا قوتهم في حفظ الأمن والنظام وبسط العدالة فهذه مسألة فيها نظر بعد كل هذه التطورات والمتغيرات التي حصلت. سبب آخر هو انه من الصعب ان تسييس الإدارة الأهلية وتأتي بها عن طريق الانتخابات كما جاء في قانون الحكم المحلي لعام ١٩٩٨م الذي ضمنوه النظام الأهلي بالانتخاب. فالإداري المنفذ ومن يتولى القضاء عن طريق الانتخاب فان ذلك يفقده عناصره القوية في التنفيذ والإدارة ويفقده حياده ويصبح أداة في يد من انتخبوه وضد من وقفوا ضده فلم تكن الإدارة الأهلية لتأتي بالتصويت بل جاءت بالتشاور والتناصح والتراضي والتوافق بين أهل وهم يتحاورون ويقلبون الأمور حتى يصلوا إلى شخصية تحوز علي رضا وقبول وثقة الجميع فالإداري غير السياسي الذي يأتي عن طريق الانتخاب، وظيفتان مختلفتان، وإن كان الأمر كذلك فلماذا لم نطبق المبدأ علي القضاء وموظفي الخدمة المدنية.

اجتماعيا فقد عمت درجة من الوعي النسبي، عن طريق انتشار التعليم وعن طريق المجالس المحلية وعن طريق الاختلاط والتمازج الذي حدث عن طريق تطور الشبكات الأساسية كالطرق والمواصلات السريعة والاتصالات الداخلية والخارجية، كل

ذلك سهل أكان إيجاد بديل متحرك لها، ولكن بتكاليف باهظة. أما الأمر في الجنوب قد يختلف حيث الارتباط القبلي لا يزال قويا، وهناك تطورات لم تصل للجنوب بعد حيث الولاء القبلي يتغلب على المواطنة.

وفي الجانب الاقتصادي كانت الإدارة الأهلية زهيدة التكاليف، لا يعتمد أهلها على تلك المرتبات المتدنية، بل كانوا يعتمدون على دعم الأهل والعشيرة، أما الآن فأصبح الأمر جد مختلفا فأهلهم هم الفقراء الذين يحتاجون للدعم، النازحون القارون من الجوع والعطش، وهكذا قل الدعم بل انعدم للضغوط الاقتصادية والمرتب مهما بلغ لن يفي بالتزامات الزعيم لأهله وضيوفه.

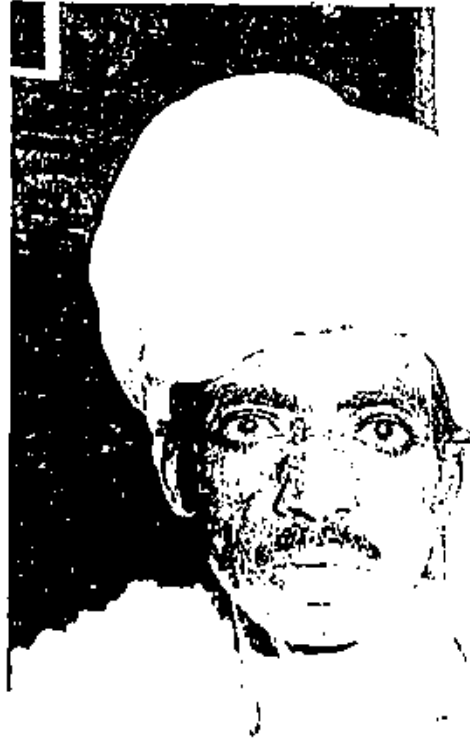
وبعد التصفية المفاجأة والمهينة انصرف أهل الإدارة الأهلية عنها وامتنوا مهناً أخرى وانشغلوا بأعمال خاصة بهم وزهدوا في الإدارة الأهلية وكثير منهم سكن المدن واستقروا فيها وأصبحت لهم ارتباطات لا يمكن الفكك منها.

أن المحليات قد تستطيع أن تجمع الضرائب وتقوم بدرء الكوارث، وتقدم خدمات محدودة أخرى، كانت تقوم بها الإدارة الأهلية ولكننا سنفتقد تلك الحكرات، والاجتماعات القبلية، والمسئولية الجماعية، آليات فعالة في الصلح والتسامح والأهلية والجودية وتصفية وتنقية النفوس، والحفاظ على الأمن، هذه ادوار يقوم بها الزعماء ولن تستطيع المحليات القيام بها.

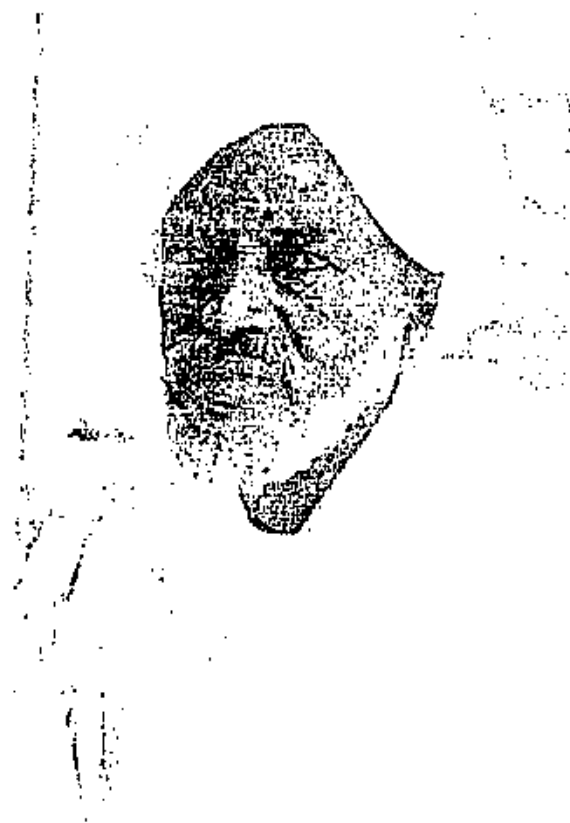
مع تغيير الخريطة الإدارية تغيراً جذرياً إذ يضم السودان ٢٦ ولاية تقابلها ٩ مديريات أو أقاليم في السابق واستحداث ٦٠ محافظة أو تزايد ونج عنها نشأت القبيلة في عدد من المحافظات فمركز شندي القديم أصبح ثلاث محافظات: المتممة - شندي - والداير. وأصبح كل جزء من القبيلة في محافظة. فلا أتصور كيف يعمل ناظر ولاؤهم مقسم بين ثلاثة محافظات ! ان النظام القبلي مبني على تماسك القبيلة فان نشأت انتفت الحكمة في وجوده. ولهذه الأسباب مجتمعة ولأسباب النهب المسلح الذي أعيا الحكومة فلم تتمكن، بكل قواتها النظامية ان تحويه وللمتغيرات السياسية والتطورات الاجتماعية والإدارية التي حصلت كل ذلك جعل من العسير عودة الإدارة الأهلية كأداة

فاعلة مهما أضفينا عليها من ألقاب (أمير) تبقى شكلاً بدون محتوى، ديكور. فانا لا أرى لها دوراً تلعبه بعد الآن وبعد التمزق والشتات وزهد أهلها فيها وقد تبقى فاعلة في الجنوب إلى أجل طويل ولكن القبيلة والعشائرية ستظل مؤثرة على الانتخابات وتوازن القوى في كثير من أنحاء السودان.

وفي الختام، هذا حديث من الذاكرة، والذاكرة قد تخون. جئت فيه في جوانب عدة من جوانب الإدارة الأهلية، أحببت فيه على بعض تساؤلات الكثيرين وعلى جوانب ربما كانت خافية على البعض، فإن أصبت فهذا ما أبغيه، وإن أخطأت، وهذا وارد، فليصححني من هو أعرف مني، وهم أكثر. وما توفيقي إلا بالله.



الناظر / صديق محمد طلحة



الناظر / محمود موسى ماديو

الملحق الأول

بعض زعماء العشائر المعاصرون

على سبيل المثال

المديرية الشمالية

مركز شندی :

١. الناظر الحاج محمد إبراهيم فرح
 ٢. الشيخ علي جاد الله
 ٣. الشيخ إبراهيم حاج محمد إبراهيم فرح
 ٤. طيفور محمد شريف
- مركز بربر :

- رئيس الإدارة الأهلية بربر
١. الشيخ ايوبية (اللوبى) عبد الماجد
- مركز مروى :

- رئيس قسم الشايقية
- رئيس محكمة قسم مروى
١. الشيخ محمد طه سورج
 ٢. البمباشى (م) احمد بك إدريس
- مركز دنقلا :

- رئيس قسم دنقلا
- عمدة الخندق
١. الشيخ الزبير حمد الملك
 ٢. الشيخ حسن محمود
- مركز حلفا :

- عمدة حلفا
- شيخ خط ود رملى
١. الشيخ شريف داود
 ٢. الشيخ عباس فقيرى

مديرية الخرطوم

مركز الخرطوم الضواحي :

١. الشيخ محمد صديق طلحة

٢. الشيخ سرور محمد رملي

شيخ خط البطاحين

شيخ خط السافل

مركز أم درمان :

١. الملك محمد نلصر

ناظر الجموعية

مديرية كسلا

مركز القصارف :

١. الشيخ عبد الله بكر

٢. الشيخ حمد أبو سن

ناظر دار بكر

ناظر الشكرية (القصارف)

مركز كسلا :

١. الشيخ جعفر على شيكلای

٢. إبراهيم محمد عثمان دقل

ناظر الحلقة

ناظر البني عامر

مركز أروما :

١. الشيخ محمد محمد الأمين ترك (الابن) ناظر الهندوة (خلف والد)

معمدية البحر الأحمر :

١. الشيخ محمود كرار

شيخ خط الامرار والبشارين

مديرية النيل الأزرق :

مركز بحري الجزيرة (الحصاحيصا) :

١. الشيخ عوض الكريم أبو سن

٢. الشيخ محمد احمد بوسن

٣. عبدا لله احمد أبوسن

ناظر الشكرية (رفاعة والقصارف)

ناظر الشكرية (رفاعة)

وكيل ناظر الشكرية (أخ الناظر)

مديرية الخرطوم

مركز الخرطوم الضواحي :

شيخ خط البطاحين

١. الشيخ محمد صديق طلحة

شيخ خط السافل

٢. الشيخ سرور محمد رملي

مركز أم درمان :

ناظر الجمعية

١. الملك محمد نلصر

مديرية كسلا

مركز القصارف :

ناظر دار بكر

١. الشيخ عبد الله بكر

ناظر الشكرية (القصارف)

٢. الشيخ حمد أبو سن

مركز كسلا :

ناظر الحلقة

١. الشيخ جعفر على شيكلای

ناظر النبي عامر

٢. إبراهيم محمد عثمان دقل

مركز أروما :

ناظر الهدندوة (خلف والد)

١. الشيخ محمد محمد الامين ترك (الابن)

معمدية البحر الأحمر :

شيخ خط الامرار والبشارين

١. الشيخ محمود كرار

مديرية النيل الأزرق :

مركز بحري الجزيرة (الحصاحيصا) :

ناظر الشكرية (رفاعة والقصارف)

١. الشيخ عوض الكريم أبو سن

ناظر الشكرية (رفاعة)

٢. الشيخ محمد احمد بوسن

وكيل ناظر الشكرية (أخ الناظر)

٣. عبدا لله احمد أبوسن

٤. الشيخ احمد محمد احمد أبوسن
٥. الشيخ إمام دفع الله
٦. الشيخ محمد مساعد
٧. الشيخ حمد النعيم
٨. الشيخ عبد الله محمد احمد أبوسن
- ناظر الشكرية (رفاعة)
- ناظر الحلاويين
- رئيس محكمة الشنابلة
- شيخ خط الكاملين
- ناظر الشكرية (رفاعة)

مركز سنار :

١. الشيخ قسم السيد عبدا لله النور
٢. الشيخ يعقوب
٣. الشيخ عثمان على
٤. السلطان محمد طاهر مارينو
- ناظر الكواھلية
- شيخ حط سنار
- سلطان مارينو

مركز سنجة:

١. الشيخ يوسف العجب
٢. الملك حسن عدلان
٣. الشيخ أحمد يوسف أبو روف
- ناظر رفاعة الشرق
- رئيس محكمة قسم سنجة
- رئيس محكمة رفاعة الهوي

مركز الدويم:

١. الشيخ إدريس هباني
٢. الشيخ عبد القادر هباني
٣. الشيخ يوسف هباني
- ناظر الهبانية
- ناظر الهبانية
- وكيل الناظر

مركز كوستي:

١. الشيخ محمد المكي عساكر
- ناظر الجمع

مديرية كردفان:

مركز أم روابة:

١. هارون أحمد عمر
 ٢. الطيب هارون أحمد عمر
- ناظر الجوامعة
ناظر الجوامعة

مركز الأبيض:

١. الشيخ ميرغني حسين زكي الدين
- رئيس إدارة المديرية

مركز رشاد:

١. الشيخ الطيب آدم جيلي
 ٢. إدريس الزبيق
- ناظر ثقلي
وكيل ناظر

مركز يارا:

١. الشيخ على التوم
 ٢. الشيخ عبد الله جاد الله بيليو
 ٣. الشيخ جمعة سهل
- ناظر الكبابيش
ناظر الكواهلة
ناظر المجانين

مركز النهود:

١. الشيخ منعم منصور
 ٢. الشيخ بابو نمر
- ناظر حمر
ناظر الميزانية

مركز الجبال:

١. الملك الأمين عيسى
- ملك النوبة

مديرية دارفور:

مركز (نيالا) جنوب دارفور:

١. الناظر إبراهيم موسى مادبو
 ٢. الناظر محمود موسى مادبو
 ٣. المقدم عبد الرحمن آدم رجال
- ناظر الرزيقات
ناظر الرزيقات (أخ الناظر إبراهيم وخلفه)
مقدم الفور

ناظر الفلاحة

ناظر الهبانية

ناظر بنى هلبة

ناظر التعايشة

٤. الناظر عيسى السمانى

٥. الناظر على الغالى تاج الدين

٦. الناظر عيسى إبراهيم دبكة

٧. الناظر على السنوسى

مركز زالنجى :

شرتاى الفور

١. الشرتاى عبد الحميد

مركز دار المساليت :

سلطان المساليت

١. السلطان محمد بحر الدين

سلطان المساليت

٢. السلطان عبد الرحمن محمد بحر الدين

مركز كتم :

رئيس محكمة الفاشر

١. الملك رحمة الله محمود

نائب محكمة الفاشر

٢. الشيخ على ادريس القاضى

المديرية الاستوائية:

مركز جوبا :

سلطان الباريا

١. السلطان اندرية قورى

سلطان اكورو

٢. السلطان مانجيو اكوانج

مركز مريدى :

سلطان المورو

١. السلطان جامبو

مركز الزاندى :

سلطان يامبيو

١. السلطان يامبيو

سلطان طمبرا الزاندى

٢. السلطان جميز طمبرا

سلطان موبوى

٣. السلطان سورو موبوى

مديرية أعالي النيل

١. الملك الوال دينق
 ٢. الملك كورفا فيتي
 ٣. السلطان رياك ياك
 ٤. السلطان اقدا
 ٥. السلطان دب الشك
 ٦. السلطان الير
- رث الشك
رث الشك
سلطان (النوير)
سلطان الانواك
سلطان النوير
سلطان الدينكا بور

مديرية بحر الغزال

١. السلطان بشير ريحان
 ٢. السلطان عبد الرحمن سمويت
 ٣. السلطان موني ماكوي
 ٤. السلطان بنجامين لانفجول
 ٥. السلطان مانديو اكوانج
- زعيم الدينكا
الدينكا
دينكا رمبيك
سلطان قوقريال
سلطان دينكا

الملحق الثاني

زعماء العشائر الذين نالوا تعليمًا ثانويًا أو عاليًا

١. الشيخ الزبير حمد الملك كلية غردون التذكارية رئيس إدارة دنقلا
٢. الناظر محمد احمد أبوسن كلية كتشنر الطبية ناظر الشكرية (رفاعة)
٣. الشيخ عبد الله أبوسن (أخ الناظر) كلية الزراعة وكيل ناظر الشكرية
٤. الشيخ سرور محمد رملي كلية غردون التذكارية شيخ خط السافل
٥. الشيخ إبراهيم حاج محمد كلية الحقوق القاهرة ناظر الجعلين
٦. الشيخ حسن محمود ثانوي الدويم عمدة الخندق
٧. الناظر محمد محمد الأمين ترك جامعي (انجلترا) ناظر الهندوة
٨. الناظر عبد الله بكر المدرسة الحربية ناظر داربكر
٩. الملك الطيب ادم جيلي ثانوي الدويم ناظر تقلى
١٠. الشيخ طيفور محمد شريف كلية غردون التذكارية شيخ خط العالاب
١١. الشيخ يوسف المك حسن عدلان المدرسة الحربية رئيس محكمة الرصيرص
١٢. شيخ موسى إبراهيم موسى مادبو ثانوي ناظر الرزيقات
١٣. الشيخ إدريس الزنبق ثانوي (الدويم) عمدة تقلى
١٤. الشيخ فضل الله على التوم ثانوي الكبابيش
١٥. الشيخ إبراهيم على التوم ثانوي الكبابيش
١٦. صمويل أبو جون الكلية الحربية الزاندى
١٧. السلطان جيمز طمبرا ثانوي سلطان طمبرا الزاندى
١٨. الشيخ مبارك على جاد الله ثانوي شيخ خط ود حامد شندى
١٩. عبد لقادر منعم منصور جامعي ناظر حمر
٢٠. الشيخ احمد محمد احمد أبوسن كلية الزراعة جامعة الخرطوم ناظر الشكرية
٢١. عبد الله محمد احمد أبوسن كلية الزراعة جامعي ناظر الشكرية
٢٢. الجيلانى عمر التاي ثانوي شيخ خط الهلالية
٢٣. الشيخ مصطفى عبد الله بكر ثانوي وكيل ناظر داربكر

الرزقات	جامعي	الشيخ سعد محمد ماديو	٢٤.
الجموعية (الفتح)	ثانوي	الشيخ دفع الله محمد ناصر	٢٥.
الرزقات	ثانوي	الشيخ عيسى محمود موسى ماديو	٢٦.
دار بكر	ثانوي	الشيخ خليل تيمة	٢٧.
حجر العسل	ثانوي	الشيخ محمد عوض بليو	٢٨.
الهائية	الكلية الحربية	الناظر صلاح على الغالي	٢٩.
ناظر الهدندوة	جامعي	الشيخ احمد الأمين ترك	٣٠.
الهدندوة	جامعي	الأمين محمد ترك	٣١.
ناظر البني عامر	ثانوي	الناظر على ابراهيم دقائل	٣٢.
سلطان ديكو زاندي	ثانوي	السلطان جميز ديكو	٣٣.

وهناك غيرهم كثر لم استطع حصرهم وهذا على سبيل المثال .

الملحق الثالث

زعماء العشائر والمؤسسات الدستورية المنتدبة

أولاً:

زعماء العشائر فدى المجلس الاستشاري ١٩٤٣ م

١. الناظر بابو نمر ناظر المسيرية
٢. الشيخ الزبير حمد الملك رئيس القسم بد نقلا
٣. الناظر محمد احمد أبوسن ناظر الشكرية ورفاعة
٤. الشيخ عبد الله بكر ناظر دار بكر
٥. سرور محمد رملي شيخ خط السافل

ثانياً:

مؤتمر إدارة السودان ١٩٤٦ م

١. الناظر بابو نمر ناظر المسيرية
٢. الشيخ الزبير حمد الملك رئيس القسم بد نقلا
٣. الناظر محمد احمد أبوسن ناظر الشكرية ورفاعة
٤. الشيخ عبد الله بكر ناظر دار بكر
٥. سرور محمد رملي شيخ خط ود السافل

الملحق الثالث

زعماء العشائر والمؤسسات الدستورية المتتالية

أولاً:

زعماء العشائر فدى المجلس الاستشاري ١٩٤٣ م

١. الناظر يا بو نمر ناظر المسيرية
٢. الشيخ الزبير حمد الملك رئيس القسم بد نقلا
٣. الناظر محمد احمد أبوسن ناظر الشكرية ورفاعة
٤. الشيخ عبد الله بكر ناظر دار بكر
٥. سرور محمد رملي شيخ خط السافل

ثانياً:

مؤتمر إدارة السودان ١٩٤٦ م

١. الناظر بابو نمر ناظر المسيرية
٢. الشيخ الزبير حمد الملك رئيس القسم بد نقلا
٣. الناظر محمد احمد أبوسن ناظر الشكرية ورفاعة
٤. الشيخ عبد الله بكر ناظر دار بكر
٥. سرور محمد رملي شيخ خط ود السافل

ثالثاً:

مؤتمر جوبا ١٩٤٧ م

١. اندريا قورى
٢. السلطان جابو
٣. السلطان جيمز طمبرا
٤. الشيخ سرور محمد رملى
٥. الناظر محمد أحمد ابو سن

رابعاً

فى المجلس التنفيذى برئاسة الحاكم العام

الناظر محمد احمد أبوسن ناظر الشكرية وزير دولة بدون أعضاء

خامساً

زعماء العشائر بالجمعية التشريعية ١٩٤٨ م

١. الشيخ الزبير عبيد احمد
 ٢. الشيخ حمد الملك
 ٣. الشيخ محمد طه سورج
 ٤. الشيخ عبد الله أيوبية عبد الماجد
 ٥. الناظر الحاج محمد إبراهيم فرح
 ٦. الشيخ سرور محمد رملى
 ٧. الملك محمد ناصر
- رئيس محكمة
 - رئيس القسم بد نقلا
 - رئيس قسم الشايفية
 - عمدة بربر
 - ناظر الجعليين
 - شيخ خط السافل
 - شيخ خط الجمعية

٨. الناظر محمد احمد ابو سن
٩. الشيخ محمد مساعد
١٠. الناظر إمام محمد دفع الله
١١. الشيخ قسم السيد عبد الله عبد النور
١٢. الشيخ عثمان على
١٣. الشيخ احمد عبد القادر محمد
١٤. الناظر يوسف العجب
١٥. المك حسن عدلان
١٦. الشيخ محمد عبد القادر هباني
١٧. الشيخ يوسف ادريس هباني
١٨. الشيخ احمد مصطفى اونور
١٩. الناظر جعفر على شكيلاي
٢٠. الناظر محمد محمد الامين ترك
٢١. الشيخ محمود كرار
٢٢. الشيخ احمد حمد ابو سن
٢٣. الناظر عبد الله بكر
٢٤. الناظر محمد تمساح سيماوى
٢٥. الشيخ صالح فضل الله
٢٦. الناظر ملعم منصور
- ناظر الشكرية (رفاعة)
- رئيس محكمة الشنابلة
- ناظر الحلاوين
- شيخ خط الكواهلة
- شيخ خط سنا ر
- رئيس محكمة المناقل
- ناظر رفاعة الشرق
- رئيس محكمة سنجة
- رئيس محكمة الهبانية
- رئيس محكمة الحسانية
- محكمة طوكر
- ناظر الحلايقة
- ناظر الهدندوة
- شيخ خط البشاريين
- وكيل ناظر الشكرية
- ناظر دار بكر
- ناظر دار حامد
- مساعد ناظر الكبابيش
- ناظر حمر

ناظر المسيرية	٢٧. الناظر بابو عثمان نمر
مك النوبة	٢٨. الأمين عيسى
ناظر تقلى	٢٩. الناظر الطيب ادم جيلى
وكيل ناظر الجوامعة	٣٠. الشيخ سيد على مطر
وكيل ناظر	٣١. الشيخ عيسى حسين زاكى الدين
رئيس محكمة	٣٢. الشيخ ابراهيم ضو البيت
رئيس محكمة الفاشر	٣٣. الملك رحمة محمود
ناظر الرزيقات	٣٤. الناظر ابراهيم موسى مادبو
رئيس محكمة	٣٥. الشيخ عبد الحميد ابكر ابراهيم
سلطان المساليت	٣٦. السلطان (ابو) عبد الرحمن بحر الدين
سلطان الجاريا	٣٧. السلطان اندرية قورى
سلطان الدينكا	٣٨. السلطان بشير ربحان
رئيس محكمة	٣٩. الشيخ حمد هاشم دفع الله
شيخ ديم الخرطوم	٤٠. الشيخ محمد محمد نور أبو الكل

سادسا

برلمان ١٩٥٣ م

بنى هلبة	١. عبد الرحمن محمد ابراهيم دبكة
ناظر الشكرية (رفاعة)	٢. محمد أحمد أبوسن
ناظر رفاعة الشرق	٣. يوسف العجب
ناظر الحلاويين	٤. إمام دفع الله محمد
شيخ خط العلياب	٥. طيفور محمد شريف
عمدة	٦. حماد أبو سدر
شيخ خط المنمة	٧. مجذوب ابراهيم فرح

٨. ميرغنى حسين زاكى الدين
٩. فضل الله على التوم
١٠. إدريس الزبيق
١١. عبد الله بكر مصطفى
١٢. محمد حمد أبو سن
١٣. الملك رحمة الله محمود
١٤. بانقا محمد توم
١٥. إبراهيم هبانى
١٦. مشاور جمعة سهل
- رئيس محكمة البديرية
- وكيل الكبايش
- عمدة
- ناظر دار بكر
- إدارة أهلية
- رئيس محكمة الفاشر
- إدارة أهلية
- إدارة أهلية
- إدارة أهلية

سابعاً

برلمان ١٩٥٨ م

١. بشرى إدريس هبانى
٢. يوسف إدريس هبانى
٣. إمام دفع الله
٤. الجيلانى عمر التاى
٥. محمد احمد انو سن
٦. يوسف العجب
٧. مالك يوسف ابروف
٨. يوسف عبد الحميد إبراهيم
٩. موسى إبراهيم مادبو
١٠. عبد الحميد موسى مادبو

١١. عبد الرحمن محمد دبكة
١٢. احمد حسيب عمر
١٣. محمد الامين محمد ترك
١٤. حامد كزار احمد
١٥. احمد عوض الكريم ابو سن
١٦. عبد الله بكر مصطفى
١٧. مصطفى عبد الله بكر
١٨. سرور محمد رملي
١٩. محمد صديق طلحة
٢٠. حماد ابو سدر
٢١. قسم الله فضل الله الاعيسر
٢٢. إدريس الزبيق جيلي
٢٣. على نمر الجلة
٢٤. الزبير حمد المك
٢٥. طيفور محمد شريف
٢٦. الشيخ المجنوب ابراهيم قرح
٢٧. صمويل رانزي

ثامنا

المجلس المركزي ١٩٦١ م

١. حسن تاج الدين
٢. احمد مصطفى زاكى الدين
٣. أرباب احمد شطة
٤. سعد محمود مادبو
٥. على مهدى سبيل
٦. يوسف العجب
٧. يوسف إدريس هياتى
٨. إبراهيم على التوم
٩. احمد عوض الكريم أبو سن
١٠. الطيب ادم الجبلى
١١. طيفور محمد شريف
١٢. على القاضي إدريس
١٣. شاور جمعة سهل
١٤. ماربو ديكو

تاسعا

برلمان ١٩٦٥ م

١. الأمين محمد ترك
٢. الهادي عيسى ديكة
٣. احمد عبد الله جاد الله
٤. قسم الله الاعيسر

٥. جامع على التوم
٦. آدم عبد الرحمن رجال
٧. يوسف احمد عوض الكريم أبوسن
٨. موسى إبراهيم موسى مادبو
٩. ابراهيم ادريس هباني
١٠. الحسن محمد طلحة
١١. ميرغنى حسين الزاكي
١٢. سعد محمود مادبو
١٣. يوسف العجب
١٤. سيف الدين بحر الدين
١٥. صالح على نورة
١٦. محمد على الامين نور ترك
١٧. حماد أبو سدر
١٨. جعفر على دينار
١٩. عبد الإله إبراهيم أبوسن

عاشرا

برلمان ١٩٦٨ م

١. إبراهيم على التوم
٢. جامع على التوم
٣. محمد صديق طلحة
٤. محمد احمد الحارثو
٥. احمد محمد أبوسن
٦. الطيب ادم الجبلى

٧. علي عمر الاعيسر
٨. تيرة ادريس هبالي
٩. ميرغني حسن زاكى الدين
١٠. يوسف العجب
١١. مهدي حمد المك
١٢. جوزيف جميز طمبرا

الحادي عشر

مجلس الشعب القومي الأول ١٩٧٤ م

١. الحاج علي صالح حبيب الله
٢. مبارك علي جاد الله
٣. بابكر. عبد الله بكر
٤. احمد عوض الكريم ابو سن
٥. علي سالم علي التوم
٦. عبد القادر منعم منصور
٧. الطيب هارون احمد عمر
٨. علي عبد الله أبو سن
٩. محمد المنصور العجب

الثاني عشر
مجلس الشعب الثاني

١. محمد صديق طلحة
٢. علي عبد الله أبو سن
٣. الطيب هارون
٤. حسن تاج الدين
٥. بابكر عبد الله بكر
٦. احمد عوض الكريم أبو سن
٧. طيفور محمد شريف
٨. الطوني بكيري طمبرة
٩. حسين أيوب علي دينار

الثالث عشر
مجلس الشعب الثالث

١. المهدي يوسف جميل
٢. الحاج علي صالح جيب الدين
٣. مبارك علي جاد الله
٤. يوسف المك عدلان
٥. محمد منصور العجب
٦. دفع الله محمد ناصر
٧. محمد صديق طلحة
٨. عبد الله حمد الزبير

٩. عيسى محمود موسى مادبو
١٠. على الغالي تاج الدين
١١. محمد محمد الأمين ترك
١٢. عوض الكريم محمد احمد أبو سن
١٣. عبد القادر منعم منصور
١٤. ميرغنى حسين الزاكي
١٥. إبراهيم على الثوم
١٦. جامع التوم
١٧. النيل جمعة سهل
١٨. احمد إبراهيم أبوسن

الرابع عشر

مجلس الشعب الرابع

١. على عبد الله أبو سن
٢. الحاج على صالح حبيب الله
٣. طيفور محمد شريف
٤. إبراهيم إدريس هباني
٥. هباني يوسف هباني
٦. يوسف الملك حسن عدلان
٧. محمد منصور العجب
٨. سرور محمد رملي
٩. محمد صديق طلحة

١٠. عيسى محمود موسى مادبو
١١. سبيل ادم يعقوب
١٢. محمد محمد الأمين ترك
١٣. حسين أيوب على دينار
١٤. عبد القادر منعم منصور
١٥. ميرغنى حسين الزاكي
١٦. إبراهيم على التوم
١٧. جامع على التوم
١٨. انطونى باكبرى طمبرة
١٩. بزكس زقومييا

الخامس عشر

مجلس الشعب الخامس

١. الطيب هارون احمد عمر
٢. جامع على التوم
٣. حسين أيوب على دينار
٤. فليب تونا جامبى
٥. معاوية إبراهيم هباني
٦. محمد المنصور العجب
٧. محمد الأمين ترك
٨. محمد صديق طلحة
٩. هباني يوسف هباني

السادس عشر

برلمان ١٩٨٦ م

١. الشيخ هارون احمد عمر
٢. الشيخ محمد صديق طلحة
٣. عمر إدريس هباني
٤. معاوية إبراهيم هباني
٥. احمد محمد أبو سن
٦. منصور يوسف العجب
٧. طارق عبد الرحمن محمد الدين
٨. حسن يعقوب الملك
٩. محمد علي التوم
١٠. الطيب ادم جيلي
١١. سبانا جامبو تورو
١٢. محمد علي الزبير حمد الملك

الملحق الرابع

معرض الرزيقات القبلي

(المشهور بمعرض سيدو)

مركز جنوب دافور نيالا

المعارض القبلية مناسبة كبيرة وعظيمة، تتطوي على أهداف عديدة، منها الإدارية التي تتيح الفرصة ليجتمع عبرها الإداريون برئاسة المديرية ورئاسة المركز من جانب، وبالنظر والعمد والمشايخ وأفراد القبيلة وأعيانها من جانب آخر ولإظهار وجود السلطة الحاكمة، الفعالة، فضلاً عن ذلك فهي فرصة للالتقاء بزعماء العشائر المجاورين من مديريات أخرى، وبالمفتشين في المراكز المجاورة، الذين لهم مصالح ومشاكل مشتركة مع المركز الذي يقام به المعرض وتكون حينئذ الفرصة سانحة لحل المشاكل الإدارية، بين القبائل الرئيسية والقبائل المنضوية تحت لوائها، كمشكلة الرزيقات مع المعالية أو مع القبائل المجاورة لها، كمشكلة تداخل المراعي والصيد وغيرها، وهنا تلعب الجودة دوراً كبيراً، هذا وإنها مناسبة اجتماعية عظيمة إذ يلتقي أفراد القبيلة فيجددون الشوق وحلاوة اللقاء ويطرحون همومهم مع بعضهم البعض، بعد غياب فيلتئم شمل خشوم البيوت، ومع نخبة من القبائل الأخرى فيتم التعارف وتنمو الصداقات في جو يملأه الدفء وصفاء النفوس، ويعمه الفرح والطرب، وهم يمرحون ويتسامرون ويغنون ويرقصون، يطرحون ذكرياتهم، ويروون القصص والنوادر، وقد تعقد صفقات واتفاقات للصيد الجماعي وربما تتم مصاهرات.

هي أيضاً مناسبة اقتصادية يأتي الأفراد بمنتجاتهم، من سمن وعسل وشن فيل وريش نعام، وسمك مجفف يكون قد حصلوا عليه من بحر العرب، يبيعونها في أسواق حول المعرض ويحصلون على الضروريات، من تجار وفدوا إليهم من أبو مطارق والضعين ونيالا والفاشر.

يتم أثناء المعرض، الذي من أهم زواره بالنسبة للبقارة باشمفتش البيطري وأعوانه. وباشمفتش طب المديرية ورهط من الأطباء وما يصحبهم من

شفخانات بشرية وحيوانية فيتم فحص الأمراض المستعصية بالنسبة للإنسان ، ويتم مسح أمراض الماشية وعلاجها وتطعيمها ، ويبقى هؤلاء المسؤولين إلى ما بعد إنهاء المعرض لإتمام مهامهم ، هذه باختصار أهداف المعرض الرئيسية.

في هذا الوقت يكون عرب الرزاقات قد رجعوا من رحلتهم شمالا ، من أطراف نيالا ، وقد باعوا ما عندهم من ثيران وغيرها من أشياء مر ذكرها وقد ابتاعوا ما يشاءوا من كماليات وفي أثناء ذلك يكونوا قد التقوا بأهلهم في مدينة نيالا وتبادلوا معهم الزيارات ، وتلقوا العلاج بالمستشفى ، وهم في غمرة ذلك لا يفوتهم أن يعطروا جو المدينة بالأغاني وحلقات الرقص التي يؤمها الجميع من تجار وموظفين، كما يتمتعون هم بجو المدينة وما تتيحه من ترفية ، كمشاهدة كرة القدم ويعشون المطاعم والمقاهي التي تفتقدها حياة البادية.

الإعداد للمعرض:

يقوم مناديب الناظر بنشر خبر المعرض والتاريخ المحدد له، وينقلون تعليمات الناظر للعمد والمشايخ، كما يخطرונهم بمن سيحضرون من كبار الزوار، ليكون الإعداد على المستوى الرفيع وفي هذا الأثناء يمنع العرب من النزوح جنوبا، نحو بحر العرب، حتى نهاية مراسم المعرض، ومن ثم يبدأ المواطنون بتهيئة أنفسهم لهذه المناسبة الكبيرة، فيعدون الخيول والهوارج التي تحملها الثيران ويزينون الحراب وباختصار يعدون كل ما يكسب المعرض رونقا وبهاء وفتازية وبهرجا .

من جانب آخر يطلب منهم بناء (الرواكيب) على طريقة النفير، وتتكون هذه المنشآت المرتبة بنظام دقيق وحسب مستويات الضيف - منزلة مدير المديرية وهي عبارة عن راكوبة للنوم، وأخرى كبيرة تمثل الصالون، لاستقبال المدير واجتماعاته، وثالثة بكراسي وطرابيز، ومفروشة بما يصنعه الرزاقات من سجاد (شملة) من وبر البهائم، حول منزل المدير وعلى أطرافه رواكيب اقل شأنًا لبقية الزوار ومن بين كبار

هؤلاء الزوار فضلاً عما ذكرنا سابقاً، باشمفتش تعليم المديرية وقمندان البوليس وقائد فرقة العرب الغربية، التابعة لقوة دفاع السودان .

تتجمع الرزيقات وفرسانها حول خفير سبدو، الضخم ذي الشهرة الواسعة، ومن ثم تجرى التمرينات (Rehearsal) على المسيرية ويعرف كل عمدة وشيخ مكانه المحدد حسب وضع خشوم البيوت .

وفي هذا الوقت يكون قد وصل (بلك) من قوة السوارى بنيالا ويعسكر على مسافة من مكان المعرض، ويقوم باستعراضات (Show Of Force) ومن ثم يستعد للانضمام لموكب المدير بقوة رمزية، ولإقامة الألعاب النارية التي تضيء سماء المعرض، كما تبدأ السينما المتجولة عروضها اليومية التي يتلفه المواطنون لمشاهدتها وتعد الهدايا من المصنوعات اليدوية، من السعف وريش النعام وجلود الحيوانات البرية . كما توزع صفائح العسل والسمن على رواكيب الزوار، وهناك حفنة من الطباخين، الذين حضروا لإعداد الطعام وتقديمه في أوقات معينة .

يصل مفتش المركز وأعوانه قيل يومين أو أكثر ليكون في استقبال المدير والضيوف ، عند حضورهم، عشية المعرض .

ساحة المعرض أعدت وخططت بنظام دقيق حيث يعرف كل عمدة موقعة ولا يتعدى الخط المرسوم، بداخل ساحة المعرض، وهناك منصة أعدت لاستعراض الفرسان . يصنطف فرسان القبيلة على ظهور خيولهم، في الحل المزركش تسجها أو جلايب بيضاء ناصعة البياض (جناح ام جكو) وتعلو رؤوسهم عمانم ملفوفة بإحكام تتوسطها الطاقية الأنصارية، رافعين حراهم (الشلكية) تتعالى أصواتهم بأهازيج الفروسية وعبارات الترحيب، مع أغاني الحكامات والهداي، يتخلل ذلك الزغاريد وصوت النقارة، وهنا وهناك وسط الصفوف الثيران والجمال المحفلة وعلى ظهورها الهودج المزخرفة والمزينة بألوان زاهية براقه ، تسر الناظرين تحمل حوراً عينا

محين يتأهب وانفضة تلالا كنجوم السماء في الليلة الظلماء، ويرتدين ثيابا من
حرير مختلفة ألوانه، وينتظرون في خفر وخجل، فيسحرون الناظرين بجمالين
وعنظرهم الخلاب .

بداية الحفل :

يكون الحفل قد اكتمل جمعة يتوسطه الناظر إبراهيم موسى، على جواد
بيض مرتكيا كسوة الشرف الممتازة والمذهبة، يتدلى من كتفه سيف مذهب، ومن
حوله وكيله وأعرافه ، في كسوة شرف تختلف زركشتيا وألوانيا حسب درجتيا .

يأتي بعد ذلك موكب المدير الذي يرتدي بدلة تشريفية (Tunic) من قماش
تجريدتين مزينة بشرائط ذهبية عريضة على كفي البدلة وقمصان ابيض وربطة عنق
سوداء وحزام حول الكتف والجنب وقبعة عالية (Top hat) ومن حولها شريط
ذهبي عريض وينطلقون ركوب الخيل وجزمة طويلة عليا همار لييش به الحصان إذ
تلك الحصان، الحصان اختير بعناية حتى لا يجنح فيفسد إجلال الموقف. يتقدم الموكب
حامل العلمين البريطاني والمصري، ومن حول المدير مفتشو المراكز في لبس
تشريفية وتتبع الموكب ثلة من فرسان سوارى نيالا، بقيادة ضابط تتبعهم موسيقى
أحزاب ، فيتجهون صوب الناظر لتحيته ومن ثم ينضم هو إلى الموكب، وهكذا
يطوفون على صفوف الفرسان بين التهافتات الداوية ترحيبا بالضيوف وبحياة ناظرهم،
وبعد هذا الطواف المثير والحماسي الذي يترك في نفوسهم أثرا عميقا وبالغا مقرونا
بنتيجة السرور والنشوة والارتياح التام فقد أبدوا شعورهم وولاءهم لناظرهم الكبير
تذي يظهر عليه الزهو والافتخار فقد اظهر مكانته بين قبيلته التي يعتز بها، وأبدوا
ترحيبهم الكامل بالضيوف بما يليق بهم .

يرجع موكب المدير للمكان الذي اعد للجلوس فيه مع كبار الزوار، عن يمينه
تناظر وعن شماله مفتش المركز، ويجلس بقية الضيوف حسب البرتوكول الموضوع

ومن ثم يقف الناظر وبإشارة منه معلومة لقواد المسيرة يتحرك طابور فرسان الرزيقات في تشكيلات يتقدم كل عمدة خشم بيته، ويمضي طابور الفرسان في مسيرته أمام المنصة فيقف المدير والناظر ومفتش المركز لتحيتهم، بين إعجاب الجميع بهذه المسيرة الضخمة ونظامها المحكم وتصحب المسيرة موسيقى فرقة العرب الشرقية، تختلط بها دقات البقارة زغاريد النساء وصيحات الفرسان المدوية وينتهي العرض بألعاب الفروسية من فرسان حامية نيالا ثم يعزف السلام العظيم وينفض الجمع .

يرجع الضيوف إلى منازلهم لنيل قسط من الراحة والاستجمام . ومن ثم يعكف المدير وأعوانه على سماع المشاكل الكبيرة المعدة لعرضها عليهم ويبتئون فيها بحضور جميع الأطراف المعنية. وفي المساء يجلس الجميع حول نار المعسكر التي يضيء نورها كل الساحة وتبدأ حلقات الرقص تتخللها فقرات من الموسيقى وعروض السينما المتجولة والألعاب النارية .

في اليوم التالي يغادر المدير تاركين بقية الأمور ليبت فيها المفتش والناظر وتستمر اجتماعاتهم لحين الانتهاء منها ليتم النظر فيها بهدوء وصبر فيقول كل طرف ما يريد أن يقوله ويقضي فيها حسب الأعراف إما بالتعويض أو الدية أو الصلح فتزول الرواسب ويعود الصفا والود والوئام فينصرف الجميع في رضاء تام فلا غالب ولا مغلوب .

ويستمر الرزيقات في إحياء ليالي أعيادهم بالبهجة والروح المرححة التي بدأت بها كما يستمر المسئولون من البيطرة في مسح إمراض الماشية وتطعيمها ويستمر الأطباء في فحص وعلاج المواطنين .

الملحق الخامس

تنصيب رث الشلك (مك الشلك)

يتمتع الرث بنفوذ وسلطات دينية وإدارية واسعة فهو شخصية مقدسة بين أهله الشلك ويعود هذا النفوذ لسببين:

الأول:

انه روح مقدسة يستمدّها من نيكانق، ونيكانق هو الصلة بين الرب والناس وتتمثل روح نيكانق هذه في الرث .

الثاني :

يمتلك الرث ثروة طائلة من الأبقار وعدد من كبير من العبيد (يمثلون حرسه) إلا انه في عهد الحكم الثنائي حرم من اقتناء تلك الثروة الكبيرة من الأبقار والعبيد الذين يعتبرون الحرس التقليدي الخاص للرث ومع هذا فعند مجيء محافظا لمديرية أعالي النيل الكبرى عام ١٩٦٦ م وجدت إن معه حرساً خاصاً يشون معه ويتولون حراسته أينما ذهب حتى في منزل المحافظ ، تراهم يحيطون بالمنزل حتى خروجه منه خوفا من الاغتيال من المنافسين الذين يتطلعون لمنصبه من العوائل الثلاثة التي ترث هذا المنصب دوريا .

الرث يرأس المحكمة الرئيسية أو المركزية وبذلك بنظر الاستئناف ضد أحكام المحاكم الفرعية التي يبلغ عددها اثنتي عشر محكمة .

الرث هو ممثل الحكومة والناطق الرسمي باسمها بجانب مكانته المحترمة المقدسة بين الشلك كما بينا .

وعندما يموت الرث (والرث لا يموت موته طبيعية Natural Death) فعندما يكون في سكرات الموت يقضون عليه لتفادي موته كمثل بقية الأفراد ، يتشاور كل السلاطين من قوليان، على من سيكون الرث من بين الموجودين وبعد الاتفاق على احدهم يذهب به إلى فشودة ويبقى بها حتى انتهاء حفلات الرقص والمراسم الخاصة بتصيبه .

والرث المقترح والمتفق عليه يدخل فشودة قادما من دبالو حيث يكون في انتظاره جيشان من خصومه لن رث، ولن نيكان الأخير يمثل داك نيكان حيث يكون قادما من الوراء من الجانب الشمالي من خور اريا جور، الذي يقع بين دبالو وفشودة.

يصطحب لن رث الرث الجديد، من دبالو للخور ويحمل كل واحد من أتباعهم حفن من قصب الذرة في شكل حربة وينقضون عليه وجيشه ويبقى الرث يمشي الخيلاء وهناك رجل كبير السن، يسمى ادونق يرقد في بطن الخور، في طريق الرث، عند ذلك تظهر فتاتان مقدستان إحداهما من الاورو والثانية من الكوار أو كيل وهاتان الفتاتان يصيران زوجتان للرث بعد انتهاء مراسم تنصيبه .

يوضع تماثيل نيكانق على مقعد مقدس يسمى (كوم) ويخر الرث جاسماً ويقبض على قاعدة المقعد ومن ثم يرفع تمثال نيكانق من فوق المقعد ويجلس الرث مكانه فنتقمصه روح نيكانق المقدسة .

ويذهب الرث بعد ذلك في خلوة مع نفسه لمدة ثلاثة أيام في إحدى الرواكيب الأربعة ومن بعد الثلاث أيام يغسل في واحدة من الرواكيب الأربعة القابعة على ذلك التل والتي تم تخصيصها لهذا الغرض ويتم ذلك في احتفال كبير ومثير .

بعد الانتهاء من هذا الطقوس والمراسم يكون تنصيب الرث قد اكتمل وتكون قد تقمصته روح نيكانق المقدسة والتي تبقى معه حتى موته .

ومن التقاليد الموروثة أن يتزوج الرث إحدى أخواته وتعيش مع زوجاته الأخريات وهي في الواقع إحدى تلك الفتاتان المقدستين التي سبق ذكرهما لقد توقف هذا التقليد . تغيرت بعض هذه التقاليد بمرور الزمن مثل تزوج الأخت مثلاً.

تجدر الإشارة إلى أنني أخذت هذه الزاوية من كبار السن من الشلك إذ انه في فترة وجودي في أعالي النيل ما بين ١٩٦٦-١٩٧٠ م لم احضر مراسيم تنصيب رث ، فقد وجدت الرث كور فافيتي في هذا المنصب وتركتة هكذا .

الملحق السادس

جمعيات البرامكة

هناك كثير من التجمعات والجمعيات التي تنشأ في مجتمعات القبائل والتي كان ينظر إليها الحكام البريطانيون برؤية وحذر ويطلبون من الإدارة الأهلية مراقبتها مراقبة لصيقة بالرغم من أن أغراضها اجتماعية ترفيهية أو نوع من المعتقدات كالسحر والشعوذة كما هو الحال في مجتمع الزاندي أو تلك التي تنشأ لأغراض ترفيهية واجتماعية كجمعيات البرامكة عند عرب البقارة والتي انتشرت وعمت قبائل أخرى مثل النوبة أخذوها من عرب الحوازمة .

كان يخاف الحكام من أن تتحرف تلك الجمعيات عن أغراضها أو تخترقها حركات تهدد الأمن والاستقرار .

جمعية البرامكة تتكون من الشباب والرجال الظرفاء، الأنبيقين والحرفاء(١)،الذين يجتمعون في حلقات لشرب الشاي، والتغني بمحاسنه، ومحاسن السكر،يرقصون ويسمرون في ثياب ناصعة البياض، نظيفة وأنيقة ، والأناقة والظرافة شرط مهم للأعضاء يصنعون الشاي ويشربونه كثيرا ويجودوا به لغيرهم، وقد اتخذت اسمها من البرامكة الذين قوى نفوذهم في العهد العباسي واشتهر البرامكة بالأناقة والظرف والسلوك الراقي فضلا عن الكرم في بذخ وسخاء نادرين اقترن باسمهم وخلدهم بكل هذه الصفات الرفيعة السامية .

كان زعيم البرامكة في العهد العباسي وقائدهم هو خالد بن برمك والذي ترفع على درجة وزير في عهد الخليفة الثاني . جمع ثروة كثيرة في زمن المنصور . وخالد هذا وابنه يحيى والذي صار بدوره مدبرا وراعيا لهارون بن المهدي الذي

(١) الحريف هو الرئيس الذي يشرف على طقوس الحفل ويحفظ النظام ويحكم المخالفين بكلمات من السكر والشاي يحمل مندبلا أيضا يلوح به لإدارة الحفل والاجتماع

خدمه واخلص له حتى تولى هارون الخلافة فكافأه ورفعته وعينه وزيرا وكان يحيي الحاكم الفعلي كما تولى ابنه الفضل وجعفر مكانة ومناصب عالية في ذلك العهد . وهكذا احتكروا المناصب الكبرى في الدولة وهذا سبب غناهم ومن ثم بذخهم وصرفهم ببذخ وسخاء وكرم فصاروا مثلاً في الجود والترف .

كان جعفر مقرب من هارون ويتذكره الناس ببذخه الفائق الحدود ونفوذه الطاعي فجر عليه حسد الناس . وعندما تعدى هكذا حدوده انقلب عليه الخليفة هارون وقضى عليه في عام ١٨٠٣ م وعلى من معه وسقطت دولة البرامكة وزال نفوذه ومن هنا لم يسمع عن (نكبة البرامكة) .

ومهما يكن فقد اتخذ شباب البقارة اسماً لجمعيةاتهم من البرامكة لتلك الصفات التي ذكرناها فتأنقوا وأسرفوا في شرب الشاي وتغنوا به ومجدوه ولم تخرق هذه الجمعيات قواعد الأمن والنظام والتقاليد في تاريخها ولهذا تركت شأنها .

المحتويات

المحتويات	الصفحة
تمهيد	١
تقديم العقيد حقوقى المصباح الصائغ عبدالقادر (المحامى)	٣
مقدمة المؤلف	١١
الفصل الأول	١٣
- من مدرسة الإدارة الى الفاشر ابو زكريا	
- التدريب بالمديرية : المفتش والمدير	
- فى معية مفتش المركز	
- فى رheid البردى	
- فى معية مفتش البقارة	
- عود الى ابو مطارق	
- فى مجلس ريفى جنوب دارفور	
- مجلس برلم الفرعى	
- للعودة الى دارفور	
الفصل الثانى	٧٠
- القبائل وإدلتها	
الفصل الثالث	٨٢
ظروف وملابسات خيار الإدارة الأهلية	
الفصل الرابع	٩٢
بدايات التطبيق	
الفصل الخامس	١٠١
الإدارة والقضاء الأهلية	
الفصل السادس	١٢٤
رجال الإدارة الأهلية والشئون الإدارية	
الفصل السابع	١٢٩
الإدارة الأهلية والأمن القبلى	
الفصل الثامن	١٣٥
الإدارة الأهلية والحكومة المحلية	
الفصل التاسع	١٣٩
الإدارة الأهلية والحكومة المحلية	
الفصل العاشر	١٤٤
الإدارة والعمل الوطنى	
الفصل الحادى عشر	١٥٢
خواطر وملامح وانطباعات حول الإدارة الأهلية	
أ. الفساد والتسلط	
ب. المصاهرة والتمازج والتحالف	
ت. المكائيدات والمؤامرات	

	د. أهل عقيدة وسلطة
	ج. الملع والطرائف والسخرية
	ح. الإدارة الأهلية والتعليم
١٦٧	الفصل الثاني عشر
	هل من دور بقي للإدارة الأهلية
	الملاحق
١٧٣	الملحق الأول
١٧٩	الملحق الثاني
١٨١	الملحق الثالث
١٩٤	الملحق الرابع
١٩٩	الملحق الخامس
٢٠٢	الملحق السادس



الاسم : عبدالله علي جاد الله

مكان الميلاد : المتمة

المراحل الدراسية : المتمة الأولى - النديم الرفقة الوسطي - لم درمان الثالثة
آداب جامعة الخرطوم .

الدراسات العليا :

« مدرسة الإدارة العامة - جامعة الخرطوم .

« دبلوم الإدارة العامة والسياسات الاجتماعية - جامعة جنوب
ويلز المملكة المتحدة .

المناصب داخل وخارج السودان :

« مناصب إداري 1951 م متكرجا إلى :

« محافظ كملا ومديرية أعالي النيل (الكبرى) 1966 - 1970

« محافظ كملا ومديرية كملا (الكبرى) 1970 - 1971 م

« خير الأمم المتحدة للحكومة المحلية والإقليمية لدى الصومال
1971-1973 م

« مدير الصندوق الخاص بالإقليم 1973-1974

« مدير عام معهد الإدارة ورئيس مجلس الإدارة 1974-1976

« مستشار الإدارة العامة أمين الصندوق كوستي 1976-1978
لمجلس وزراء

« مدير عام معهد الإدارة العامة ورئيس مجلس الإدارة ورئيس
لجنة الاختيار للخدمة العامة 1978-1981

« وزير الإسكان والمرافق العامة الإقليم الشمالي 1981-1985

« خير الإدارة الأمم المتحدة لشمال العراق 1999-2001

لوراق :

« العلاقة بين الحكومة المحلية والمركزية بفترة خاصة لتنظم

الحكم المحلي للمملكة المتحدة

« الحكومة المحلية والإقليمية بالصومال .



مركز محمد عمر بشير

للدراستات السودانية

جامعة أم درمان الأهلية

ص . ب : 1363 أم درمان .

هاتف : 002491-87566162

فلكس : 002491-87570352

E-mail : info@centerofstudiesad.com.sd

الإعلام : جمال خليفة

DR.BINIBRAHIM ARCHIVE